محاسن الآثار
في سيرة الشيخ مختار
العلايلي



محاسن الآثار

في سيرة الشيخ مختار

العلايلي

أمين الفتوى في الجمهورية اللبنانية

١٩٦٢ - ١٩٨٤م

تأليف

الشيخ صلاح الدين خضر فخري

دار الفتوى

مدير الشؤون الإدارية والاجتماعية

طبع على نفقة

جمعية دار الحديث

بيروت

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



تقديم بقلم
مفتي الجمهورية اللبنانية
الشيخ د. محمد رشيد راغب قباني

الحمدُ لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا ونبيِّنا محمدٍ خَاتَمِ الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ سماحة الشيخ أحمد مختار العلايلي أمين الفتوى في الجمهورية اللبنانية عالمٌ كبيرٌ من علماءِ بيروت، كبيرٌ في علمه وفقهه، وفي خلقه وأدبه، وفي صدقه وصفاء عقله وقلبه ولسانه ونفسه، أحبَّهُ العلماء وكلُّ الناس، فتح داره لأهل العلم وطلابه، وغصَّت المساجد بطلابه وجمهور مستمعيه، الذين علمهم علوم الفقه والتفسير والحديث والتصوُّف، وأدَّبهم بأدب الإسلام وخلق الإسلام والنبيّ محمد عليه الصَّلاة والسَّلام، وبلغ في درجات الوصول وتصفية النفس مقامات عالية، تعلَّمنا منه وتعلَّم العلماء الكثير من علمه وفقهه وأدبه وخُلُقه وطريقة تعامُله مع إخوانه وتلامذته والناس، وكان قدوةً في ذلك كله، وترى النورَ والحياءَ في صفحة وجهه وفي كلامه رأي العيَن.

سافر إلى مصر لمتابعة علومه في الأزهر الشريف في القاهرة في أعقاب الحرب العالمية الأولى بسنوات، وكان قد سبقه إليها والدي الشيخ راغب القباني أيضاً بسنوات، وكثيراً ما سمعته يحدثني عن والدي الشيخ راغب، وعن علمه وفقهه وتواضعه في فترة طلبهما للعلم في الأزهر الشريف في مصر، وبعد عودهما إلى بيروت.

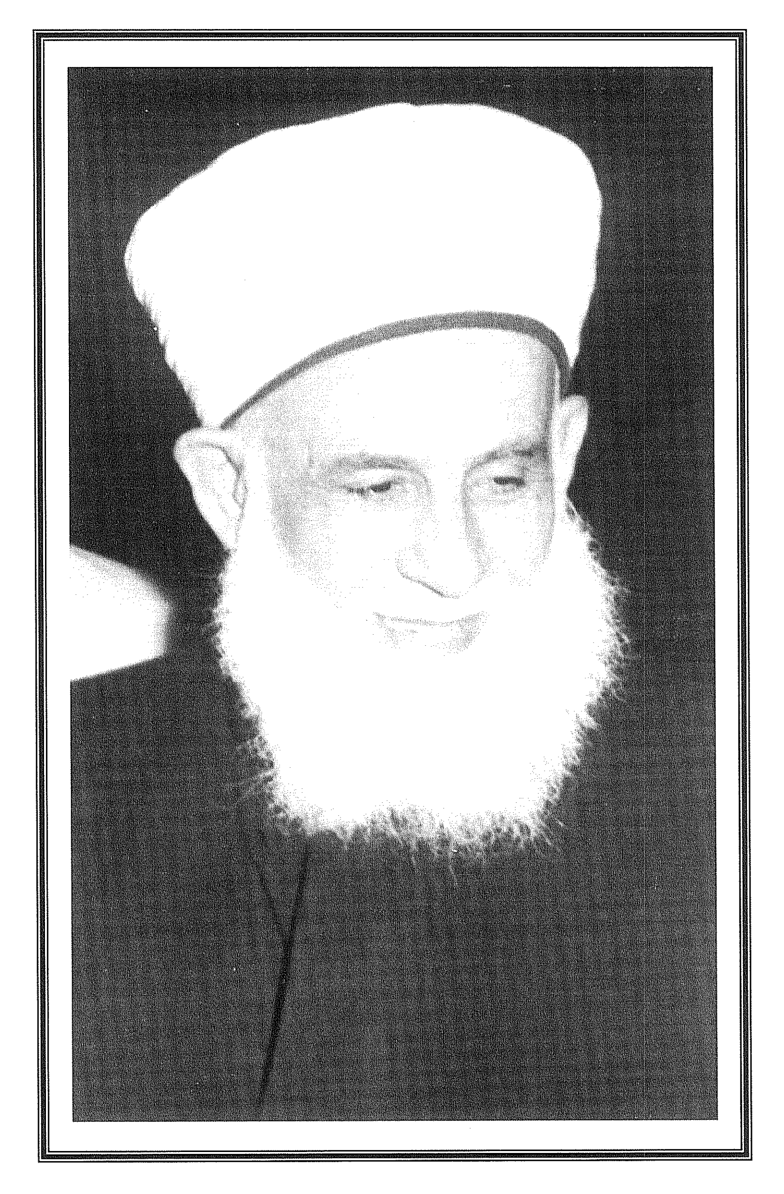
توفّاهُ الله بعد عمر مديد كان طِوالَهُ خيرَ مثال للعالم والفقيه المسلم الذي جعل حياته كلها خالصة لله تعالى في علمه وقوله وعمله، وفي سره وعلنه، حتى أصبح مضرب المثل في ذلك بين علماء عصره؛ وقد ترك لنا أحد أبنائه الشيخ أنس العلايلي على نفس المنهَج و الطَريق الذي سار عليه، فنسأَلُ الله تعالى له التوفيق، ونأمل له بلوغ الرُّتب العالية التي بلغها والده الشيخ أحمد مختار العلايلي وهو بذلك جديرٌ إن شاء الله تعالى.

وقد أحسن الأخ الفاضل الشيخ صلاح الدين فخري بتفرُّغه لكتابة سيرة حياته، وهو العارف به وبمجالسه وعلمه وفضله، فجزاه الله تعالى خير الجزاء، وأثابَه على نشره لفضائله بكتابة سيرته ووفائه له، رحم الله تعالى أستاذنا ومُرَبِّينا العلاّمة الشيخ أحمد مختار العلايلي رحمةً واسعة، وأنزله منازل الأبرار، مع النبيِّين والصدِّيقين والشهداء، وحَسُنَ أولئكَ رفيقا، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله تعالى على سيِّدنا ونبيِّنا محمدٍ النبيِّ الأُميّ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ومن عمِلَ بشريعته واهتدى بهَديهِ إلى يوم الدين.

بيروت ١٤ صفر ١٤٢٧هـ
و١٤ آذار ٢٠٠٦م

محمد رشيد راغب قباني

سماحةُ التقي النقي العلامة



الشيخ مختار العلايلي أمين الفتوى في الجمهورية اللبنانية

١٩٦٢ ـ ١٩٨٤



المقدمة

الحمدُ لله واهبِ الفضائل لأهلِها، رافعِ أهل العلم بقوله: " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ "(١).

والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد أشرفِ المخلوقات والموجودات، وأفصحِ العرب لساناً، وأبلغهم حكمةً وبياناً، القائل: "خيارُ أمتي علماؤها، وخيارُ علمائها فقهاؤها" وعلى آل بيته الأطهار الأخيار، وعلى أصحابه النجباء الأبرار، الذين نقلوا لنا الدين صافياً، وعلى من اتبعهم، وسار على نهجهم إلى يوم الدين آمين.

وبعد: فإن الأمم الرشيدة، والأقوام المجيدة، تتعالى بذكر عظمائها، وعلمائها ومفكريها، وذلك في كل مجالات العلم والفكر والمعرفة، من أجل استنهاضِ هِمَمِ من يخلفُهم ويأتي بعدهم، ويسير على طريقهم، ويتبع علمهم ويستنشق من علومهم ومعرفتهم، ولأن إحياء ذكراهم وتعظيمهم، هو واسطة العقد ونضارةُ الأيام، وبشاشة الوجوه، واعترافاً بحقهم شكراً لله تعالى لما قدموه من خدمة للدين والعلم، وقد ورد عن سيدنا رسول الله ﷺ انه قال: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الناسَ لم يشكرِ الله"(٢) فكيف إذا كان الذي نريد أن نكتب عنه، ونترجمه، ونتحدث عن صفاته وأخلاقه ومكارمه، علماً من أعلام العلم والمعرفة، ومحط أنظار أهل الله ﷺ، وشمسَ علم وفضلٍ لا كسوفَ لها، وقمرَ برٍ وزهدٍ وتصوفٍ لا خسوف له،....

إنه العالم العلامة، والحبْر الفهامة، الصوفي الزاهدُ، المفسرُ المحدثُ، حاوي شتيت الفضائل والممدوح بكل الوسائل، المكرمُ الأجلُ، النقيُ التقي، الحسيبُ النسيب شيخنا وشيخ العلماء، سيدي **العارف بالله الشيخ مختار العلايلي**، أمين الفتوى في الجمهورية اللبنانية ﷺ وأرضاه.

---

(١) سورة المجادلة الآية رقم (١١).

(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأنا بالحقيقة ما كنتُ لأتجرأ، وأطلق العنان لقلمي لأكتب عن هــذه الشخصــية العلمية الفذّة، وعن هذا الجبل العلمي الهطّال، لولا انصياعي ونزولي عند رغبة أخوين كريمين عاشقين لسيدي[1] رحمه الله تعالى.

أخي المحبُ الوفي، والعالمُ اللوْذعي، شيخُ دار الحديث في البلاد الشامية، فضيلة الشيخ حسين حسن صعبية، صانه المولى وحفظه، والذي ارتشفَ من معــينِ شــيخنا رحمه الله، وذاق طعم الحبِ والعلمِ والصفاء.

وأخي صاحب الوداد والوفاء، الخطيبُ المصقع، إمامُ مســجد ســيدي الإمــام الأوزاعيﷺ ومُدَرِّسُهُ، فضيلةُ الشيخ هشام يحي خليفة صانه المولى وحفظه.

---

(١) قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في تعليق على كتابه من آداب الإسلام ص٩ سئل العلامة الفقيه الإمام مفتي فاس وعالمها عبدالله العبدوسي... ص٤.
عبدالله العبدوسيّ الفاسي، المتوفى سنة ٨٤٩ رحمه الله تعالى، عن زيادة لفظة (ســيّدنا) عنــد ذكر اسم نبيّنا محمدﷺ في صيَغ الأذكار الواردة بلفظها عنه، وعن ذكرها في الصيغ المرتجلة التي لم ترد بلفظه ﷺ ، فأجاب بما يلي:
ينبغي أن لا يزاد فيها – أي في الصيغ الواردة بلفظها عنه – ولا يُنقص منها، فإنْ زاد فيهــا: سيدنا ومولانا فجائز، لأنهﷺ أتى بها تعليماً لهم حين قالوا له: إن الله سبحانه أمرنا أن نصــلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ وأما الصلاة المرتجلة التي لم ترد بلفظه فتزيد فيها سيدنا ومولانــا محمداً، إذ هو سيدنا ومولانا ﷺ ".
"وسئل العلامة، الفقيه الإمام القاضي قاسم العُقباني التلمساني المتوفى ســنة ٨٥٤ رحمــه الله تعالى، عن ذلك أيضاً، فأجاب بما يلي: أفضلُ الأذكار ما جِيءَ به على الوجه الــذي وصــفَهُ صاحبُ الشريعة، ولكن ذكر نبيناﷺ بالسيادة وما أشبهها من الصفات التي تدلُّ على التعزيز – أي التعظيم – والتوقير ليس بممنوع، بل هو زيادةُ عبادةٍ وإيمان، ولا سيما بعد ثبوت قوله ﷺ: "أنا سيِّدُ وَلَدِ آدَم" – في "الصحيحين" وغيرهما – إذْ ذِكْرُهُ ﷺ بعد ورود هذا الخبر: إيمانٌ بهذا الخبر. وكلُّ تصديقٍ بما جاء به المصطفى ﷺ فهو إيمانٌ وعبادة". انتهى من كتــاب "المعيــار المعرب" للإمام أحمد بن يحيى الونشريسي رحمه الله تعالى.
قلتُ: وكلُ من سار على درب رسولنا الأكرم، وسلكَ سنته وطريقته، وظهرت عليــه لوامــعُ الهداية والإرشاد والقدوة، وأفاض من عوارفه ومعارفه، نطلق عليه لفظ "سيدنا" حيــث ســاد القوم في علمه ونبراسه وفوائده وكرمه، ولما دخل سيدنا معاذ ﷺ قال رسول الله ﷺ قومــوا لسيدكم، وقال لسيدنا الحسينﷺ إن ابني هذا سيد والله الموفق.

فرأيت بعد ذلك لِزاماً عليَّ، أن أبرز واكتب عن هذه الشخصية التقيـة النقيـة، والتي قلَّ الزمانُ أن يجود بمثلها،

أولئك آبائي فجئْني بمثلِهم   إذا جمعتْنا يا جريرُ المجامعُ.

وإسعافا لرغبتهم الغالية، ولحسن ظنهم ومحبتِهم، أجبتُ مطلبهم، سائلاً المولى أن يقعَ به الإمتاع ويعمَّ به الانتفاع، وقد استخرتُ الله تعالى، فجاءت الخِيَرَةُ كفلقِ الصبح، كما سأذكر إن شاء الله تعالى.

عساي بذلك أكون قادراً، وأنا المتصفُ بالعجزِ علـى رصْـد تلـك العظـات اللامعات، والمكرمات الفاضلات، ولكن سأبذل جهدي محاولاً استكناهُ ملامح وصفات هذه الشخصية الرائعة، وذلك من الحق الواجب علينا، وأمانةً للعلم، ووفـاءً للصـحبة المباركة، والمحبة الصادقة، التي زرع أصولها فينا، وغرس العلوم في أفئدتنا ومُهجنا.

فإن وفقتُ ففضلٌ من الله تعالى، وإن قصرتُ فلا يضير الممدوح وهو المرفوع عند الله تعالى، وإنني قد عزمتُ متوكلاً، وجمعتُ عيدانَ كِنـانتي، وأظهـرتُ لوامـعَ إخلاصي ومحبتي، وشددت للكتابة همتي لأكشف اللثام عن محاسنِ تلـك الصـفات، واستبينَ أروع السمات.

وأنا لا أُخفي أخي القاريء سراً، ولا أكتمه أمراً، إنني عندما كنتُ أكتـبُ هـذه المناقب، وأسطر تلك الصفات المكرمات، حاولتُ مراراً الضغط على قلمـي حتـى لا أطيل، والتحويق على الكلمات حتى لا أسترسل وأميل، بيد أن القلم كان يـزداد سـيلاً وانجرراً، ويتدفق موجاً زخّاراً.

وأقول: إن التطويل والاسترسال لا يقبلان الأعذار إلا في المدح والثناء. وهذا ما يشفعُ لي عند ناظريك الكريمتين.

وإن كنت أترجمُ في هذا الكتاب لمثلِ هذا العالِم الفَذّ من الرجال والعلماء والألباء العظماء، إلاّ أنني كذلك أقرر عقيدةً عنه أخذناها، ومن تعاليمه اقتبسناها، وسوف تلاحظ – أخي القاريء – ذلك في موضوع الكرامات والمكرمات والتوسل – وزيارة الصالحين والتبرك بهم. الخ...

حقاً وصدقاً إننا لن نوفّي **شيخنا العارف بالله** حقه، ولو كتبْنَا الآلاف من الصفحات، والكمّ من الأوراق والكلمات.

فأسألُ المولى تعالى أن يرفع مقامه مع النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، وجزاه المولى عنا خير الجزاء.

اللهم، احشرنا في زمرة أنبيائك وأوليائك يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

كتبه

خادم العلم

الشيخ صلاح الدين فخري

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٥م

بيروت

الشيخ مختار عثمان العلايلي

ولادته ونشأته

ولد شيخنا العارف بالله تعالى سنة ١٨٩٩ ميلادي حسب تذكرة الهوية الموافق سنة ١٣١٦ هجرية.

والدهُ الحاج عثمان العلايلي، التاجرُ المعروفُ بالصلاح والتقوى في ذاك العصر،ويرْتقى نسبةُ إلى سيدنا رسول اللهﷺ.

ووالدته الحاجة نفيسة الكبي[١] المرأة العابدة الصالحة الذاكرة.

وقد تربى رحمه الله وسط بيئة مميزة عُرفت بالتدين والصلاح، إذ كان والده رحمه الله شديد التمسك بأهداب الدين، محافظاً على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها جماعة في المسجد، مهما كانت المشاغل والتجارة والأعمال.

كما أن والدته الطاهرة كانت تحافظ على صلواتها وأذكارها وأورادها.

فنشأ رحمه الله في كنف هذين الوالدين أدباً وأخلاقاً، وديناً، وصدقاً وتجارة، وحلالاً.

ثم تلقى علومه الابتدائية في مدرسة الفرير، ثم التحق بمدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، إلى أن نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م. فانقطع يومذاك عن الدراسة، وتوجه للتجارة مع والده مدة ثلاث سنوات، إلى أن تحركت فيه الغريزة والمحبة لطلب العلم، الذي كان يلاحقه في عمله وبيته، فشدّ العزم، وأزِفَ الترحُلُ.

---

[١] وقد أخبرنا شيخنا العارف بالله رضي الله عنه، أنه دخل على والدته مرة وبعد صلاة الجمعة – وهي في فراشها وقد امتد بها العمر – فرأى بين يديها "قرصاً من الكبة" وهي أكلة معروفة عند أهل بيروت ولم يَرَ مثل طوله وعرضه في حياته، فسأل شقيقته حيث كانتْ تسكن عندها في غرفة خاصة، فقالت: والله لم نصنع اليوم كبة، فسأل والدته مصراً على معرفة مصدر هذه الكبة. إلى أن قالت: (إن الملائكة أنزلت لي هذا الطعام). فسبحان المعطي الوهاب.

وتوجه إلى الأزهر الشريف في مصر سنة ١٩٢٠م، والتحق بركب الدارسين المجدين في حلقاته النيرة، ونفحاته الزاهرة، ولم تمض أسابيع قليلة إلا واكتحلتْ عيناه، وتَمَتَّعَ ناظراه، برؤية علم العلماء، وصفوة الأولياء، وتاج الأصفياء، وخاتم النبلاء، سيدي ومولاي الولي الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي، القطب الرباني(١)، والوَتَدُ الصمداني(٢)، والنجيب الحقاني(٣).

وكان ذلك بصحبة ورفقة، أخوةِ الروحِ والقلب، في السفر والحضر، ومنهم الشيخ أحمد العجوز، والشيخ محمد سوبره، والشيخ محمد الداعوق، وغيرهم فأخذوا عنه الطريقة النقشبندية، وأورادها العلية، وأذكارها النورانية، فجمعوا في ذلك بين الشريعةِ والدينِ والعلم، والحقيقة الموصلة إلى صفاءِ السريرة وصدق الطوية.

وقد كان رحمه الله نابغاً بين أقرانه، ذا خصوصية عند خلانه، وقد شهد بذلك أهل زمانه.

ثم تَدَرَّجَ مع إخوانه في رحلةِ صفاء القلب والروح والنفس، وتقلب في جنبات لذةِ طلبِ العلم، مع توجيه سديد ورشيدٍ من شيخهمﷺ، حتى نالوا المراتب العالية ووَصَفَهم – كما أخبرنا – بأن منهم الأقطاب والأوتاد، والأنجابُ. حتى سرى خيرهم، وعَمَّ نفعُهم، وارتوتِ القلوب الظمأ من معينهم وسلَسبيلهم ومعرفتهم، ومَكثَ في الأزهر الشريف يقلِّبُ صفحات العلم، ويعيشُ في أكنافه مدةَ أثنتي عشرة سنة نالَ بعدها الشهادة العالمية، وهي أعلى شهادةٍ تُمنحُ في ذلك الوقت للعلماء.

---

(١) قال سيدي الشيخ يوسف النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء في باب ذكر أصحاب مراتب الولاية: الأقطاب الجامعون للأحوال والمقامات، ويسمى رجل البلد قطب ذلك البلد.

(٢) وقال: الأوتاد هم أربعة في كل زمان ومكان لا يزيدون ولا ينقصون، الواحد منهم يحفظ الله به المشرق، والآخر المغرب، والآخر الجنوب، والآخر الشمال, والتقسيم من الكعبة.

(٣) وقال: الانجاب هم ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، وهم الذين يبدو منهم وعليهم أعلام القبول في أحوالهم.

وَمَكث في الأزهر ورواقه مدرساً للطلبة، وفاءً للعلم والعلماء، مدةَ ثلاث سنوات.

ثم عاد بعدها إلى بيروت يحملُ هالةً من العلم، وكمّاً من المعرفة والنور والتقوى، لينتفعَ الناسُ بعلمه وبصيرته، وأخلاقه.

وقد أنكب عليه كبارُ أهل العلم والطلبة ليرتشفوا من علمه وفقهه ونحْوِه وبلاغته، وغيرها من العلوم والمعارف.

وقد تفضّل المولى علينا وأكرمنا بالجلوس بين يديه، وبالجثوِ في حلقاته، والاستفادة من علومه وأخلاقه.

وقد سمعتُ شيخنا الشيخ حسن حسن دمشقية[١] شيخ القُرَّاءِ في الجمهورية اللبنانية وعالمُها – وهو واحدٌ من تلاميذه الذين لا يُحْصَوْن – سمعته يقول مرات عديدة: لو رأيتم الشيخ مختار رحمه الله أيام شبابه لقلتم: إنه شافعي زمانه فقهاً، وزَّجاجيُ أوانه لُغَةً، وإيْسَاغُوجي عصرهِ منطقاً، وطبري وقته تفسيراً، وهشاميُّ السِّيْرةِ، أشعريُ العقيدة، عراقيُ الحديث، جمع العلوم وحواها، وكان شعارُه دوماً "واتقوا الله ويعلمكمُ الله"[٢].

ثم في سنة ١٩٥٥م أسندتْ إليه إمامة المسجد العمري الكبير.

وفي سنة ١٩٤٢ م كان معاوناً لأمين الفتوى الشيخ محمد العربي العزوزي رحمه الله. وسأذكر قصة توليه أمانة الفتوى ومؤازرة **شيخنا العارف بالله** رحمه الله، وبعد وفاته أسندتْ إليه أمانة الفتوى عام ١٩٦٢م ليرعى أمانتها وعلمها وفتواها.

كما كان رحمه الله رئيساً لمجلس العلماء في بيروت والذي كان يضم جُلَّ العلماء، ورئيساً للمجلس الإداري للأوقاف الإسلامية.

---

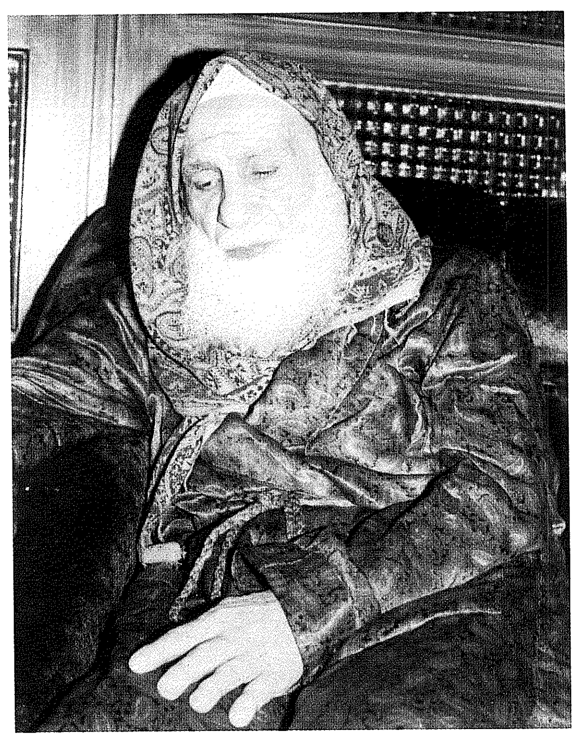
(١) توفي الشيخ حسن حسن دمشقية سنة ١٩٩٥م.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم (٢٨٢).

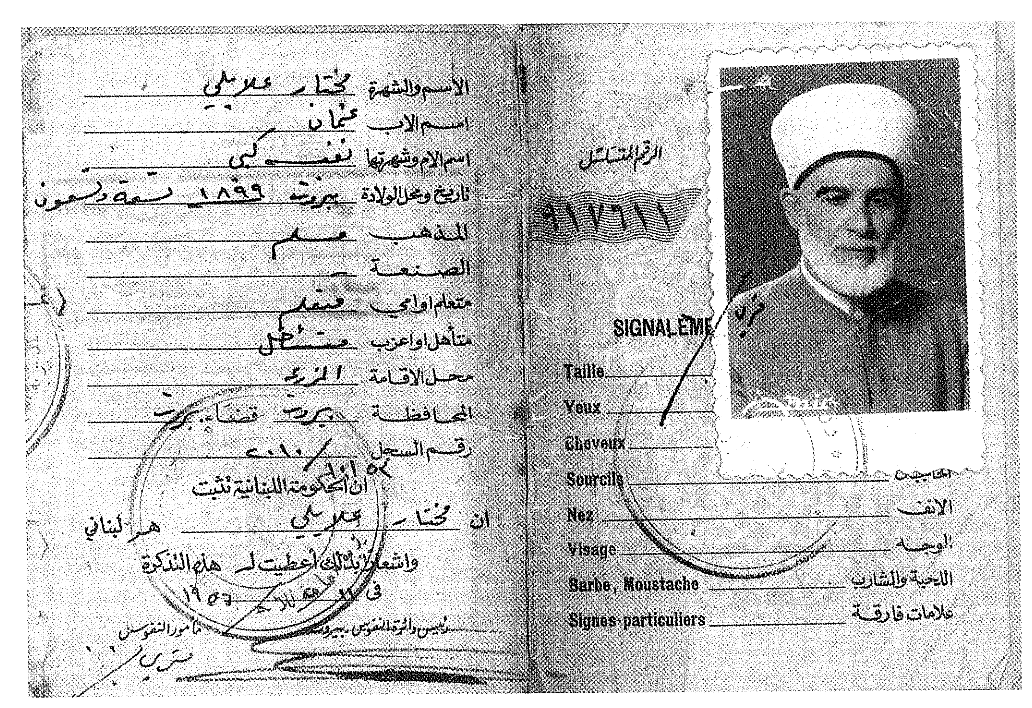
وقد قَضَّى حياتهَ كلَّها، بالعلم والتعليم، ونصرة المظلومين، ونصـيحة الحكـام والرؤساء، بأدبٍ جمٍ وأخلاقٍ عالية كاملة.

وقد تزوج بأمرأة فاضلة، السيدة أميرة بيروتي، وكانت نعم المعين، والمسـاعد على مراحل الحياة وبناء الأسرة الكريمة.

فجزاها الله خيراً وحفظها وأكرمها، وبارك بذريتها إلى يوم الدين آمين.



صورة شيخنا العارف بالله، في حالة صفاء



الاسم والشهرة مختار علايلي
اسم الاب عثمان
اسم الام وشهرتها نفيسة كبي
تاريخ ومحل الولادة بيروت ١٨٩٩ تسعة وتسعون
المذهب مسلم
الصنعة ـ
متعلم او امي متعلم
متأهل او اعزب متأهل
محل الاقامة المزرعة
المحافظة بيروت قضاء بيروت
رقم السجل ٢٠١٠/ ١٩١٥٢
ان الحكومة اللبنانية تثبت
ان مختار علايلي هو لبناني
واشعاراً بذلك أعطيت له هذه التذكرة
في ١٩٥٦
رئيس دائرة النفوس بيروت
مأمور النفوس

الرقم المتسلسل
٩١٧٦١١

SIGNALEME
Taille
Yeux
Cheveux
Sourcils الحاجبان
Nez الانف
Visage الوجه
Barbe, Moustache اللحية والشارب
Signes particuliers علامات فارقة

صورة تذكرة شيخنا العارف بالله



صورة ضمت شيخنا العارف بالله والشيخ محمد عساف الكبير والشيخ أحمد العجوز والشيخ محمد عمر سوبرة مع وفد من يوغسلافيا



صورة شيخنا العارف بالله، في بهو دار الفتوى، وعن يمينه الشيخ محمد عساف الكبير وعن يساره الحاج محمود علايا، وشقيق شيخنا الشيخ عبد الله العلايلي رحمه الله



الوفد العلمائي اليوغسلافي في جلسة عمل وتنسيق



الوفد في رحلة إلى قلعة بعلبك ويبدو شيخنا العارف بالله



الوفد العلمائي اليوغسلافي في قلعة بعلبك



شيخنا العارف بالله يركب في سيارة الشيخ محمد عساف رحمه الله



الوفد اليوغسلافي أثناء زيارة قلعة بعلبك



شيخنا العارف بالله أثناء حفلة تتويج الشهيد الشيخ أحمد عساف بعمامة والده ويبدو من اليمين الشيخ أحمد العجوز وسماحة المفتي الشيخ محمد علايا وشيخنا العارف بالله والشيخ المتوّج الشهيد أحمد عساف ويبدو ظهر الشيخ محمد الغزال رحمه الله تعالى



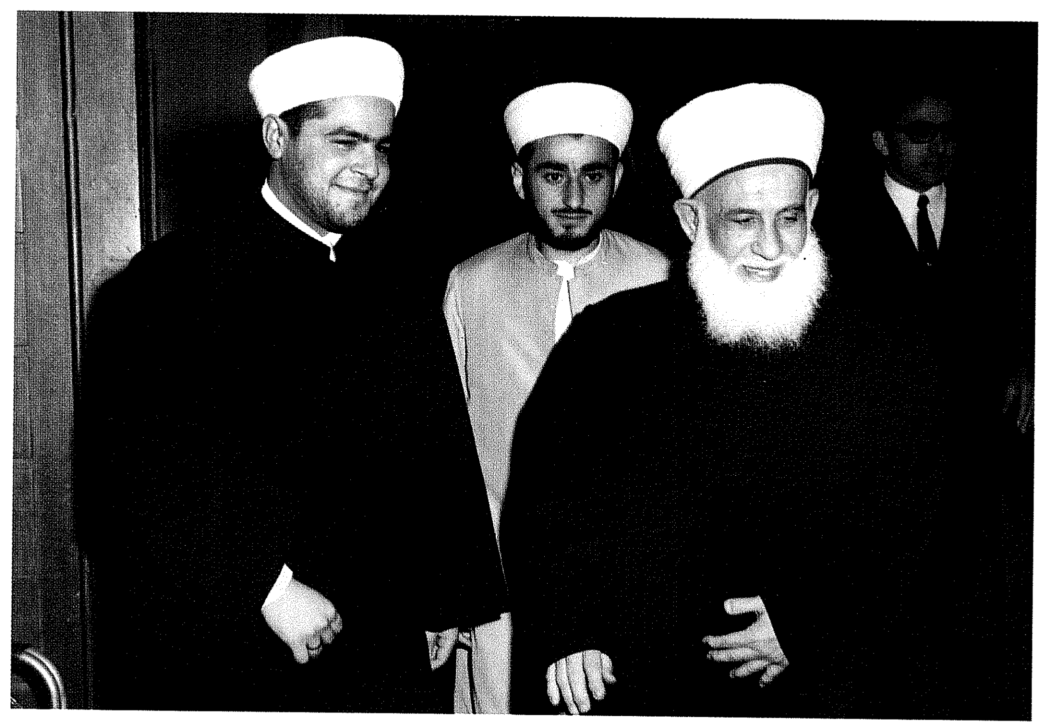
الوفد اليوغسلافي أثناء دعوةٍ على الغداء ويبدو شيخنا العارف بالله



الشيخ أحمد العجوز، الشيخ المفتي محمد علايا، شيخنا العارف بالله الشيخ مصطفى اليافي، الشيخ الشهيد أحمد عساف



صورة الوفد اليوغسلافي من اليسار الشيخ محمد عساف، شيخنا العارف بالله، الشيخ هاشم دفتر دار المدني، الشيخ محمد الغزال ويبدو الحاج محمود علايا



صورة شيخنا العارف بالله والشيخ زكريا شعر والاستاذ أمين العلايلي ابن شيخنا والشيخ خليل الطرابلسي في قاعة الخلية السعودية أثناء عقد قرانه



صورة في مبنى جمعية المحافظة على القرآن الكريم أثناء تتويج الشيخ الشهيد محمد عساف رحمه الله تعالى

روعة صفاته الخلقية والعلمية والتوجيهية

إذا أردت أن أكتبَ عن تلك الصفات، وأسطر ما تحلى به **شيخنا العارف بـالله** من السمات، فلا بُدّ من صفحات طوال، لأنه على غير خيال ومثال.

بيد أنه كانت له صفحات بالعلم مُشرقة، وبالفضائل واضحة، وبالمعاني الرقيقة ظاهرة، ومن خلال ثنايا هذه العناوين العريضة بَدَتْ جواهره، وخرجت من أصداف معرفته لآلئه، وقد ألبَسَهُ العلمُ ثوباً وجليتْهُ المعرفة يقيناً. حتى آضَ يبني رجـالَ علـمٍ بنشره، ونفوس تقوى بعمله، فغدا ظاهرة يُبْهِرُ نظرَ من تتبعه في مقتبل عمره، وسنيَّ حياته، إذْ كان يبحث عن رياض الجنة، ومجالس العلم كما يبحث العطْشى عن قطْـرَةِ الماء لإرواء ظمأ قلوبهم، إلى أن وصل إلى هذا النبع المصـفّى – خصوصـية مـن الباري تعالى – فنهل لِيَرْوِيَ ويَرْتوي.

حقاً إن صاحب البصير والبصيرة، يزداد تحيُّراً إذا تطلع إلى همته التي كـادت تطأُ الثريا، رفعةً وعلماً وشأناً، حيث كان في وسط حياته، وشغلُه الشـاغل، إيصـالُ الحكمة والعلم ورقة المعاني إلى ذويها، فيدخلها إلى شغاف القلوب من خلال مجالسـه التي لا تخلو من طلابِ علم يرتشفون العلوم الشرعية وسواها، بأسلوب رائع يـدخلُ أبوابَ القلوبِ والإفهامِ من غير مشقة ولا كلفة.

كما أن الأيام الخوالي لم تكن تعرف للفراغ طريقاً في حياته، إذ هي سر نجاحه، ولم يعطها هُنيهةً من فسحة إلا وقد ملأها من عـوارف المعـارف، ومـن والحكـم والنفائس.

وإذا نظرتَ إليه في كمال عمره، وإيناع ثماره، وأمعنت النظر جيداً رأيـت ثَـمَّ رأيت بيته مِرْوَداً يكتحلُ به كلُ من أرادَ أن يُبصرَ بإثْمدِ العلم والمعرفة مـن معينهـا وقارورتها، ولو أبصرتَ لرأيت أن الرواد لبيتِ العلم لم يتركوا بقعة منه إلا وافترشوها

بأجسامهم وتزاحمت ركابهم، جثواً لأثنى المطالب، وأزكى النصائح، حتى غدا منزلــه قبلةً لطلبة العلم والدارسين يؤمونه للرواية، والدراية، صباح مساء.

والحقيقة أنه كان نقطةَ السر في حياتنا، نقطةً وقعتْ على صفحات ماء هــادىءٍ فأحدثتْ دائرةَ خِبْرَةٍ وعلم ومعرفة، وكلما مرَّ الوقت والزمن كبرتْ دائرةُ سرِّه، وهكذا دواليك إلى يوم القيامة.

ونستطيع أن نجزم أنه ولله الحمد سعى رافعاً رايةَ العلم ونشره، ومحبــاً لأهلــه والعاملين به، مُضَحياً بالوقتِ والصحةِ والمال لأجله، حتى عمَّ فضــلُهُ رجــال العلــم والعلماء، وبذلَ الغالي والثمين ليكون لهم براً ومعيناً.

فقلما ترى عالماً إلا وله صلة رحم بهذا الفضل العظيم، والخير المتواصل.

وكنتُ ولله الحمد والمنة من جمله الذين نالهم هذا الفضــل الحســي والمعنــوي والروحي طيلة خمسة وعشرين عاماً، مشاركة مع إخوة كرام سيأتي ذكرهم.

فسبحان من أعطاهُ وجَمَّلَهُ، حتى مَلَكَ محاسن التوجيه والإرشــاد، حيــث كــان يعلمنا بحُسنِ حديثه، وعذوبة كلامه، ورقة منطقة، وحلاوة عباراته، أسلوُبَ التخاطب بين الأنام ومحاسن الأداء عند الكلام.

فمن صمته روعةُ الأدب الجم، ومن هدوئه صفاءُ الحياءِ الأَتَم، ومن تفكيره إلقاء التوجيه الأهم.

رحب الصدر واسعُه، سهل العريكة لَيِّنُهَا، كريم السجايا دَامثُها.

أما غايته فالجدُّ، ووصيتُه العلم والعمل باخلاص، والهــزل بعيــد عنــه بُعــد المشرقين، لا يغضبُ إلا لله إذا انتهكتِ الحرمات وكشفت العورات،أو ظلم العباد، فلم يعرف الغضبُ طريقاً إلى قلبه، يحترس الاحتراس كله من سَــوْرَةَ الغضــب والحقــد يحمل بين خفايا قلبه العُدّة الكافية لدرء هذه الخصلة، لأنه خالطتِ النقاوةُ قلبَه وجسمه، كاختلاطِ الماء بالعودِ الأخضرِ، والروح بالجسد.

فهو صورة مأخوذة من أخلاق النبوة والرسالة، لم يعاتبْ أحداً قَصَّرَ حرصاً على صلة المودة، وحبل التواصل، وإن كان ذلك فمعلماً الطلبة والـرواد محاسـن الأداءِ، والتعامل بالفضل والصفاء.

وهذا لا يحتاج إلى دليل وبرهان، بل يعرفُ ذلك كلُ من لازَمه أدنى ملازمـة، وعاصره برهةً من الزمن، حتى تميزت مجالسه بتعميم نصـائحه لـروّاده وأحبابـه وطلابه وزوّاره، ويعطي كلّه في محادثتهم، حتى ليظنٌّ كلٌّ من يجالسُه ويؤانسهُ، أنـه يجالسه ويؤانسه دون أن يلتفت إلى غيره، وهذا من خلُقِـه وأداب مجالسـته، لينشـر المحبة في قلوب الجميع، فلا يملّ أحدٌ من حديثه، حيث يطوفُ بأنظاره وأحاديثه، إلى جميع الحاضرين ليدخل على أفئدتهم السرور والحبور.

فَمَثَلُهُ كصاحب الدُرر، والياقوت، والمرجان، والزبرجد، أراد نظم حَبَاتِه قلائـد، فيضع كل حبةٍ موضعها، وينزلها منزلتها، ويجمع إلى كل حجمٍ ما يناسبُه، وإلى كـل لون ما يقاربُه، فيزيده حسناً وجمالاً، وفي كل مجلس يجعل الجمـع واسـطة العقـد فيناسبُ، ويقاربُ ويجانس، ويماثل، فيعطى الجميع إجلالاً وتوقيراً واحتراماً، كل ذلك بتواضع ملك جوارحه، وبشفافية نفسٍ نبتَتْ من رَحِمِ اللين، والرقة والألفة، ومن قـول الله تعالى: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْـبِ لانفَضُّـوا مِـنْ حَوْلِكَ".[١]

كما أنه كانﷺ يدافع عن الأمة ومعتقداتها، ويتأثرُ تأثراً شَفَّافاً إن سمع بمصـيبة وقعت أو حلت بهم.

وكنا كثيراً ما نراه وقد غَصَّ منفطراً قلبه حسرة على الأمة وتقلب الأيـام بهـا وبأحوالها.

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم (١٥٩).

وكانت الغصّة تعلوه حتى تحول بينه وبين الكلام تأسفاً وشعوراً. وكأنَّ النار تلفح قلبَه غيرةً وشفقةً على ما أصاب الناس والوطن من تطاحنٍ وتقاتلٍ وحـــرب عايشـــها وعشناها معه.

ولو ترى الدموع من مُقلَتَيْه تنحدر على صفحات خَدَيْهِ تحكي مشاعرَه وتألمَـــه، على ما وقع من البلاء والمحن والوباء.

وقد سمعناه مراراً يقول ويدعو بقولِ الله تعالى حكاية عن سيدنا أيوب عليه السلام: "رَبِّ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ".[1]

رحم الله شيخنا وسيدنا وأنزل عليه رضوانه وجزاه الله خيراً على هذه العبـــرة الكريمة والأخلاق الفاضلة، ونور له قبره آمين.

(١) سورة الأنبياء الآية رقم (٨٣).

علمهُ منارةُ هداية

إن كان للعلماء مصباحُ علمٍ يستضيئون به، ويستنيرون طريق العلم والمعرفـــة، كي يسبروا غورَهُ ورقائقَه.

فشيخنا العارف بالله هو مصباحُهم، وطريقهم ومقياسُهم.

وإن كان للعلماء بحر يغرفون منه علماً ومعرفةَ وفقهاً، فهو يومذاك بحرُهم الذي يغرفون منه والمعين الذي يرتشفون منه.

وليس هذا ادعاءاً أو مدحاً، أو ثناءً، بل حقيقة علمية واقعية قـد أشـتهر بهـا، وأصبحت عَلَمَاً عليه، ودلالةً بينةً لديه، وذلك على مدى حياتـه العلميـة، ومسـيرته المعرفية، حتى أكتسب لقبَ شافعي عصره ودهره.

وليس هذا سهلاً كي يناله عالمٌ مهما علا كَعْبُه، وظهرتْ لوامع علومه.

فقد كان الناس بحاجة إلى علمه أشدَ من حاجتهم إلى الضوء في الليالي المعتمة، إذ علمُه أضوءُ من الشمس في رابعة النهار، وأنفعُ من الماء على الظمأ، وأطيبُ مـن المسك وشذاه على النفوس والقلوب.

لهذا كله غدا باباً للعلماء، ومقصداً للأدباء، يَفتحُ غوامضَ العلـوم، ومواضـيحَ الفهوم، بأسلوب واضح، وطريقة رائعة.

فقد أمطر عليه ربُّ العزة أمطارَ الفهم، وطَيَّبَهُ برياحين الصفاء وصوادق العلم، وزينة بزينة المعارف، وطهرَهُ من الجهالة والعَمَاية، ورقّـاه إلـى رفيـع الـدرجات المصحوبةِ بالرعاية والعناية.

مصداقاً لقوله تعالى: "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ"[1]
وفوق هذا كله حلاّه بالعلم الصادق المقرون بخشية الله تعالى، الخشيةُ المنبثقة عن صفاء قلبه وجوارحه، حتى انقطعت عنه – وبفضل الله تعالى – وساوس الشيطان.

قال الله تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ"[2].

كما أن العلم شرح له صدراً، وأوسع له عقلاً وأكسبهُ فهماً ونوراً وثباتاً.

قال تعالى: " أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ"[3].

وكان من صفاته العلمية، وآدابه الرَضِيَّة، إذا حدثنا بحديث وأطاله شرحاً، وفقهاً، ولغة، ظننا أنه أستفرغَ فيه جهدَه ومعرفتَه، واستكمل مفاتيح علمه، بيد أننا نراه يسترسل فيه، ويفيض أكثر في معانيه، حتى نجزمَ أن ما نسمعُه هو أول ما يعطيه، بل هو كالبحر الزخَّار، تتدفق أمواجُه ولا تهدأ، خاصةً إذا اشتدتْ رياحُ الطلبة، وتوافدتْ المسائل من كل جانب، فإنك ترى العجبَ العُجاب، ومناطق الحق والصواب، فللّه دَرُّهُ عَلَمَ عِلْمٍ، ومنارةَ هواية، وأنوارَ إرشاد، ومشورةَ فقه في حزمٍ ورأي.

والحق يقال: إنه عالمٌ ينظر إلى الدنيا بعين الاعتبار.

وإلى نفسهِ بعين التقصير والافتقار.

وإلى الآخرة بعين الرحمة والانتظار.

وإلى الطاعة بعين الاعتذار.

وإلى المعرفة بعين اليقين والاستبشار.

---

(١) سورة المجادلة الآية رقم (١١).

(٢) سورة فاطر الآية رقم (٢٨).

(٣) سورة الزمر الآية رقم (٢٢).

فقد اتخذ من العلم عبادة، ومن العبادة علماً، فخالط لحمه ودمَه، وفزعَ إليه قلبُه، ووثق بوعدِ ربه، لما أَعَدَّهُ للعلماء من حسن المنازل، فلم يشغل نفسه بشيء من أمور الدنيا.

وكان الذين قيل فيهم: سلوا فان العارفين لا تَفْنَى عجائبُهم.

سَبَّاقاً إلى كل باب من أبواب العلم وفنونه، يحوطُه كثرةُ الذكر والعبادة والاستغفار، لا يفترُ عن ذلك لسانهُ، مع صدق الارادات، وصحة الاعتقادات بمحامد رفيعة، ومواصف حميدة.

فهو كما قيل: القلوب كالقُدور، ومغارفُها الألسنُ، فكل لسان يغرف لك ما في قلبه.

والغرابة التي فيها اختصاص رباني، وفتوح إلهي، أنه كان إذا سئل عن مسألة، أو عرضتْ عليه فتوى علمية، رأيت حقاً ومن غير مبالغة.

يفتحُ من المسائل المغاليقَ.

ويزيحُ عن الأذهان المعاليق.

ويبينُ من المسألةِ المقاصدَ والأغراض.

ويضربُ الأمثلة تلوها لتتمكن عند الإعراض.

فهمزةُ قطعهِ بالعلمِ موصولة.

وهمزة وصْلِهِ بالمعرفة غير مفصولة.

لم نعهدْ عليه مرةً أنه جعل بينه وبين الحق العلمي حاجزاً.

ولم يُفْتِ مرةً بالرمضاء من نارِ، بل كان يختار الأسلم للدين، ويسقى علم اليقين..

أميناً في النقل والإفادة، لم يشتهر عن تصحيف أو تحريف، أو تبديل.

ويكفيه فخراً وعزاً أنه كان يتجلى بموثوقية لدى العلماء قاطبةً، ويُضـرب فيـه المثل إذ هو عمودُها وعمادُها.

ومن الأمور المهمةِ التي ينبغي لكل عالم أو متعلم أو طالب علمٍ أن يعلمها عـن **شيخنا العارف بالله.**

إنه إذا ذكرتِ السنةُ النبويةُ كان الخطابيَّ[١] فـي إظهـار معالمهـا، وإن أراد توضيح المشكل في مواطن العلم والآثار ومعانيها كان طحاوي[٢] عصره وزمانه.

وإن فَسَّرَ آيةً من كتاب الله تعالى تَحْسِبُهُ الطبري[٣] في تبيانه وبيانه.

وإن شرح مسألة فقهية وغاص يسبرُ غورها كان كالنواوي[٤] يهذب شـواردها ويضبط قواعدها.

وإذا ترجم صحابياً من أصحاب رسول الله ﷺ وذكر حياته ومآثره أجادَ وأصابَ، وكأن الإصابة[٥] نصب عينيه.

وإذا ذكر مسألة في النحوِ واللغة عَبَقَتْ شذاياه كسيبويه[٦] فقد كان يستحضر ألفية ابن مالك تلقاء كريم انظاره.

وإذا خاض في روعة المعاني والآداب واللغة ومَضَامينِها أزهرَ، وأوضحَ كأنـه المزْهِرُ[٧] يطوي صفحاته من جنبات أفكاره، ومعين محفوظاته.

---

(١) الخطابي له كتاب معالم السنن.

(٢) الطحاوي له كتاب مشكل الآثار.

(٣) ابن جرير الطبري، صاحب التفسير.

(٤) محي الدين بن زكريا النواوي شرح المهذب للشيرازي.

(٥) الإصابة في حياة الصحابة لابن حجر العسقلاني.

(٦) سيبويه – معناها بالفارسية رائحة التفاح، وهو شيخ النحاة.

(٧) المزهر كتاب للسيوطي.

وإذا تحدث عن الأولياء الذين يحلو المجلسُ بذكرهم والثناء عليهم، والغوصِ في وقفاتِهم وروائع حياتهم، فكأنه الأصبهاني في حليته[١]، والنبهاني في جامع كراماته[٢].

وحقاً إنه عقدٌ فريدٌ، وزاد معاد وحيد، وقاموس لغة، وجواهر مضيئة، وتذكرة حفاظ.

وليتك تسمعُ وتمتعُ النظر وتُحَدِّقُه عندما كان يشرْعُ في الدرسِ شارحاً، لحكمتَ أنه قد رسمَ له خطة رائعة واضحة، لها بداية ووسط ونهاية.

يُرتِبُ عناصره ترتيباً حسناً بديعاً، ويتغلغلُ في التفاصيل الواضحة، ويتتبع مستقرِئاً ما قيل حولَ مسائله ويستدل عليها بشواهدَ ليثبت قواعده، فيزيل كلَ غموض، وينير معالم الطريق، حتى يُسلِّك المسائلَ سلوكاً مدللاً، وسلسبيلاً رائعاً إلى عقول وإفهام الحاضرين، والتلاميذ والرواد المستمعين، من غير لُبْسٍ ولا ارتياب.

وهذه خصوصية أسدى الله إليه المواهب وأسناها، ومن العلم خيرها وبرها وحسناها، وأزال الله ببركته عوائق الغمائم، ورفع به بيض العمائم.

ولما دنا منه العمر، واشتعل رأسه ولحيته شيباً، ووهن العظم، ونَحُلَ الجسم، بقي على المنوال سائراً، وعلى دروس العلماء والعطاء ثابتاً. وذلك كالمعين الذي لا ينضَبُ، وكالمشعلِ الذي لا يخبو.

وقد سمعت من شخينا، وتاج رأسنا، الشيخ حسن حسن دمشقية رحمه الله تعالى شيخ القرّاء والعلماء في الجمهورية اللبنانية يقول:

لو التقيتم الشيخ مختار العلايلي رحمه الله وسمعتموه أيام شبابه، وعنفوان عمره، يلقي الدروس والتوجيهات ويطرح مسائل العلم، في الأصول، والفقه، واللغة والمنطق، وغير ذلك من العلوم، لقلتم إنه أسيوطي زمانه، وشافعي أوانه، ورازي عصره.

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني له كتاب اسمه حلية الأولياء.

(٢) الشيخ يوسف النبهاني، له كتاب اسمه جامع كرامات الأولياء.

وكان يلتفت يُمنةَ ويسرى، ويلتقط أنفاسه، وتدمع عيناه أسفاً، متـذكراً ويقـول: سبحان الله سبحان الله.

فيتمثل بقول الشاعر:

يا مَنْ يذكرني حديثُ أحبتـي — طابَ الحديثُ بذكرهِم ويطيبُ

أعِدِ الحديثَ عليَّ من جَنَباتِـه — إن الحديثَ عن الحبيب حبيبٌ

وكان رحمه الله، قَلَّ أن يتكلم في مسألةٍ إلا ويذكر فيها المذاهب الأربعة ويشبعها بحثاً وتبياناً، ويطرح المسائل بمفهوم لم يسبق إليها من قبل، وكأن العلوم بـين يديـه وعقله وقلبه.

وأما وقوفه على مسائل الفرائض والميراث، فحدّث ولا حرج إذ كـان فَرضِـيَ زمانه وأوانه، لا يُشَقُ له غبار، إذ كان من حُذّاقه وأهل عرفانه.

الزائرُ له صباح مساء، يراه يطالع كتاباً، أو يشتغل باستخراج فتوى عالقـة، لا يشبع من العلم، ولا يتعب من القراءة، فهي غذاء لروحه وقلبه، ولا يضيعُ لحظة مـن لحظات أنفاسه وحياته.

وقد حدثنا مرةً إنه إذا طالع كتاباً، أو قرأ موضوعاً، أو حفظ مسألةً، فإنها تنقش في ذهنه، وتعلقُ في قلبه، مع صفحاتها وأرقامها، فإذا ما أراد العودة يصل إليها مـن غير تعبٍ ولا نصب، وهذا فضل من الله تعالى.

حتى كان أصحاب المذاهب العلماء يجالسونه ويدارسونه فيستفيدون من علمـه وتَبَحُّرِهِ، وكان أبرع منهم في طرح مسائل اعتقدوها، أو مواضيع علموها.

وأذكر على سبيل المثال مجلسه الأسبوعي للعلماء، والذي كان يعقد في منزلـه المبارك، وكنا نحضر هذا المجلس أكثر الأحيان ونحن حديثو السن بين أهـل العلـم، وكان فيه:

من الحنابلة الشيخ سعدي ياسين رحمه الله.

ومن الأحناف الشيخ محمد نمر الخطيب حفظه الله، **ومن المالكية** الشيخ هاشم دفتر دار رحمه الله.

ومن الشافعية الشيخ محمد الداعوق، والشيخ قاسم الرفاعي والشيخ محمد الغزال، والشيخ أحمد العجوز وغيرهم من العلماء.

رحم الله الشيخ العارف بالله رحمة واسعة وجزاه الله عن أهل العلم والعلماء خير الجزاء، آمين.

حديثه عن المحبة الصادقة

إن **شيخنا العارف بالله**، قد تميز بما شهدَ له العقلاءُ، وارتسم على شفاه النبلاء، حيث توافقتْ أقوالهم، وتعاقدت كلماتهم وأجمعوا قاطبةً إجماعاً لا يقبلُ النقض، بأنه يملكُ من معاني المحبة الصادقة ما لو وزُعتْ على أهل عصره لوسعتهم، أو سقى منها مئات العطشى لأروتهم، فقد كان يحملُ قلباً مُجللاً بالمحبة الصادقة نَقِّيُها، ومعجوناً بمسكها رضيُّها.

فمن أي بابٍ دخلتَهُ جذبَكَ حديثهُ عنها، ومن أي سبيلٍ جئته قرّبكَ تزكيةً لديها، فيسترسلُ دوماً ذاكراً قواعدها وأسُسها ويُؤصِّلُ متنها وحاشيتها، إذْ هو الخبيرُ والملمُّ والعليمُ بلُحْمَتِها وسُداها، غواصّاً في أسبابها ومسبباتها وماهيتها.

ناهيك أنه يزيد حديثهُ السامع فيها حباً، ومهابةً وشوقاً، ويُحَمِّلُ عواتق المحبين معانيها وجلالها وجمالها.

ويقول: إن الحب يُحَوِّلُ – بإذن الله – المُرَّ حلواً، والتراب تبراً، والكدرَ صفاءً، والألم شفاءً، والليلَ نهاراً، والظلامَ نوراً، والقوة ليناً.

ويقول: الحبُّ الصادقُ المخلصُ، يذيبُ الحجرَ، ويذهبُ القهر، ويلين الحديدَ ويبعثُ الحياة في نفوس المحبين من جديد، والحبُ هو الجناحُ الذي يطيرُ به الإنسان إلى سماء الصدق والصفاء، والترقيات العالية الرفيعة، ويرتقى به إلى مدارج العلى والكمال والرفعة.

ومن ذاق طعم الحب يدريه ويعلمه، ومن ذاقه مرةً وارتوتْ به شِغَافُ قلبه لم تشبعْهُ غيره من الأشْربِةِ، وإذ سرى الحب في الراسيات ترنحت، وفي العاتيات مالت واضطربت، والحب هو نور الحياة، التي تتكشفُ به غياهب الظلمات، وتزول به غيومُ الآهات.

وهو شمسٌ ليس لها أفُوُل، وزهرةٌ ناضرةٌ لا يعتيرها ذبول.

والحبُ يجري من صاحبه مجرى الدم من العروق، خاصةً إذا وُضع في محله، وصادفه أهلُه وحلِه.

والحب الصادق هو عين الرضا، التي تَطَّلِعُ من نافذةِ العفوِ ورؤيـــة المحاســـن، وما أحسن ما كان يردُد:

إذا الحبيــبُ أتى بذنــبٍ واحـــدٍ   جـــاءتْ محاسنهُ بألفِ شفيـــعِ

وما وصفه للمحبة بتلك الأوصاف، وتجسيدها بهذه المعاني، إلا لأنه خَبِــرَ عيـــدانها، وجمع كنانتها، واستحوذَ على لبابها.

وسمعته مرةً يقول عنها:

اعلموا أنّ المحبة هي اتصال بين أجزاء العباد مقسمةٌ عليهم على حسبِ تحمـــل نفوسهم ورفعتها.

ويعتبرها قائلاً: إنها سرُ الله المكنونِ بينَ أحبابِه، الذين تتمـــازج فـــي نفوســـهم كتمازج الماء بالعود الأخضر، وتتشاكل من ثَمَّ في صفاتهم وطبائعهم.

وذلك على القاعدة النبوية القائلة:

الأرواح جنودٌ مجندةٌ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكرَ منها اختلف.

ويزيد قائلاً: أرواحُ المؤمنين تتعارف وتتآلف.

ويُقعِّدُ أن المحبة طاعة للمحبوب، وعمل بالمرغوب، وخشيةً لعلاّمِ الغيوب، لأن المحبّ الذي يدعيه، ويتمسك به ويرتقيه، فإنه لمحبهِ مطيعٌ، فينبغـــي أن يَكُــفَّ عـــن الحرام، إذْ مَنْ أصلحَ بابَ المحبة التي هي طريقُ النفس وهوايتها كانت أسرعَ الســبُل إلى قلبه وحواسه من غيرها.

ويتمثل بقول السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها:

يــا حبيــبَ القلــوبِ أنــتَ الحبيــبُ	أنــتَ أنســي وأنــتَ منِّــي قريــبُ
يـــا طبيبـــاً بـــذكرهِ يتـــداوى	كـــلُ ذي سُـــقمٍ فـــنعم الطبيـــبُ
طلعـــتْ شـــمسُ مـــن أحـــبَ بليـــلٍ	فاســـتنارتْ فمـــا تلاهـــا غـــروبُ
إن شـــمسُ النهـــار تغـــربُ بليـــل	وشـــموسُ القلـــوبِ ليســـتْ تغيـــبُ
فـــإذا مـــا الليـــلُ أسْـــبَلَ تســـتُّراً	فـــإلى ربهـــا تَحُـــنُ القلـــوبُ

ويتْبعُ ذلك بدموع المحبة الصادقة، يُدمعُ فيها قلوبَ الحاضرين، ويغـرسُ فـي قلوبهم حلاوتها، ويضيفُ لطائفها وروائعها، ويقول متمثلاً كذلك بقولها:

أُحبُـــكَ حبـــينِ حُـــبَّ الهـــوى	وحُبّـــاً لأنّـــك أهـــلٌ لـــذاك
فأمّـــا الـــذي هـــوَ حُـــبُّ الهـــوى	فشُـــغْلي بـــذكرِك عَمَّـــن سِـــوَاكَ
وأمـــا الـــذي أنـــتَ أهـــلٌ لـــه	فكشـــفُك الحجْـــبَ حتـــى أراكَ
فـــلا الحمـــدُ فـــي ذا ولا ذاك لـــي	ولكـــنْ لـــك الحمـــدُ فـــي ذا وذاك

اللهم نحمدُك حمد الحامدين، ونشكرُك شكرَ الشاكرين، ونثني عليك ثناءَ المحبين، أن تُكرمَنَا بصدق المحبة يا رب العالمين.

الحُكْمُ في فَتْوَاه

كان **شيخنا العارف بالله**، آيةً يَتَوَقَّدُ ذكاءً، وتلمعُ في جنباتِ حياته كلِها روعة الافتاء، وتصاغُ في صفحاتِ عُمرُه فقهياتُ المسائل، وتغوصُ فتَاويه في أعماقِ بحور كتبِ الفتوى، فتخرج منها الدُرَرَ والغُرَرَ لا على مثال سبق، ولا تأليفٍ اتسق، فقد أعطاه البارى تعالى لَبَّ المعاني، وروعةَ تركيب المعاني، وزاده بملْكةِ سرعةِ الخاطَرِ والاستخصار، مع جُودَة البيانِ والإيضاح، مُبَيِّناً مفسراً لسائله من غير عناء الإستيضاح، قوةٌ في الذاكرة، ومخزونُ علمٍ، وعمقٌ في التفكير والعطاء، مع اقْتران ذلك بمخافةِ الله تعالى، وعدم التسرعِ في الفتوى واعطاءِ الحكم، بلْ إن سمعتَهُ يُعطي الفتوى من بينِ ثَنايا يخالطها النورُ الملائكيُّ على لسانه المبارك قلت: إنه رَوِيٌّ كنسَماتِ الأسحار رقيقةٌ نَسَّامَةٌ يُدخلُها إلى العقول والأفهامِ بسلاسةٍ ولطافةٍ، فسبحان من جلاَّه وأعطاه.

وكان إذا سئل عن مسألةٍ ما... رأيتَ الكُلَّ يُصغُون بآذان القلب إصغاءاً كلياً ألاّ تفوتهم كلمة أو عبارة فتخلطَ عليهم الفهمَ والادراك، فإذا ما انتهى من الإيضاح والبيانِ، بالقاء حسنٍ، وعذوبةِ لفظٍ، رَدّاً على السؤال أو اجابةٍ عن استفسارٍ أو حكمٍ شرعي، تَرَاهُ وقد مَسَحَ الجهلَ من نفوسِ السائلين، وزَرَعَ فيها الحقَّ والعقل واليقين، فيعطي جواباً تَفِيْضُ الحِكَمُ منه فَيْضاً كأنها في طبيعتِها وسجيتِها وسلاستها الربيعَ المنفتحَ طِوالَ أيامه بالجمالِ والروعة.

بيد أنه عند الفتوى والاجابة، يكسبُ النفسَ راحة عَيِّ السؤال والجهل.

ويضيفُ مع الجوابِ الرائعِ خُلُقاً نذياً، وحكمةً ناضجة رضية، وما شاوَرَهُ أحدٌ إلاَّ وأيقنَ أن كلَ مَشُورَاتِهِ عن رأيٍ حَصِيْفٍ، وعقلٍ ناضجٍ، مع تقوى اللهِ في العملِ المطابقِ للعلمِ متبعاً لمقَامِ عِرْفانِهِ.

ونصحةُ: لا عقلَ كالتدبير ولا وَرَعَ كالكفِّ ولا حسبَ كحُسنِ الخُلقِ، ولا غنىً كالرضا، طبقاً لتعاليم رسولنا الكريمﷺ.

وبالجملة فمختارُنا رحمه الله مَسَحَ نفوساً جميلةً سامية فاخْضَرَّتْ ببركته علماً ومعرفةً، وأورقتْ وأثمرتْ ثمرَ العلومِ والمعارف، وذلك بسرِّ صفاء قلبه وسريرتِه.

وكنا كثراً ما نتدارسُ بينَنا، ونُمَحِّصُ الفتاوى التي خطتْها أناملُه فنقول:

إن فتواه جمعتِ الشَمْلَ، ولَمْلَمَتِ المتبعثر، واعادتْ الحق إلى نصابِه، والعقلَ ألى صوابه، بحكمةٍ ودراية، ورَوُيَة ونورانيةٍ وتقوى.

والسِرُّ في ذلك أنه كان يستخرج الحقائق، ويشرحها شرحاً مفصلاً منوَّعاً ومبْدعاً.

كما أنه يوصلكَ إلى مرادك بالإقناعِ والعلم إلى طريق الصواب.

ويذللُ كلَّ الصعاب، من غيرِ إفراط ولا تفريط، حتى يُوْصِلَ الجواب صامتاً رائعاً منسقاً مرتباً كمعجمِ الأبجدية، ولا يُبقي في ذِهْنِ السائل شكاً ولا ريْباً ولا لَبْساً، رحم الله شيخنا رحمة واسعة واسبْلَ عليه رضوانه أمين.

وهذه نماذج من فتواه كتبتْ بخط يده المباركة

الجمهورية اللبنانية

وزارة العدل

رقم ____________

حضرة صاحب السماحة مفتي الجمهورية اللبنانية المحترم .

ما قولكم دام فضلكم . في رجل يدعى رشيد السيد توفي وانحصر ارثه بشقيقه محمد علي السيد وبأختيه لأم هما عائشة بنت الشيخ سعيد قليلات وفاطمة بنت الشيخ سعيد قليلات ثم توفيت عائشة المذكورة عن أولادها وهم امينه وعبد الغني وجميل ونعيم وهند وبهية ونديمة لا وارث لها سوى من ذكر فما نصيب كل واحد من الورثة افيدونا ولكم الاجر والثواب م

السائل

جميل شاكر الجمل

الجواب عدد ٢٨٤

الحمد لله وحده : تصح مسألة الميراث بطريقة المناسخة والحالة ما ذكر من ستة وستين سهماً من ذلك الى فاطمة بنت الشيخ سعيد قليلات احد عشر سهماً والى محمد علي السيد شقيق المتوفى اربعة واربعون سهماً والحاصل لكل واحد من امينه وعبد الغني وجميل ونعيم أولاد شاكر الجمل سهمان والى كل واحدة من هند وبهية ونديمة سهم واحد تتمة السهام كما هي عادة كتب الفرائض والله سبحانه وتعالى أعلم م

أمين الفتوى

للجمهورية اللبنانية

في [illegible] شعبان المعظم ١٣٨٤

وفي ٧ [illegible] ١٩٦٤

الجمهورية اللبنانية – دار الفتوى – بيروت

خشوعه وصلاته

إن إمامة المساجد هي مهمةُ الأنبياء، وطريقُ الصالحين الأصـفياء، **وشـيخنا العارف بالله**، كان في زمانه إمامُ الأئمة، ونبراسُ كلِ همة، فقد كان يحـرصُ علـى الإمامة عند صلاتي المغرب والعشاء، في المسجد العمري الكبير، الذي يُعَدُّ من أكبـر المساجد في بيروت وأوسعها، وتقام فيه الشعائر الدينية والاحتفالات الرسمية والأعياد، ويحضرها المفتيون وكبار السياسيين المسلمين.

فكان شيخنا في إمامته بهذا المسجد محطَ أنظار المتذوقين، ومقصدَ الخاشـعين، ومطلوبَ المحبين، الذين يقطعون المسافات من أطراف بيروت، فيتوافدون إلى المسجد للإقتداء به، وإمتاعِ قلوبهم وأسماعهم بتلاوته وقراءته، ويتكاثرون حوله ويلتفُّون كمـا يلتفُّ السوار بالمعصم، رغبةً في اكتسابِ تلك الخشوعاتِ المنبثقة من صلاته وتجويده وليتك تسمع وترى، تلك القراءةَ الخاشعة والتلاوةَ الرائعة الراقية، التـي تـدخلُ إلـى القلوب من أوسع الأبواب، وتولدُ الدمعاتِ الصادقاتِ، فتزيدُ الإيمان إيماناً، والصـفاء صفاءً.

فقد كانت تلاوته لكتاب الله تعالى في الصلاة، كأنها تحاكي الأفئـدةَ المخلصـة، وتخاطب المكنونات والأسرار، إذْ هي تلاوةُ تَفَهُّمٍ وتؤدةٍ وتَمَعُنٍ، وذلك حـين تنطلـق الآياتُ من جَوْفٍ مفعمٍ بالإيمان والصفاء، من خلال نبراتِ رَخامةِ صـوته المُتَحَـزِّنِ خشوعاً، والمُعظِّم خضوعاً.

تخرج من خلالها أنفاسُه الرقيقةُ الطاهرةُ الطيبة، فتطرقُ مسـامعَ الحاضـرين والمقتدين طرْقاً رقيقاً مميزاً، فتحدثُ عندهم طرائق قِدَداً، والخشـوعاتِ والـدموعاتِ عَدداً ومَدداً.

حقاً إنه قمةُ الخشوع والحضور الذاتي والقلبي فـي الصـلاة، رقيـقُ القلـبِ والحاشية، خاشعُ الدمعةِ غزيرُها، تتقاطرُ حباتُ اللؤلؤِ على صحفات خديه لتسقى تلك

التقاسيم الخبيرة الحائرة الزاكية، وتبلْبِلُ ثغامةَ لحيتهِ الثلجية البيضاء، التي تضاهي البياض بياضاً والنورَ بهاءً.

فكان إذا ركعَ وسَجَدَ كأنه جبلٌ راسخٌ يهوى مسبحاً خاشعاً، وإذا سَبّحَ وكبّرَ كأنه صوتٌ يحادثُ الزمنَ الماضي والحاضر والمستقبل، وإذا سلَّمَ يُمْنَةً ويسرةً رأيت العواشقَ من النفوسِ المحبةِ تتدفق وتُسلِّمُ شكراً لله وحمداً وتسبيحاً.

ثم تراه بعد الصلاة يستحضِرُ لوامعَ الخشوع والخضوع مستقبلاً القِبلةَ لا يتحركَ قَيْدَ أُنْمُلَةٍ، فتحكم أنه غابٌ عن الحاضرين بخلوته الذاتية، كأنه واقفٌ لساعة الحساب والميزان.

فتخرج من فمه المبارك جملةٌ من الإستغفارات والتسبيحات ترافقها تنهداتٌ تَدُلُّ بنبراتها أنها خرجتْ من جوْفٍ مليء خوفاً، ومهابةً وصدقاً ورجاء.

ثم يلتفتُ إلى الناس من حوله ليفيض عليهم من الدعواتِ الزاكياتِ، التي لم يُسْبَقْ إليها. تلوحُ من ثناياها تباشيرُ الإستجابة لصدقها ويقينها، إذْ من يدعو لا بُدَّ أن يوقن بالإجابة كما ورد.

ثم يتسابق المحبون ليأخذوا يدهُ بكلتا أيديهم يتبركون بلمْسِها ولثْمِها وتقبيلها وهو يأبى عليهم ذلك خَجِلاً ومستغفراً.

ثم يتوكأُ مُسرعاً إلى مكانه المعهود، وهو البهوُ المشهود – وهو دار الفتوى سابقاً – فيجلسُ جلسةً يوجه فيها ويفيد ويرشد، وتتدفقُ تلك التوجيهات الرائعات والإرشادات الكاملاتُ لتوافق محلها ومكانها.

وهكذا دواليْكَ وسَعْدَيْكَ إلى أن قَضَّى سنيَّ عمرِه في إمامةِ المسجدِ والعلمِ والتعليم.

فجزاه الله عنا خير ما جزى عالماً صادقاً عن طلابه ورواده.

رؤيا مبشرة وأخرى مباركة

الصدق في المحبة، والثبات على الوفاء، والمضيُّ قُدُماً في منهجها، باعثٌ على الترقي والعروجِ إلى معالم الصفاء والطهارة، ويعكس على المحب الصادق نوراً ساطعاً، وعلى الوفيِّ براً ويقيناً صافياً، وهذا مما يَتَلَمَسُهُ المحبُ الصادقُ خلالَ مسيرته، ويستشعرُ به الوفيُّ عبر مشاهداته، وأنا لا أذيع سراً، ولا أهتِكُ حجاباً إذا قلت: إن هذا ما استشعر به وما زلتُ خلال حياتي كلها مع **شيخنا العارف بالله**، بَلْهَ إنّ كلَ من سلك هذا السبيل، واتَّبَعَ هذا الطريق، وجدَ حلاوة ما استشهدُ به، وشفافيةَ ما أذكره وأسطره.

فمن فضل الله تعالى عليّ ومنته وإحسانه، ورضاء شيوخي رضي الله عنهم، وحَفِيْفِ رضوان الوالدين وملازمته لي مدة عمري، زدْ على ذلك الشفافية الطيبة المنوطة بالعلاقة الحسنى، وصفاءِ الروح والقلب بيني وبين الخُلّص من أحبتي، **لازمني** التوفيق والثبات، ووفُقتُ بالمشاهدات اللامعات، والرؤى الثابتات، وذلك كلَ سنيّ عمري إلى يومي هذا.

وكانت تلك المشاهدات والرؤى المخصوصات تأتي كفلق الصبح واضحة وضوحَه، وكالقمر في منتصف الشهر بياناً.

وكانت بمثابة توجيه، أو بشارةٍ، مباركة، استهدي بها مستأنساً، كقنديل في وسط ليل مُدْلَهِم، يكشف غواّص الخفايا.

وأنا في خضم كتابة هذه الترجمة **لسيدي العارف بالله تعالى** والقلمُ ينسابُ انسيابَ المياه العذبة من سلسبيلها، ويجري جريان اللُسن في تعبيرها ونطقها، ويُنَظِّمُ حباتِ قلائدها وفرائدها، ويُدَبِّجُ عبارتها وتراكيبها، والليلُ في وَهْدَتِهِ وهدوءه وسكونه، وصفاء الوقت وركوده، أخذتني سِنَةٌ من النوم، وغفلةٌ من أطباق الجفون على العيون.

وأنا على هذا المنوال، صفيَّ القلب والحال، إذا بي أرى مثلما يرى النائم – **وكان ذلك من يُمْنِ الطالع** – وكأن روحي تحاكي الزمن صفاءً ورقةً، فنظرتُ فإذا بي أرى ثلةً من الأولياء، ومجموعة من العلماء الأصفياء، أناروا منزلاً يضاهي ضوءَ الشمس في رابعة النهار، وجوهُهم مستنيرة، وابتساماتُهم ألْمَعَتْ نواجذهم لكثرة سرورهم، ويعقبُ ذلك دررٌ تخرج من بين ثناياهم، وإذا بجاذبٍ يلتقطُ جسدي وروحي ويجذبني "كالمغناطيس" ويدخلُني إلى هذا المنزل الذي تكاثرت أنوارُه وَعَمّتْ أسرارُه، فرأيتُ **شيخنا العارف بالله** تعالى يترأسُ هذا المجلسَ المبارك، والاجتماعَ الميمون، فدخلتُ دخولَ المريد، على أطراف الأدبِ والامتثال كما أشاروا إليّ، وقد لبستُ لباس السكينة والوقار.

كان **شيخنا العارف بالله** رحْبَ القلب، حسنَ الوجه. في مقدمة هذه المجموعة الرائعة من العلماء والأولياء، وكان يبتسمُ ابتسامةً أظهرتْ ثنايا نورانية تحاكي الحُسن الرفيع، والرضا ينبعث من كَرِيمَتَيْه، وقد أظهره فرحاً محبوراً.

وقد عرفتُ من هذه النخبة الَخيِّرَةِ المباركةَ مَنْ على يمينه:

- الولي النقي التقي سيدي العالم الفاضل الشيخ أحمد العجوز رحمه الله تعالى والذي كان له فضل كبير علينا.
- والولي البركة المجد في خدمة أخوانه إلى آخر عمره إلى أن توفاه الله تعالى.
- الشيخ محمد الغزال رحمه الله، وقد صاحبته مدة خمسة عشر عاماً حكماً – ما زلتُ – في المحاكم الشرعية السنية، وقد استفدتُ منه كثيراً.
- والولي المحبُ الصدوق الصافي الدقيق الرقيق المربي الشيخ محمد الداعوق رئيس المحاكم الشرعية السنية العليا.

والذي كان مستودَع سرِنا وأسرارنا، ومتنفسَ شكوانا ومُلِمَّاتِنا، وهو آخر من ودّعنَاهُ من الثُّلَّةِ المباركة.

وبعد أن أمعنتُ النظر بالحاضرين، وَأيْقَنْتُ أنْ قد حَفَّني رضاهم أجمعين، فإذا **بشيخنا العارف بالله** يناديني ويقول: "يا شيخ صلاح" أقْبِلْ... أقْبِلْ.. فامتثلتُ بين يديه، فقال: ضع يدك في يدي، فوضعتُ يدي بيديه، فشعرتُ وكأن سِلْكاً كهربائياً فيه سرٌّ من أسرار الله تعالى قد خالط جسدي وقلبي وروحي، فانْتَفَضْتُ انتفاضةَ العصفورِ بلّله القطر.

ثم قال لي: "يا شيخ صلاح" لقد جعلتُك خليفةَ عني، لقد جعلتك خليفةً عني.

وكَمّا كرّر هذا الكلام، أخذتني رِعْدةٌ صاحبَها نشوةُ الفرحِ والسرورِ على هذه الخصوصية النادرة.

عندها قال الشيخ محمد الداعوق رحمه الله:

يا مختار – وكان يناديه دوماً هكذا من غير كلفة – يا مختار كيف **خَلَّفْتَهُ** وشيخنا الشيخ محمد أمين الكرديﷺ لم يخلِّفْنا؟؟.

عندها نظر إليه مبتسماً فرحاً وقال: أنا أجددُ له الطريق... أجددُ له الطريق...

فاستيقظت من هذه الرؤيا، بصدر منشرح، ونفسٍ طيبة، وعلاماتُ الرضا والقبول تلازمني وتحوطني إحاطة السِوَارِ بالمِعْصَم.

وبعد سبعة أيام من هذه الرؤيا المباركة، والتي لم تفارقني حلاوتها منذ رأيتُها، وخلالَ كتابتي بعض هذه المواضيع، وعقارب الساعة تحاكي منتصف الليل، خَلَدْتُ إلى النوم ذاكراً مسبحاً مثنياً على مَنْ أكتبُ عنه وأترجم.

فإذا بي أرى فيما يراه النائم، مجموعةً كبيرةً من الأولياء أعرف جلّهم – كما هي الرؤيا – وجوههم كالأقمار المضيئة، تلمعُ لحاهُم لمعانَ النجوم في كبد الظلمة الليل الأليل، وأنا... أنا مستلقٍ على الأرض مطمئناً، فأقبل أحدُهم واسمه (أبو النور) فصار يقبلُني من خدي وفمي مرات عديدة، وكرر ذلك حتى استحيت.

ثم قال لي: انظر إلى هذه العلامة الصفراء الفاقعة فَنَظَرْتُ وكأني بها رسم نعليٍّ النبيﷺ، فناداني... قلت نعم، قال: لولا أن رسول اللهﷺ خاتم النبيين ل.... وسكت، لولا أن رسول الله ﷺ خاتم النبيين ل... وسكت.

فاستيقظت من الرؤيا، وقد ملأ المولى قلبي حبوراً وسروراً، دلالةً على رضاء الأولياء عني، وأن الله تعالى سيخصنُا ومَنْ لاَذَ بنا ببركةِ **شيخنا العارف بالله تعالى.**

اللهم حقق ذلك يا رب العالمين.

تبحره في اللغة العربية

المشهور من كُتُبِ التراجم، وسيرةِ الرجال والعلماء والأولياء، الذين تضارعُ همتُهم ثبات الأوتاد من الجبال، الإطنابُ والاسترسال والتطويل، وهذا يدلُ على سعةِ عقلٍ وفكرٍ وعمقِ المتَرْجَمِ والمُتَكَلَّمِ عنه.

فكيف ونحن نتكلم عن دُرَةِّ الشوارق في المغارب والمشارق، **وشيخنا العارف بالله**، قد اخْتَمَر عِلْمُه، وازدادتْ معرفتهُ وتعددتْ عوارفُ معارفه، ولمعتْ في الآفاق شوارقُه، فمن أي باب من العلم أَتَيْتَهُ وجئته يفتحُ لك بابَه، فيشفي منك الغليل، ويعطيك الروائع مِمَّا قيْل، حتى غداً مميَزاً ومتَميَزاً.

ولم يكن تَمَيّزُه بالفقه حتى سُمّي شافعيَ زمانه، بل نَبَغَ وَبَرَعَ في اللغة العربية، حتى علا على أقرانه، حيث أتى بها بالفرائد والغرائب.

ولو رآه السيوطي لترجم له في طبقاته، أو عاصره ابن فارسٍ لاستشهد به في مجمل لغته أو عاينه سيبويه لَمَثَّلَهُ في كتابه أو التقى به ابن مالك لأثنى عليه في أَلْفِيَّتِه.

فقد كان رحمه الله تعالي يتقن ألفية ابن مالك حفظاً وشرحاً، ووقوفاً عند شواهدها وأمثالها. ويستحضرها أمامه مستدلاً بأبياتها كالبحر الزخّار، كما أنه كان إذا شرح مسألة من مسائل اللغة العربية فعلى أسلوب اللغويين، أو غاص في إعرابٍ ونحوٍ فعلى طريقه النحويين.

فقد كان أديباً فاضلاً، ونحوياً معرباً، ولغوياً حاذقاً، فأتقن فنها وعلمها.

فعن مغنى اللبيب حدث حديثاً لا حرج يكتنفه، وعن المزهر زدِ الحديثَ رونقاً وعروجاً، فقد لفت الأنظار، مما أتى باشتهار وازدهار.

وحق فيه القول: "**قطعتْ جهيزةُ قول كلِ خطيب**" فقد كان يستحضرُ الكثير من الأمثلة اللغوية، المنسوبة إلى قائليها، ولم يَعْلَمْ مِثْلُهُ فيها، ولم ترَ العين له شبيهاً.

وإني أعطيك بعض الروائع اللغوية التي استفدناها منه، وارتشفناها عنه، وما أكثرها وأغزرها.

أولاً: ذَكَرْتُ في مجلسه عبارةً ضربها العرب مثلاً، واستعملها الخطباء والكتابُ في خطبهم ومقولاتهم.

وهي: صار القوم في حَيْصَ بَيْص، وهذا يضرب مثلاً لمن وَقَعَ عليه أمرٌ لا يستطيعُ أن يتخلص منه، فراراً أو فَوْتاً.

فأفاد فائدةً واضحة، وأعطى نماذج رائعة.

فقال: إن لفظ "حَيْص" صحيحة على أوزانها بيْدَ أن لفظ "بَيْص" على غير وزنها، إذ هي من ذوات الواو، أي "حَوْص" ولكنها صارت ياءاً لتتناسب في اللفظ مع أختها فآضت "حَيْص بَيْص" للتناسب اللفظي، وهذه من المستخرجات الصعباتِ من بطون الكتب اللغوية، فلله درّه.

ثانياً: وقد شرح مرة كلمة "سبحان" المصدر فأتى منها من الأقوال بالعجيب، وأوضحَ فيها ما يُفهِمُ العالمَ اللبيب، ويَلَذُّ في معانيها كل بعيد وقريب.

وذكر منها أن كلمة "سبحان" وردت في كتاب الله تعالى مما يتصرّفُ منه الفعل من جميع وجوهه.

أتى بلفظ فعلِ الأمر "سَبِحْ باسم ربكَ الأعلى"(١).

وأتى بلفظ فعل الماضي "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ"(٢).

وأتى بلفظ الفعل المضارع "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ"(٣).

وأتى بلفظ المصدر "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً"(١).

---

(١) سورة الاعلى الآية (١).

(٢) سورة الحديد الآية (١).

(٣) سورة الجمعة الآية (١).

(١) سورة الاسراء الأية (١).

ثالثاً: سمعنا منه مرةً يقول: إن الاسم الذي في آخره ونهايته **ألفُ** التأنيث مثل: حمراء أشدُ تَمَكُّناً في التأنيث من الاسم الذي في آخره **تاءُ** التأنيث مثل: طلحة، لأن الفَ التأنيث الموجودة في حمراء مثلاً لم تخرجِ الكلمة من تذكيرٍ إلى تأنيث بل بقيت على تأنيثها.

أما تاء التأنيث الموجودة في طلحة ما صيغت الكلمةُ عليها وأخرجتِ الكلمة من التذكير إلى التأنيث.

لذا تقول فيها: مؤنث مجازي.

وإتماماً للفائدة قال: ولهذا المعنى قام التأنيث بالألف من منع الصرف مقام شيئين – عِلَتَيْن – بخلافِ تاء التأنيث.

حقاً: إن **شيخنا العارف بالله** تتمتعُ بعلومِه العقولُ والأبصار، لما أوتي من محاسن العوارف، والأخبار والمعاني الرائعة.

مجلسُه المبارك

إنَّ مجالس العلماء يُمَيِّزُها العطاء والحلم والعلم، إذ هي ثرّةٌ وثروةٌ لا تُقــدّر ولا تُحصى فوائدها، وهي مستراحُ الأولياء الأصفياء يَكْسُوها الاحترام والتقدير والجــلال والجمال، ويحوطها حفيفُ الملائكة الكرام، ويعمها الصفاءُ والوفاءُ، والبركةُ والنــورُ والحبور.

فكيف إذ كان المجلسُ والمستراح هو مجالسةُ مَنْ أجمعَ اللهُ له هاتين الصــفتين والمنْقبتين الرائعتين. **شيخنا العارف بالله تعــالى** ونحنُ ولله الحمدُ المحبون الصادقون، الذين أُكرموا بملازمته مدةً مديدة، وسنين عديدة، وشملتْهم الخصوصيات الفريدة، مــا نالَ الشكُ منَّا لحظةً أو هنيهةً في ولايته وكرامته وأنه من الأولياء، وما شابَ قلوبَنــا خواطرُ قريبة أو بعيدة لِتصُدُّنا عن محبته وعشقه ومودته. بل كان ما زال بالنسبة إلينا حياً وميتاً، شجرة وارفة الظلال، طيبة الثمار، نستظلُ بِظِلها، ونُغذي أرواحنا بصفائها، غضّةُ الأغصان، عاطرةُ الشذا تحنو على الجالسين فتحفهم براوئع النّسمات، فيشعرون بلمسات فيئها فتغطي حرارة قلوبهم فيكتسبون برودة اليقين، فيستمر ظلُهــا الظليــل، يشمل كل محبٍ وخليل.

مجلسُه يُعّزُ فيه الجالس، وترتقي فيه روعة المُجالِسِ والمُجــالَس، فيكــرم فيــه الضيف، ويغمرُ قلوبَهم محاسن الطَّيْف [١] فتحفظ فيه الحرماتُ، وتُذْكَرُ فيه المكرماتُ، فيشعر بذلك كلُ من جالسَ وجانسَ، وبالحديث الطيب المبارك شاركَ وآنس، فإذا أتــاه زائرٌ لحاجةٍ من الحوائج، أو طالبُ علم أو فتوى، لشرح مشكلة أو معضــلةٍ، فإنــه لا يغادر دارته بإرادته، بل تراه وقد شدّتْه محاسنُ أخلاقه، وحلاوةُ حديثه.

---

(١) الطيف: الخيال واللمسة الطيبة.

وكثيراً ما كُنَّا نرى مَنْ قَصَدَهُ مستعجلاً لفتوى أو استفسارٍ أو شكوى نراه وقد مَكَثَ ساعات طوالٍ يتلذذُ بحسن الحديث، فيُغذي روحَه بهذا الغذاء الفريد العجيب فسبحان الذي أعطاه ووهبه لُبَّ روائعِ جواذبِ القلوب.

كما أن كلَ مَنْ قصد داره ومجلسه وَجدَ مبتغاهُ ومقصوده، وقُضيتْ حاجتُه مهما عظُمتْ فيحكمُ حكماً لا لُبسَ فيه أنه أتى ركناً ركيناً، وبيتاً حكيماً، ويصدقُ عليه المثل: **في بيته يُؤتى الحكَم**[1].

فمن ولَجَ بابه المشرع ليلاً نهاراً وصباحاً ومساءاً، يجزمُ أنه قصد حصناً حصيناً. يتكاثر عنده السائلون ليأتوا الحَكَمَ في بيته ومحله.

فابتغاءُ العلم والتزودُ منه مقصدهم، والاكتساب كي تصفو قلوبهم مرادُهم، فالغَثُّ في نظره سميناً أدباً وتعليماً، والخائف عنده آمناً وضميناً، والتواضعُ عنده عبادة والعزةُ بالله سيادة.

وما قصدَهُ عارفوه ومحبوه إلا لأنهم أيقنوا أنه يعتنقُ ابكار المكارم.

وبما أنّ سجَّيَتَهُ المحامدُ من الأخلاق، فقد ولَّدت تزاحَم الروَّاد على بابه، والعقلاء لزيارته، إذ عند الموردِ العذبِ تكثرُ الظمآن، ولسان كل واحد منهم يقول:

- إن العالم يتضائلُ علمُه بعلمهُ.
- والذاكرُ يَسْتقِلُ ذكره بذكره.
- والكريم ينكسِفُ كرمُه بكرمه.
- والمتواضع يذوبُ تواضعه بتواضعه.

فمجالسُهُ نبويةٌ نورانية، أدبيةُ رحمانيةٌ، لا تنتهكُ فيها المحارم، ولا تهتكُ فيها الأستار، ولا تُسْتَغَابُ فيها الأنفس.

---

(١) يضرب مثلاً لمن يريد أن يصل إلى مقصوده ومبتغاه.

أجل... إذا أتيتَه فكأنك وضعتَ الدينار – لكشفه – في كَفِّ ناقدٍ، وإذا نظرتَ إليه بعين القلبِ وجدّتَهُ فاقَ كلَ ذاكرٍ وعابد.

وتزدان مجالسُه رونقاً وبهاءً عندما تتدفقُ من لسانه الطاهر فهومُ القوم، وروائع المعارف، فيعشقُ الزائرون هذه المجالس، ويتمنون وقوفَ عقارب الساعة مما يُداخلُ قلوبهم من سرور وبهجةٍ وحبور، فتنجذبُ قلوب الجالسين بحديثه وأسلوبه.

أما كلامه عن التصوف وأنواع العلوم والرقائق وكلام القوم الأكابر فيشدُّك حديثه إليه، ويستميلُ قلبكُ نحوه من غير شعور شاعر، أو إدراك مدرك.

ويجعلك تجزمُ يقيناً أنه من الأولياء النجباء الذوَّاقين، الذين جمعوا من لغاتِ القوم ومفاهيمهم ما تفرّق، وأنه كالسالفين الماضيين الذين نظموا من منثورِهم ما تشتت.

ومما اشتهرت فيه مجالسُه على ألسنة القاصي والداني، أنها مجالس تغني الحاضرين الجالسين بنصائحه المنثورة والمنظومة.

وأنها مجالس خير وفضل وبركةٍ مبرورة مشكورة، وأنها من ساعاتها محفوفةٌ بالسعادات والطاعات والعبادات.

وأنها عُرفت – إجماعاً – بالبركات والتحيات.

وأنها درجاتٌ إلى سُلّم المعرفة والعلوم، يرتقى سالكها إلى النجوم والمعالي.

وبحق أقول: إن **شيخنا العارف بالله** كان جليساً ودوداً صالحاً، ممزوجاً بريحٍ طيبة كالمسك يَعْبَقُ شذاه وأريْجَه، ومجلسهُ من مجالس النبوة مقتبساً، أخلاقاً وصفاء وعلماً وأدباً وذكراً.

ولو رأيت ثَمَّ رأيتَ تلك المجالس الكريمة الرائعة، واللقاءات المباركة اللامعة، لحكمتَ حكماً لا يقبل الرد، ولا يحدُّه الحد، وقلت بلسان الصدق والجد:

إنه واسطة العلماء عقداً، وزينةُ الفقهاء سَمْتَاً، وروعةُ الأولياء دهراً.

بل زاد عليهم زيادةَ الشمس على البدر، والبحرِ على القطر.

بل كان هُلاّل الليل به يهتدون، وعند الشدائد يفتقدون.

دينّه كمالٌ بل أكمل، ومجلسه مجلسُ جمالٍ بل أجمل فحبُّهُ فيه صادق، ونظـــره حادق، وقلبه فيه الأشواق، وفيه العلم والترياق.

رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا ببركته آمين.

اذكروا الحسنات ولا تذكروا السيئات

إنَّ مجالسَ الأولياء والصالحين والعارفين تَحُفُّها ملائكة الرحمن، وتحوطُها لوامعُ الصدق والإيمان.

وأيُ كدرٍ أو تعكير يعترى هذه المجالس يُذهبُ رونقها وبهائها وبركتها، لأن جلساتِ أهل البركةِ والودِّ والخير لها ميزةٌ ظاهرة واضحة، وعلامات مُبيِّنَةٌ فارقة، تنسابُ فيها الرقائق وتُكشفُ فيها الحقائق، وتطرح فيها الدقائق.

كما أن قلوب أهل الله ﷺ ثُريّاتٌ أضاءت الدنيا، فلَمَعَتْ صفحاتها على جبين الدهر دوماً، إذ هي كاللُّجيْنِ ناصعة لا يشوبها كدر، ولا ضرٌ أو خطر.

وهكذا كانت مجالس **شيخنا العارف بالله** فيها السكينة والوفاء، والأدبُ والأخلاق، فإذا حصل فيها ما يعكرُ الصفوَ، ويبعدُ عن جادة الأنوار والهداية والرشد، أو هَفَا أحدُ الحاضرين بكلمةٍ أو عبارةٍ أو تُهَمةٍ، رأيته – رحمه الله – يقوِّمُه أشدَّ تقويم، ويُسدِّدُه أرضى تسديد، ويقاربُه بالخُلُقِ الندي والكلام الرضي، ثم يَنْتَضِي بوعظه البتار، ونُصحهِ المدرار.

وأذكرُ أن أحدَ الحاضرين، من رواد المجلس الدائمين، تناولَ شخصاً وانهال عليه بكلمات، ورماه بعبارات، ونبش له السيئات – ومَنْ مِنَّا ليس له سيئات مكفوفة – والمُتَكلَمُ عليه ذو مكانة مرموقة وجاهٍ عريض، وصار يغُوصُ معترضاً على أعماله وتصرفاته.

فلو رأيت ثَّمَ رأيتَ كيف أن **شيخنا العارف بالله** قد تغيرتْ تقاسيمُ وجهه، وتبدلتْ ملامحُ هيئته، وظهرتْ عليه علامات الغضبِ لله تعالى، وبدا غيرُ راضٍ عما قيل في مجلسه وتحت سمعه.

فقال سائلاً منكراً ومعلماً: تكلمتَ عنه بالسيئات ألم تكنْ له حسنات؟؟ ألم تكنْ له حسنات؟؟ فقال المتكلمُ: بلى... قال: اذكروا الحسناتِ ولا تذكروا السيئات، تَغْنَمُوا وتُؤجَرُوا وتبقى الملائكة تَحُفُّكم، وينزلُ المولى عليكم السكينةَ والخشية.

وبالجملة فإن مجلسَهُ رحبُ المنْقلبِ والحديث، تُحفظُ فيه الحرم، وتُصانُ فيه العهود. في مهابةٍ ملموسة، وصيانة محسوسة.

والغرابة أنه إذا أراد أن يذكرَ أحداً ممن لا يستجيزُ كشف عورته، أو الإفصاحَ عن مساءته، رأيتَه يأتي بحكمةٍ ودراية من تَوْريةٍ وتعريض، فلا يُبقى في ذهنِ الحاضرين أدنى شُبْهَةٍ تقودُهم إلى الظنّ الذي يقود إلى الإثم، أو يعكرُ القلب.

والوصية الصوفية: "إذا ظنَنْتَ فلا تُحقق".

وإذا اضطر لذكرِ أحد – على سبيل الإرشادِ والتوجيه والأمانة التي حملها – ذَكَرَهُ من غير ضرر يُلْحَقُ به، أو يُشينُهُ بسوء فلا يشطُ بكلامه، ولا يحيطهُ القلق ولا يساورُه الشكُ، بل يذكرُه من غير خدشٍ ولا عيبٍ يتبعهُ، وجُلُّ ذلك يكون بحضرة من تُوَجَّهُ إليه النصائح والإرشادات.

هكذا كانت تزكو مجالسه المباركة، وتحلو حلقاته المستنيرة، فترنوا إليها الأبصارُ المؤمنة الصادقة، والأفئدة الطاهرة، وتتزاحم ركابُ الصادقين في رحابه.

فجزاه الله جزاءً عما سنَّ لهذه المجالس من سُنَنٍ مباركة.

عقيدة راسخة في التوسل

سئل **شيخنا العارف بالله** عن التوسل وجوازه، وما هي العقيدةُ الصحيحةً التي ينبغي أن نسير عليها وأن نعتقدها، وأن نتمسك بها، فكتبنا عنه مشافهةً فقال:

التوسلُ هو الطلبُ من الله تعالى مباشرةً مع الاستشفاع إليه بمنْ يحبُّ كالأنبياء والصالحين، أو بما يحبُّ من الأعمال الصالحة، مع الاعتقادِ أن المتوسَّلَ به عبدٌ صالح والعملَ المتوسّلَ به يقرّه الشرع ويؤيده، كما توسلَ الثلاثة الذين سدّت عليهم الصخرةُ مدخلَ الغار – كما ورد في الحديث الصحيح.

أنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ ﷺ قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقول انطلق ثلاثة رهطٍ ممّن كان قبلكم حتى أوَوُا المبيتَ إلى غار فدخلوهُ فانحدرت صخرةٌ من الجبل فسدّت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمَالكم فقال رجلٌ منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنتُ لا أغبقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي في طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبتُ لهما غبُوقَهُما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبقَ قبلهما أهلاً أو مالاً فلبثتُ والقدح على يدىّ أنتظرُ استيقاظهما حتى برق الفجرُ فاستيقظا فشربا غبُوقهما اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج قال النبي ﷺ وقال الأخرُ اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليّ فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنةٌ من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أَحِل لك أن تفُضَّ الخاتم إلا بحقه فتحرّجتُ من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلتُ ابتغاء وجهك فافرُج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبي ﷺ وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحدٍ ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرتْ منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أدِّ إليَّ أجري فقلت له كل ما ترى من

أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً الله فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون.

وقد ذكر العلماءُ الصالحون التوسلَ وجوازَه وأدلته، وعَدَّدوا حُجَجَهُ واستدلالاته، وأن حجيةَ التوسُّل ثابتةٌ بالكتاب والسنة.

أما الدليلُ من الكتاب، فقد قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ"[(١)]، فأطلق الله الوسيلة ولم يقيدْها بشيء.

وأما الدليل من السُنة:

أولاً: حديث الأعمى الذي أتى إلى الرسولﷺ، فَعَلَّمَهُ دعاءً يدعو به ربه ويتوسلُ به كي يردَّ الله به بصره ويعافيه.

فقال: يا محمد! أني استشفع بك على ربي في رد بصري.

فقال: إن شئتَ دعوت، وإن شئتَ صبرت فهو خيرٌ لك، قال: أدعُ الله لي، فقال النبيﷺ له: أذهب فتوضأ وصلِّ ركعتين ثم قل: **اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمدُ إني توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه لتُقضى اللهم فشفِّعهُ فيَّ، فما لبثَ الرجلُ أن رجع وكان لم يكنْ به ضرٌ، أي عاد بصره إليه.**

(قال الطبراني هذه حديث صحيح). وأن عثمان بن عمر تفرّد به عن شعبه، وهو على شرط الشيخين (كما رواه الترمذي)، وابن ماجه والبيهقي ونصّ على صحته خمسة عشر حافظاً كلُّهم ثقات.

ثانياً: استسقاء سيدنا عمر بن الخطابﷺ بسيدنا العباسﷺ عم النبيﷺ، فانزل الله عليهم المطر وسقاهم (رواه البخاري)، فعن أنسﷺ قال: إن عمر بن

(١) سورة المائدة الآية رقم (٣٥).

الخطاب﷛، كان إذا قُحِطُوا استسقى بالعباس﷛. فقال: اللهم إنّا كنّا نتوسلُ إليكَ بنبيك ﷺ فسقيتنا، وإنا نتوسلُ إليك بعمِ نبيك فاسقنا، فيُسقون.

يقول **شيخنا العارف بالله**: ومن احْتَجَّ أن ذلك التوسلُ مخصوصٌ بالأحياء فقط أي بحياة نبينا محمد ﷺ أو حياة سيدنا العباس﷛ فيقول: إن حياته ﷺ ووفاته تتساوى عند الله تعالى في هذا الشأن.

وكما أن الصحابة والصالحين العالمين تبقى بركتُهم وشعاعُ اعمالهم الصالحة في أرجاء الدنيا ولا تخبوا أو تندثر.

والوسيلةُ هي ما يتقربُ به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي. وهي مشروعةٌ لأنها وسيلةٌ بين الله تعالى والعباد والقسمِ عليه بالصالحين وأعمالهم.

وهذا لا شك في جوازه، ولا يتوقفُ على أفضليته من الطالب. بل قد يطلبُ الفاضلُ من المفضول.

فقد صَحّ أن ﷺ قال لعمر﷛ لما استأذنه في العمرة "لا تَنْسَنَا من دعائك".

وقد قال العِزُّ بن عبد السلام بجواز القول: اللهم إني أقسم عليك أو أسألك بفلانٍ إلا ما قضيتَ لي حاجتي.

ويجوز ذلك في النبي ﷺ لأنه سيد ولد آدم.

وقد أحالنا شيخنا إلى تفسيرِ روح المعاني للألوسي.

وقد قال بعد حديث طويل: وإنني لا أرى بأساً في التوسلِ إلى الله تعالى بجاه النبي ﷺ عند الله تعالى ويفسر ذلك بجواز قولك: إلهي أتوسل إليك بجاه نبيك ﷺ أن تقضي لي حاجتي، - أي - إلهي اجعل محبتَك له وسيلةً في قضاء حاجتي.

وقال: كما أن التوسل بجاه غير النبي ﷺ لا بأس به أيضاً، إن كان المتوسَلُ بجاهِ مما عُلِمَ أن له جاهاً عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته.

وقد نقل الحافظ العراقي في فتح المتعال بسنده أن الإمام أحمد بن حنبلﷺ أجاز تقبيل قبر النبيﷺ وغيره تبركاً.

وعندما رأى ذلك ابن تيمية تعجب، قال: وأي عجبٍ في هذا وقد روينا أن الإمام أحمد بن حنبلﷺ، تبرّك بالشرب من ماءٍ غُسِلَ به قميصُ الإمام الشافعيﷺ .

بل قد روى أبن تيمية وغيرُه تَبَرُّكَ أحمد بآثار الشافعي.

وذكرَ لنا أن سيدَنا خالدَ بن الوليدﷺ تَبَرّكَ بشعر النبيﷺ.

والشافعي كان يقول: قبر موسى الكاظم الترياقُ المُجَرَّب.

وقد توسل الشافعيﷺ بزيارة قبر الإمام أبي حنيفة مدة إقامته بالعراق. وقد ذكر ذلك صاحبُ تاريخ بغداد بسند صحيح.

وثبت أن الصحابي الجليل سيدنا بلالﷺ مَرَغَ خَدَّيْهِ على عَتَبَاتِ الحجرة النبوية باكياً، ولم يُرْوَ أن أحداً من الصحابة الكرام أنْكَرَ عليه.

كما أن عبدالله بن عمرﷺ – والمشهور عنه أنه كان شديدَ الإتباع لسُنّة رسول اللهﷺ – كان يتبرك بوضع يديه مكان يديّ رسول اللهﷺ على منبره.

وقد أتى **شيخنا العارف بالله** بشواهدَ كثيرةٍ كالتبرك بآثار رسول اللهﷺ.

كَبُرْدَتِهِ التي أهداها لكعبِ بن زهير لما مَدَحه بقصيدة طويلة.

وكالتبرك بريقه ولمسات يده عليهﷺ.

ويقول: مِنْ هذه المعاني كلها يظهرُ لكم جوازُ التوسلِ والتبركِ بالأنبياء والأولياء والصالحين الأحياء منهم والأموات, وكذلك بآثارهم التي تذكرنا بالصالح من أعمالهم وأفعالهم ولا يُنكر ذلك إلا مكابر.

وأحالنا إلى كتاب شفاء السقام للإمام السبكي وكتاب النبهاني، في جامع كراماته ومعجزاته وكتاب الشفاء للقاضي عياض وشرحه نسيم الرياض.

اللهم إنا نتوسل إليك بنبيك محمد نبي الرحمة أن تزيدنا محبة به وبأوليائك يا رب العالمين.

خلاصة

حياة محفوفة برياحين العلم والأنفاس الطاهرة

١- كرامة الله تعالى وبداية طريق العلم والمعرفة والصحبة.

٢- معرفتنا الأولى بشيخنا العارف بالله تعالى.

٣- ملازمتنا لشيخنا العارف بالله تعالى.

٤- صورة ومرآة قلبه الصادقة وانعكاسها على المحبين.

٥- التزامنا بمجالسه ودروسه.

٦- فتح لنا باب قلبه ومنزله.

٧- السفر يسفر عن أخلاق الرجال.

٨- ذهابنا لأداء فريضة الحج.

٩- تفرغنا لطلب العلم الشرعي.

١٠- كان والداً ومرشداً ومستراح النفس والقلب.

١١- بداية ملازمته البيت.

١٢- اهتمامه بنا ورعايته المتواصلة.

١٣- توسع مجالسه ومشاركة المحبين.

١- كرامة الله تعالى وبداية طريق العلم والمعرفة والصحبة.

أقول: إن المولى جلَّ جلالُه، قد أكرمنا بفضله ومَنِّه، وأمتــعَ حياتَنــا وأيامَنــا وأعمارنا وأبصارنا، فالتقينا **شيخنا العارف بالله** فرأيناهُ عَلَماً من أعلام الإسلام والعلم، ونوراً من أنوار النبوة، وبقية السلف الصالح، العالمَ الكبير، والصوفيَّ الزاهد، والمربي البارع، جامع شتات العلم والفضل.

عليه رحمات الله تعالى وأسْبَلَ عليه سحائب رضوانه وبركاته آمين.

٢- معرفتنا الأولى بشيخنا العارف بالله تعالى:

إذا أراد الله أمراً يوافق قضاءه، أو شاء إظهار أمر خَفِي سِرُهُ على الكثير من خلقه، يَسَّرَ لَهُ، وسهل لهُ فتح أبوابه.

فمنذ حداثــةِ السِّنِ، وبدايــةِ العمــر، سنة ١٩٦٣ ميلادية ١٣٨٢هــ ألهمنــا الله الترددَ بين الفَيْنَةِ والفَيْنَةِ إلى المسجد العمري الكبير وسْط البلد، في ساحة المعرض المعروفة اليوم، والذي كان يؤمُ الناس فيه – مغرباً وعشاءاً – شيخ مليءَ حكمةً وعلماً ووقاراً وأدباً وتواضعاً، هو **شيخنا العارف بالله تعالى.**

وكنَّا غالباً ما نقتدي به في صلاةِ العشاء، ونتحينُ الوقتينِ لنكتسبَ من بركاتــه وعلمه، حيث كان إذا انفتَلَ من صلاته أكَبَّ الناسُ عليه، وغصَّ المجلس مــن حولــه وكثُرَ السائلون وتنهالُ الأسئلة من كل جانبٍ وحدبٍ وصوبٍ، وكنتَ تراه، يجيب بأدبٍ معلماً ومرشداً يسدد ويقارب ويقنع، وصدرُه رحبٌ ونفسُــه طيبــةٌ مُنْبسِــطةٌ، يُســبِكُ الكلماتِ بصوته الرخيم، وأسلوبه الرقيق، بعباراتٍ موزونةٍ مرصَّــعةٍ كعقــدِ اللؤلــؤ النضير، فلا يُبقي في ذهن السائل أي أشكال أو إيهام لجواب السؤال، ويُحكِمُ الأجوبــة

إحكام الخبير، فيردَّها إلى أصولها وأمهاتِ كتبها، رشفاً من البحر أو غرْفاً من الـديِّم، أدبٌ يحوطُه الاحترام والتقدير، وعلمٌ تكتَنِفُهُ السكينة والوقار.

٣- ملازمتنا لشيخنا العارف بالله تعالى:

عزيزي القارئ المطَّلِعُ على صدقِ مقالتي، وحقيقة أنفاسي وعباراتي، ليتـك كنت معنا ساعتئذٍ، ساعةَ ملازمتِنا لآية العلم والمعرفة، حتى ترى السَّمْتَ البهيَّ والخُلُقَ المحمدي، الذي يفيض منه الخيرُ والنورُ، والعلمُ والصدقُ والوفاءُ والأدب.

وحقاً نقول: لما رأتْ أعينُنا هذه الشخصيةَ الفذَّةَ المُهَابَة، دخلت محبتُهـا إلـى قلوبنا منْ أوسع أبوابه، ومِن غير استئذان، إذْ محبةُ الصـالحين الصـادقين، تختـرقُ الأجسادَ إلى القلوب والأفئدة، بل مكثت فيه واستحكمتْ استحكامَ المحبةِ لأهـلِ العلـمِ والكرامةِ والولاية.

فمن يومها صار شغلنا الشاغل، رؤيتُه ولقاؤه، والتمتع بالجلوسْ بـين يديـه، لنستفيد من علومه، ونظفر بمحبته، ونكتسبَ من أنواره، ونقتديَ بأخلاقه ونرتشفَ من إرشاداته وتوجيهاته.

٤- صورة ومرآة قلبه الصادقة وانعكاسها على المحبين:

إن الله تعالى له خواصٌ في الأمكنـة والأزمنـة والأشـخاص، ومـن هـذه الاختصاصات، والنورُ الربَّاني أن خصَّ المولى تعالى، إخوةً لي، صدقوا في محبـتهم وصحبتهم، فانعكستْ مرآةُ قلبه علينا وعليهم، لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليـه مـن المحبة وصدقِ الصحبة، وطلبِ العلم، والاستفادة من بحر علومه.

واني اعتبرُهم النواة الأولى لحمل أمانة العلم والمعرفة والتصوف، ومنهجيـة **شيخنا العارف بالله تعالى** وأسلوبه وطريقته، وأخصُّ منهم في ذاك الوقت الـذهبي أي عام ١٩٦٣م.

سيدي وأخي وقرة العين منِّي **فضيلة الشيخ حسين حسن صعيبة**، أمتع الله به وبعلمه المسلمين وأمد عمره، وقد خصني المولى بخصوصية، فصاهرني كي تختلط محبة الروح ومحبة القلب[1]، فزادت ثباتاً وإخلاصاً واستمراراً لها، وقد تَنَوَّر بأنوار شيخنا، وظهرت لوامعُ صدقهِ وثباته ومحبته عليه ظاهراً وباطناً، وقد نالتْهُ الدعوةُ المباركة، حتى غدا من الأمثلة التي تُضربُ عبرةً وفكرةً.

وقد أكرمه المولى تعالى ببركة برِّ الشيوخ فصار مرشداً وموجهاً لمعهد دار الحديث في دمشق، خلفاً لشيخنا الولي النقي الذي عمَّتْ أنوارُه علينا جميعاً **الشيخ محمود الرنكوسي** ﷺ وأرضاه[2].

ومنهم أخي وحبيبي ورفيقُ دربي، وفَرْحَةُ خاطري ومِرْوَدُ إكْتِحال بصري، ومحطُ النظر مني، الصوفيُّ الذاكرُ صاحب الهمة العالية، مَنْ وصلَ بخدمة إخوانه وخلاَّنه وتلاميذِه وطلابِه، بركة بيروت فضيلة **الشيخ محمود سعيد سعد** صانه المولى وحفظه، وهو الآن مرابطٌ في مسجد الخلية السعودية – المزرعة، مدرساً وداعياً، وقد أحيا سنةَ إقامةِ الدروس في البيوتِ والمنازل حسبةً لله تعالى[3].

وقد خَصَّني المولى بخصوصية، فكنت عديلاً له من جهة العائلة، كي تستمر المحبة وتزداد رسوخاً وثباتا.

ومنهم أخي المحب الصادق، المجدُّ العاملُ الودودُ الدؤوبُ الذي جمع بين المنقبتين، الدينِ والدنيا **فضيلة الشيخ زكريا رباح شعر**، فقد تمكنت فيه أركان التقوى، وثبت على فضائل العلم، وأخذ منه ما يلزم، وتابع حياته العملية، فعمل في التجارة حتى غدا من أهلِها المشهود لهم بالسمعة الطيبة، والثناء الحسن، وأجرى المولى الخير الكثير على يديه وما زال، شكراً وتفضلاً وانعاماً [4].

---

(١) فقد كتب المولى له فتزوج بخالتي الصغرى.

(٢) أنظر قرة العيون ص (١١٥).

(٣) فكتب المولى له أن تزوج إحدى شقيقات الشيخ زكريا شعر حفظه الله.

(٤) فكتب له المولى الزواج من ابنة أختي الكبرى.

وقد ارتبطت المقاصد بالمعاني، والألفاظ بالمباني والحقائق بالدقائق، والأشواق بالرقائق. فَتَمَّتِ المصاهرةُ له من جهتي[1]،وثبتت المصاهرة لي من جهته[2].

وفقنا المولى وجمعنا على محبته.

ومنهم أخي الوفيُّ الذي فتحَ لنا بابَ الخيرِ للدخول على **شيخنا العارف بالله**، الثابتُ الرضيُّ **فضيلة الشيخ خليل راشد الطرابلسي** والذي كان يتأبط القرآن صباح مساء، يصاحبه صوت الشباب الشجيِّ، والمورد النَّدي، فصانه المولى ببركة القرآن وتعليمه وتحفيظه، وكانت له خصوصيةُ تكويرِ عمامةِ **شيخنا العارف بالله تعالى** وملازمته على الدوام.

وهو الآن تَسَنَّمَ رتبةَ شيخِ الإقراء في مسجد الخاشقجي، من قبل جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، ومدرس للقرآن في جامعة بيروت الإسلامية.

ومنهم الأخ والصديق المكرم فضيلة الشيخ الدكتور أنس طبارة وكان من أقرب المقربين إلى **شيخنا العارف بالله** وكان في بداية طلبه العلم في المدينة المنورة وكان لا يترك مجالسَه في أكثر الأحيان فيستنير بآرائه وتوجيهاته.

وهو الآن ولله الحمد عميدُ كلية الشريعة في جامعة بيروت الإسلامية التابعة لدار الفتوى.

وبالجملة فقد انعكست مرآة قلب **شيخنا العارف بالله** علينا، فاستنارت منَّا النفوس، وصَفَتِ الأفئدة، فجذبنا طوعاً واختياراً للمداومة على صحبته ومحبته، وأخلاقه وخلقه، فغدونا نرتشف من هذا النبع المصفَّى، والعطرِ الشذي الفواح، حتى كنا - ولله الحمد - فريق طَلَبٍ ومحبةٍ وصدقٍ لا يجارى ولا يبارى.

٥- التزامنا بمجالسه ودروسه:

لما رأينا من **شيخنا العارف بالله** تعالى الجليلَ من السَجَايَا، والمُتَنَوَّعَ من البر والعلم والعطايا، وأنه بحر علمي ثرٌّ، قد ملئَ حكمةً ودرايةً كالدُّرِ، ولما رأى فينا

---

(١) فكتب له المولى الزواج من ابنة أختي الكبرى.

(٢) فكتب لي المولى الزواج من أخته.

صدقَنا وإقبالنا، على الارتشاف من علمه ومعرفته، بَسَطَ لنا موائِـدَه، وأغـدَق علينـا فوائدَه، فطلبنا منه تكرماً، طلب المتأدب الحريص، - وعادته أن لا يرد طلب طالـب، ولا يوصد الباب في وجه صاحب - أن يعطينا زمناً من وقته، ويخصـنا بمجالسـته وملازمته ويفقهَنا من معارفِه، ويُسلِّكنَا في سلك حبَّاتِ أنظاره.

فلما سمع ذلك منًّا، ومن غير ترددٍ وافق متفضلاً علينا، وقال: إن أبا هريـرة ﷺ كان إذا جاءَه طالبُ العلمِ يقول له: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ. فعمَّنَـا البِشـرُ والفرحُ والسرور.

٦- فتح لنا باب قلبه ومنزله:

بدأ **شيخنا العارف بالله** تعالى يعتني بنا أعتناءاً خاصـاً، ولاحظَنَـا بأنظـاره المستمرة على الدوام، فأفرغ لنا وقتاً كل يوم بعد صلاة المغرب فـي بهـو المسـجد العمري الكبير - دار الفتوى سابقاً - واختار لنا شرح الجوهرة للإمام الباجوري فـي العقيدة، فكنا نقرأ البيت من الجوهرة فيشرحه شرحاً فاق شُرَّاحَه وحواشـيَه، إذْ كـان يُفَصِّلُ ويبينُ كلَ ما أُشكل وأبهم، بلغةِ الفهم والبيان، حتى لا يترك شـيئاً فـي ذهـن السامع والتالي.

ولما ضاق علينا الوقتُ في المسجد، وتزاحمت الأمورُ ببعضها، وخاصة فـي فصلِ الصيف الذي تتغير فيه أوقات الصلاة، إذا به يطلبُ منا، - ومن تلقاء نفسـه - أن ننتقل إلى منزله لإلقاء الدروس، وحتى نكون أقرب إليه، لا يعقينا عنه أمرٌ شاغل.

فقد خصص لنا ثلاث جلساتٍ في منزله أسبوعياً، ولما رأى صـدقنا وثباتنـا صرنا نأتي باب العلم والعطاءِ يومياً، من السابعة مساءاً إلى التاسعة ليلاً.

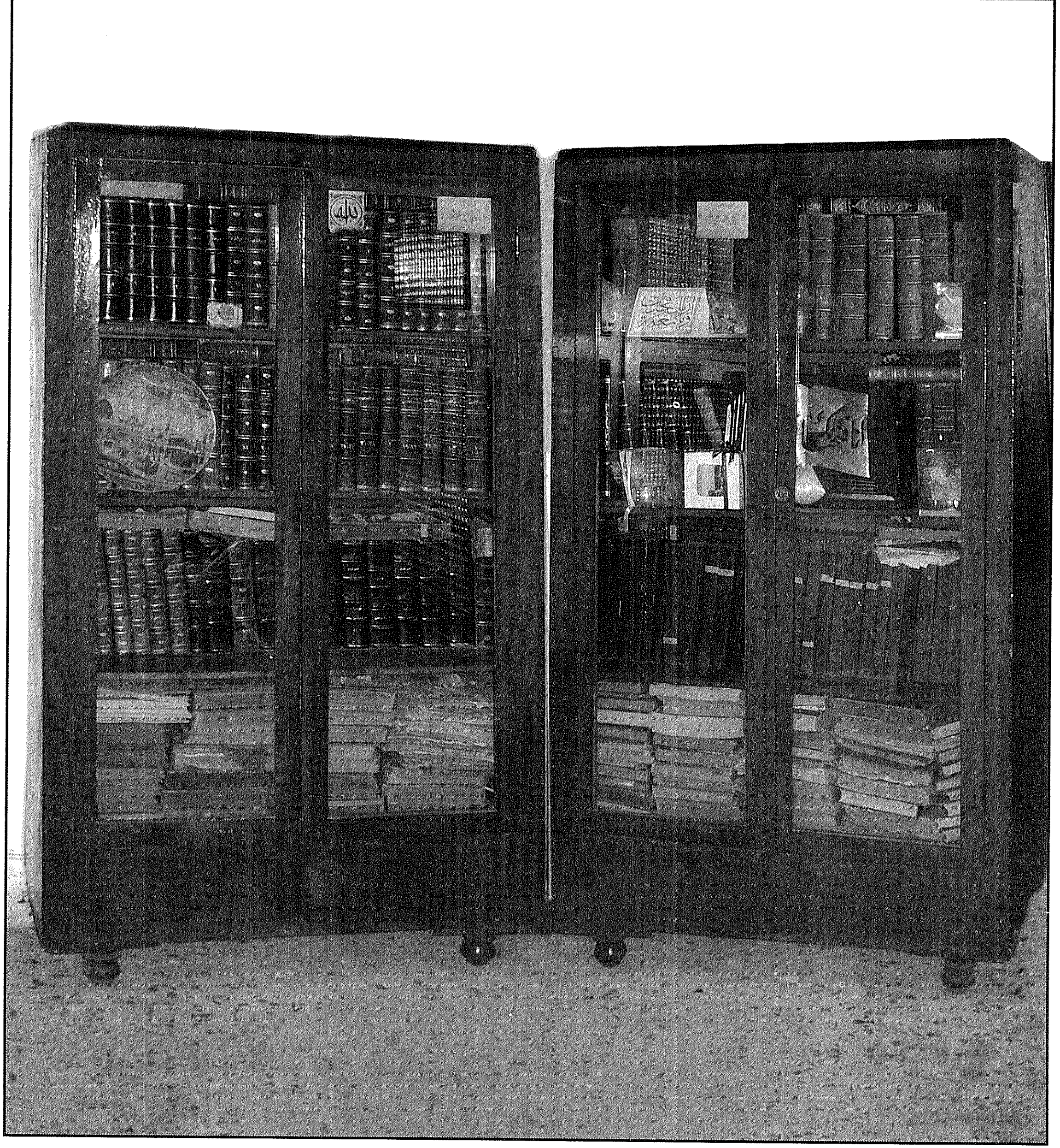
وقد أكرمنا المولى فقرأنا كتباً عديدة في شتى العلوم والمعارف منها:

١- جوهرة التوحيد حفظنا المتنَ عليه وقرأنا الشرح، ومتنَ السنوسية.
٢- أعطانا علم الفرائض بشكل رائع، فقد كان رحمه الله يُعدّ فرضيُ عصره.
٣- متن الأجروميه في النحو، للشيخ خالد الأزهري.
٤- كتاب تنوير القلوب، في الفقه الشافعي، وفيه تزكيةُ النفسِ والقلب.

٥- حفظنا عليه متن ابن قاسم في الفقه الشافعي وشرح لنا متن المنهاج.

٦- الميزان الكبرى للإمام الشعراني.

وغير ذلك من المطالعات والمواضيع التي كنا نستخرجُها من مكتبتـــهِ القيمـــة التي حوتْ من الكتب النوادر والنفائس.



صورة من أجزاء مكتبة شيخنا العارف بالله (بعد وفاته)

وقد تفردتُ فقرأتُ عليه بعض الرسائل والكتب منها:

١- حكم أبن عطاء الله السكندري شرح ابن عجيبة.

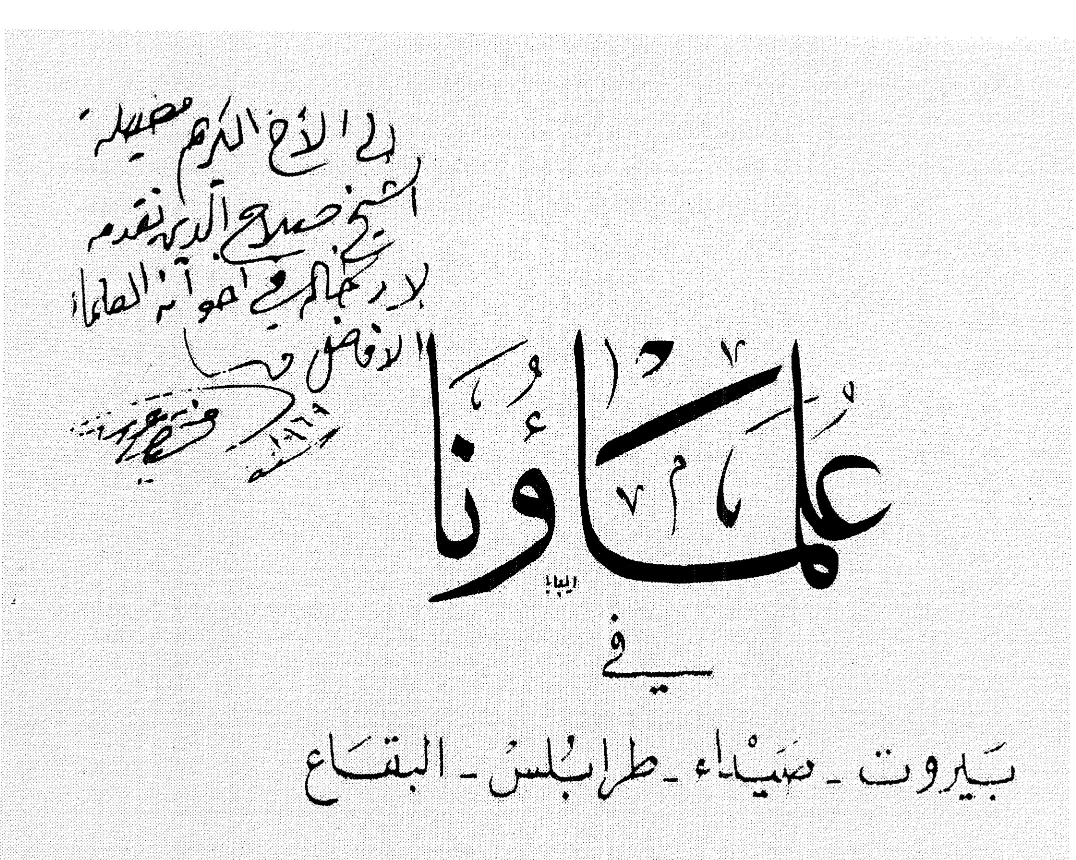
٢- رسالة الأبدال، وسل الحسام الهندي في نصرة الشيخ خالد نقشندي.

وقد كتب بخطه المبارك دعوة لنا عند نهاية قرأتها. وهذه صورة خطه وتوقيعه ودعاؤه:

﴿ ٣٢٥ ﴾

❁ وينال الحسنى وزياده ❁ فرحم الله تعالى روحه ❁ ونور مرقده وضريحه ❁ ومتعه بما كان غاية متمناه ❁ وافنى عمره فى طلبه ورجاه من الفوز بلذة النظر إلى وجهه الكريم ❁ فى دار النعيم المقيم ❁ وجمعنا وإياه تحت ظل عرشه يوم لا ظل الاظله الوريف ❁ فى مقعد صدق ومقام منيف ❁ انه على مايشاء قدير ❁ وبالاجابة جدير ❁ صلى الله تعالى على سيدنا محمد النبي المكرم ❁ والرسول المعظم ❁ وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

٣- تراجم بعض العلماء من كتاب علماؤنا لمؤلفِه السيد كامل محي الدين الداعوق. وقد أهداني الكتاب وكتب لي بخطه الكريم سنة ١٩٦٩ وهذه صورة خطه عليه وتوقيعه.



علماؤنا

في

بيروت - صيداء - طرابلس - البقاع

بقلم وجمع

كامل محي الدين الداعوق

وكنا خلال جلساتنا نستمتعُ بإرشاداته وزيارته وحُسن ضيافته، فيصنعُ الشايّ وشراب المانجا بيديه الكريمتين.



ولقد أتيناه يوماً كعادتنا وكان اليوم قائظاً والحر شديد في أيام شهر تموز الصعبة. وما يوافق النصف من شهر شعبان، وكان صائماً، على عادة الصالحين، فرأيناهُ تَعِبَاً قد أضناه الصومُ لكبر سِنِّه، فأردنا أن نعتذرَ عن الدرس حتى لا نزيدَه إرهاقاً فقال لنا: **يا أبنائي نحن نتداوى بالعلم وهو لنا بلسمٌ وشفاءٌ.**

ومدة معاصرتنا **لشيخنا العارف بالله** أيام الشباب والصِبا، كانتْ أمانيه ودعواته المباركة لنا، وحَثُّهُ الدؤوب، أن نجتهد ونعتني في طلب العلم، وينصحنا للتفرغ له، قائلاً: أريد أن تصبحوا من أهل العلم والمعرفة.

فقد ذلّل لنا الكثير من الصعاب، وفتح لنا العديد من الأبواب.

اللهم اجعلنا من أهل العلم والمعرفة يا رب العالمين.

وزدْ فينا تحقيقَ دعوة شيخنا يا الله.

٧- السفر يسفرُ عن أخلاق الرجال:

حدثنا **شيخنا العارف بالله** في أحد الجلسات والدروس – وكعادتِه – عن العلماءِ والأولياءِ وذكر منهم بركة الدين، مُرَجِّحَ المذهب الشافعي المشهود له الشيخ محي الدين بن زكريا النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، وشيخنا كما هو معلوم شافعي المذهب، كان يستشهدُ دوماً بكتابه المجموعِ الذي هو العمدةُ في المذهب.

وغاص مترجماً لنا حياتَه وعلمَه وفضلَه، ووقارَه ومكانَته وزهدَه وورَعه، وذكر أنه مدفون في نوى بلدته.

فرغبنا معه لزيارته في نوى، وزيارة الصالحين من أهل الله في الشام، فشددْنَا العزم وتوكلنا على الله ربنا، ودارتْ عجلةُ السفر والزمن في الأول من شهر آب سنة ١٩٦٦م الموافق ١٣٨٥هـ، وطويتْ لنا الأرض طياً، وأسرع بنا الشوق حادياً، وجاذبُ حبِ الأولياء منادياً.

فلم نجدْ أنفسنا إلا ونحن أمام قبر الإمام النووي رحمه الله، فدعا **شيخنا العارف بالله** ما شاء الله له أن يدعوَ بدعواتٍ فيها الرقائقُ والأنفاسُ الطاهرة – فبكت العيونُ، وتدحرجت الدموع – ثم أطرق ملياً وقال: سبحان الله... حيٌ في قبر، حيُ في قبر، النووي حيٌ في قبره.

إن مدادَ العلماءِ يوازي دمَ الشهداء، والشهداءُ الذي قضوْا عند ربهم يُرزقون، فالعلماء كذلك.

وكانت شجرة ضخمة عظيمة نبتت داخل قبر الإمام النووي حتى لَفَّتْهُ وعمّتهُ.

وقد التَفّ أهل القرية حولنا، رجالاً وصغاراً، ولما رأوا أنوار **شيخنا العارف بالله** أقبلوا إليه يَزّفون، ويديه يقبلون.

ثم ذكروا لنا أن أوراق هذه الشجرة، كانت إذا تساقطت يلتقطونها، ويحفظونها لأنهم يرون أنه كتب عليها لا إله إلا الله.

وبعد أن أكرمنا المولى تعالى بهذه الزيارة النادرة زرنا في دمشق المقامات التالية:

١- مقام وقبر الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه.
٢- مقام وقبر الشيخ خالد ذو الجناحين رضي الله عنه.
٣- مقام وقبر الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه.
٤- مقام وقبر الشيخ عيسى الكردي رضي الله عنه.
٥- مقام وقبر الشيخ بدر الدين الحسني رضي الله عنه.
٦- مقام وقبر الشيخ محمد أبو الخير الميداني رضي الله عنه.

ثم زرنا من المشايخ الأحياء: الشيخ عبدالله الداغستاني، والشيخ صالح فرفور والشيخ محمد مكي الكتاني، رحمهم الله جميعاً والشيخ عبد الرزاق الحلبي، أطالَ اللهُ بقاءَه.

وغيرهم من العلماء الذين كانوا ينتظرون حضورَ **شيخنا العارف بالله** ليتذكروا برؤية مَحَيَّاهُ بقية السلف الصالح وعلى رأسِهم ومقدمتِهم شيخنا المكرم الذي أدّبنا وسلّكنا طريق القوم.

الشيخ محمود بعيون الرنكوسي رضي الله عنه، ونفعنا بمحبته في الدنيا والآخرة.

٨- ذهابنا لأداء فريضة الحج:

قاعدةُ التوفيقات أخذ الأذونات والموافقات، ولو كانت لأداء العبادات والطاعات، ولا تنسنا من دعائك يا أخي، قالها رسولنا الأكرم لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما أستأذن لأداء العمرة، فهي عنوان الرضا من المأذون، وعلامةُ القبول من المستأذِن.

ونحن في رحاب دائرة **شيخنا العارف بالله** توجيهاً وإرشاداً ودرساً وعلماً، قذف المولى في قلوبنا أداء فريضة الحج، تلبيةً لندأه، وزيارةَ بيته في مكة المكرمة والتمتع بزيارة رسول الله ﷺ ومسجده المبارك، فطلبنا الإذن منْ والدنا الروحي، فدمعتْ عيناه،

وتلفظتْ بالدعاءِ شفتاه، وطلبَ منّا الدعاء قائلاً: لا تنسونا من الدعاء، وأوصانا بتقوى الله تعالى، والتزود من بركات الأراضي المباركة.

وقد تفضّل المولى علينا فأتممنا حجنا بتوفيق منه، وببركة دعاء وموافقة **شيخنا العارف بالله**، وذلك سنة ١٩٦٧م، الموافق ١٣٨٦هـ.

٩- تفرغنا لطلب العلم الشرعي:

إن **شيخنا العارف بالله** غرسَ في قلوبنا حبَ العلم والتعلم، والتزود من مائدةِ الله في أرضه، وعلّمنا أن مِدادَ العلماء يُوزن بدم الشهداء، وأن العلماء ورثةُ الأنبياء، وأن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم، وأن الحيتان في البحر تستغفر له، فراودتْنا فكرةُ التفرغ، لطلب العلم والسفر إلى بلاد الشام لنيله، فاستشرْناه ونعم المستشار، واخترْنا رأيه ونعم المختار والاختيار، فذللّ لنا الصعاب، وأزال العقبات التي كانت كثيرةً يومها، وما هي إلا أيامٌ قلائلٌ كنا نجلسُ فيها على مقاعد الدراسة في معهد الخير والبركة – **معهد الفتح الإسلامي** – حيث استقبلنا عَلاّمَةُ عصره وفَهَّامَةُ دهرِه، مَنْ لا يُبارى إخلاصاً، ولا يُضاهى نبراساً، ولا يقاسُ عليه همةَ وعلماً وثباتاً، ومَنْ له فضل علينا، لا نوفيّه حقه ما حيينا **شيخنا الشيخ محمد صالح فرفور**، عليه وابلُ الرحمات الطَّيِّبَاتِ فقد هيئا لنا رحمه الله النفقة، والملبسَ والمسكنَ وكلَ ما نحتاجه لمتابعة مسيرة العلم، وكان يتعهدُنا بالحفظ والعلم والرعاية والإرشاد والتوجيه، وما تَرَكَنا مدةَ سبع سنوات، حيثُ كنّا محطَ انظارِه واهتمامه، فجزاه الله عنا خيراً الجزاء أبد الأبدين آمين.

وكما هي حياةُ طالب العلم الجهادية، وأن طريقَه محاطٌ بالابتلاءات والاختبارات والضوائق، مع هذا كله كنا نجدُ فيها لذةً لا توصف، لأن طالب العلم في سبيلِ الله حتى يرجع، وأنا لا أخفي سراً، ولا أكتم خيراً، إذ المحاسنُ ينبغي أن تُذكرَ ولا تخفى، فقد كان **شيخنا العارف بالله** يرسلُ لنا إلى دمشق رواتب شهرية، وما نحتاجه من نفقات لشراء الكتب وخلافه، إلى أن يسرَ الله تعالى لنا الأرزاق وفتح لنا

ببركته الأبواب وكان يشاركه في ذلك – اعترافاً بالفضل – المنسوب إلى جدي رسول الله ﷺ السيد **الحاج منير الشريف** رحمه الله تعالى.

وبالجملة فقد كان رحمه الله مستراحَنا، وملاذَنا، ومرجعَنا في كل أمورنا وتنفسنا فلا يترك معضلةً إلا ووجد لنا فيها حَلاً ومخرجاً.

فمن أين لنا بمثله في زمن الجفافِ يا تُرى؟

لله دَرُّهْ، وأعلى في القيامة شأنَه، فقد صدق فينا تَفَرُّسُه الذي كان ينظر من خلاله بنور الله، فقد أملَ فينا أوصافاً، ورجَا لَنَا من التوفيق أصدافاً، وكلّما مرت علينا الدهور والأحقاب والسنون، أزدْدنا يقيناً وتبصرةً، ويصدقُ علينا حدوثُها وحصولها ووقوُعها.

والمقالُ يطولُ بسردِها وذكرِها.

ذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيه لمنْ يشاءُ جلّ اللهُ واهبُ المنن.

١٠- كان والداً ومرشداً ومستراح النفس والقلب:

قيل في طريق القوم والسلوك: إن قُرْبَ الأرواح لا يضرُّه بُعْدُ الأجساد، فمهما بعدتْ أجسادُ المحبين، فأرواحهم تبقى متقاربة ومتجانسةً، خصوصاً مع مَنْ أخلصوا لهم لله حباً، وجعلَ الرحمن لهم وُدّاً.

وإن كانت المسافات والأسفارُ باعدتْ بيننا وبين **شيخنا العارف بالله** فقد بقيتْ أسلاكُ المودة والمحبة مترابطةً ومتينةً، وما شعرْنَا يوماً ونحن في أسفارنا أنه بعيد عنا بل كان يلازمُنا روحاً وعقلاً وحباً، وبين بيروت بلد الأولياء، والشام بلد الأصفياء، كانت لنا أجملُ الذكريات والمعتبرات التي تدثرت بالصبر وتزمّلتْ بالثبات، ولبستْ تلك الأيامُ ثوبَ الكمال والجمال، وذابتْ فيها المادةُ وارتفعت فيها الروح.

وكان تاجها وسنامها **شيخنا العارف بالله** الوالدُ والمرشدُ والموجه، الذي علا بنا إلى آفاقِ العلومِ والمعارف، وقادنا إلى الهمة العالية التي لا تستصعبُ العقبات، ولا تحول بينها وبين مطالبها الغايات.

وكان عند زيارتنا له، وللتزود من إرشاداته القيمة يفتح لنا ما أُغلقَ من الأبواب، ويُهَوِّن علينا وعْثاءَ السفر، ويستعيض لنا بغربة الأهل والوطن بذكر بعضِ قَصَص العلماء الذين رحلوا لطلب العلم، وظعنوا وقطنوا وخاضوا بلاداً كثيرة.

فنستشعر بحلاوة حديثه وأنه مستراحُ النفس والقلب، والمعين في العسر واليسر، والمنشط والمكره، جزيلَ العطاء نديّ الكف، بسَّامَ الوجه، رضيَّ الخاطر، يدفع الآلام، ويرفعُ الآمال، ونجمُ سعده ينيرُ دروبنا.

يصدق عليه القول: **خيرُكم من إذ رؤيَ ذُكر الله تعالى.**

فجزاه المولى خيرَ ما جزى محباً عن أحبابه، آمين.

١١- بداية ملازمته البيت:

إن أولياءَ الله تعالى يُجمّلُ الله أواخرَ حياتهم بالخلواتِ والاختبارات والابتلاءات، حتى ينعكس صفوُ هذه البركات على الخليقة **إذ لولا شيوخٌ ركعٌ فتحاً** وحفظاً ونوراً.

فقد أُجْبِرَ **شيخنا العارف بالله** على كثرةِ ملازمة بيته، فَأَلَمَّتْ به الأمراض، وخانتْه ركبتاهَ عن حمله، فصار لا يخرجُ إلا نادراً، وذلك بداية سنة ١٩٧٢م تقريباً.

ولعلّ في ذلك حكمةً خفيتْ على الكثير، ونظروا إليها نظراً ظاهراً، بَيْدَ أن منزله – في خلوته هذه – غدا محطّ المقاصد، وبابَ العلم والطلب، ومجالسَ الفقه والإرشاد، ومركزَ الاستشارات والتنويرات، التي أضحتْ مَضْرِبَ الأمثال، ومنتدى الرجال.

وكنا نكتسبُ من هذه المجالس ذهاباً وإياباً بين بيروت ودمشق، إلى أن انتهى بنا المطاف وأتينا شيخنا نحمل **إجازاتنا العلمية** من معهد الفتح الإسلامي – جزاهم

الله خير الجزاء – وأجازاتنا العلمية والروحية والإنسانية العالية من شيخنا وملاذنا وقرة أعيننا الولي **الشيخ محمود بعيون الرنكوسي**ﷺ جميعاً.

ولما علم بذلك بكى فرحاً، ودعا لنا استبشاراً وتفاؤلاً، وظهرتْ عليه علاماتُ البشر والسرور والسعادة، وتلا حديث رسول اللهﷺ: **إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء لما يطلب.**

١٢- اهتمامه بنا ورعايته المتواصلة:

عندما رحلْنا إلى دمشق الشام وتفرغنا لطلب العلم، والتزود والارتشاف من علمائها، والتحقنا بمعهد الفتح الإسلامي. قُدمت لنا نفقة شهرية تسدُّ الرمق ولا تفي بالحاجة، من باب جهد المقل، ولكن كنا نستشعر بالبركة تحفنا، والخير يعمنا.

وما هي إلا أشهرٌ قليلة حتى كان أخي المحبُ الوفيُ الصدوقُ فضيلة الشيخ حسين حسن صعبية إماماً في مسجد الديوانية، وأخي المحب الوفي الصدوقُ الشيخ زكريا شعر إماماً في مسجدٍ عند باب الجابية.

وطالبُ العلمِ مرزوق، فقد أوحى الله تعالى إلى الأرض أن لا تُطعم أحداً إلا بكدِ يمينه وعرقِ جبينه إلا طالبَ العلم فأطعميه من حيث شئت.

فقد سهّل الله لي إمامةَ المسجدِ المعلق القريب من سوق الهال في دمشق، وبقيتُ فيه عددَ سنين، إلى أن أُرسِلَ اليَّ كتاب من الأوقاف السورية بالتوقف عن المتابعة في الإمامة وانقطع جزء من سُبُلِ العيش الظاهرةِ والمعونةِ المقررة، فأتيتُ بيروت زائراً وقصدتُ **شيخنا العارف بالله** كما هي العادة. فسألني عن أوضاعنا في دمشق – وكأنه علمَ بحالي – فذكرتُ له ما حصل، وعلى الفور أخذ ورقةً، وكتب توصيةً للمفتي العام في سوريا الشيخ أحمد كفتارو، كي يهتم بنا وينظر في حالنا، وهذا نص الوصية بخط **شيخنا العارف بالله تعالى** تدل على رعايته لنا واهتمامه.

الجمهورية اللبنانية

وزارة

جانب

حضرة صاحب السماحة مفتي سوريا العام الشيخ أحمد كفتارو المحترم

رقم المحفوظات: ..... / .....

رقم الصادر ..... / .....

في ....

الموضوع:

المرجع:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن حامل هذه الكلمة أخ كريم من طلبة العلم الشريف وطلاب العلم في دمشق عند فضيلة الشيخ صالح فرفور وكان يقوم بالإمامة والخطابة في بعض مساجد دمشق والآن أوقف عن ذلك وهو يدعى الشيخ صلاح الدين فخري وهو من الأسر الكريمة في بيروت فلنا بكم الأمل الكبير أن يشمل بنظركم العالي وعطفكم فأنتم للعلم وأهله [illegible] ومقصداً لعمل الخير وخير العمل ودمتم بإحترام

في ٢٨ شوال ١٣٩٠

وفي ٢٦ [illegible] ١٩٧٠

المخلص

أمين الفتوى

بالجمهورية اللبنانية

مختار العلايلي

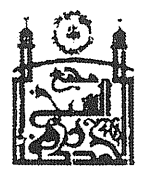
ولما قدمت هذه التوصية إلى سماحة المفتي أخذها وقبلها أدباً وحباً، وبعد مدة أعادني إلى مسجد آخر وبقيت فيه مدة من الزمن فجزاهم الله خيرا الجزاء[1]

---

(١) وأنا أكتب هذه المقالة وفي نفس اليوم بالذات، وردنَا نبأُ وفاةِ سماحة الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله تعالى. يوم الأربعاء ١٦ رجب ١٤٢٥هـ الموافق ١ أيلول ٢٠٠٤م.

وقد أوصى رحمه الله أحبابه وصيةً ومنها.

بسم الله الرحمن الرحيم



مجمع
الشيخ أحمد كفتارو

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

إخواني وأبنائي:

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والذي جعل لقاءه مع رضاه أسمى الغايات.

والصلاة والسلام على إمامنا وقدوتنا وحبيبنا نبينا محمد ﷺ من أتى من الله بنعمة الإيمان فجعل أهل الحب والإيمان إخوانا ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، صلى الله عليه وعلى جميع إخوته الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من اتبعه بالهدى والإحسان والاستقامة إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الأمر كله بيد الله أولاً وآخراً ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾، وإنه ليس من أمر يشغلني في ليلي ونهاري وعلى كل أحوالي بعد أمر الإسلام في شرق الأرض وغربها إلا أمركم. وليس من حال يؤلمني بعد حال المسلمين إلا حالكم، به أفكر، ولأجله أعمل، وكلّي أمل بالله -تعالى- أن يلهمكم الصواب في كيفية التآلف والتحابب والتعاضد والتعاون، وأن ترعوا جهدي فيكم، وأن تحفظوا عناء حياتي من أجلكم في وحدتكم وألفتكم ومحبتكم، وذلك أمر لا يقوم به مع بقية إخوانه إلا من كان محباً صادقاً، تلاشت نفسه، وانعدمت أنانيته، ولن يتعبكم ويصيب مسيرتكم ويؤذن بانقطاع سلك عقد إخوتكم إلا من كانت الأنا همَّه، ونفسه شغله، يعمل لذاته على حسابكم، وعلى حساب العمل الذي أفنيت عمري لأجله، يسعى لمصلحته على حساب مصلحة الدعوة التي ما حييت مجاهداً إلا من أجلها، ولا أسهرت ليلي وأجهدت نهاري وأضنيت جسدي حِلاً وارتحالاً إلا بسببها.

إخواني وأبنائي:

إن الحفاظ على تآخيكم حفاظ على حبكم لي، وإن وفاءكم لبعضكم وفاء لي، فمن حافظ على ذلك فهو المحب والمريد الصادق الذي رعى ذمتي وحفظ عهدي، فأنا منه وهو مني في الدنيا والآخرة، وأسأل الله أن يكون معي تحت راية سيدي رسول الله ﷺ -بإذن الله- يوم القيامة ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾، فسلّموا قلوبكم من كلّ ما يفرّق جمعكم وكلمتكم، واعلموا أن الذي يخرج عن الجماعة، ويستأثر بالعمل لنفسه ظاهراً أو باطناً فليس مني ولست منه، ولن يكون بيننا لقاء يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾.



□ الصفحة الأولى من الوصية □

وكأنه بهذا الكلام الطيب، يخبرنا من طريق الحق والكشف، بأن الله تعالى سيحقق لكم مطالبكم، ويعطيكم مُرَدَاكم، ولكن لاحظوا أن ملائكة الرحمن تحفُّكم وتحيطكم فتخلصوا في دعوتكم وإرشاداتكم وينتفع الملأ بعلمكم.

ثم شدّ عزمنا، وزرعَ فينا الهمةَ لمتابعة الطلب، وحثنا للذهاب إلى مصر، والإلتحاق بالأزهر الشريف لنيل الإجازة العالية في الشريعة والقانون وبفضل دعواته وبركاته، حقق المولى لنا مقاصدَنا وعدنا بعد مدةٍ نحمل شهادة "الليسانس".

ثم عُيِّنْتُ من قبل المديرية العامة للأوقاف الإسلامية سنة ١٩٧٥م، إماماً في مسجد الخلية السعودية – المزرعة – بعد خوض مباراة الأئمة المنفردين بأربعة عشر مادةٍ شرعية ولغوية.

وكان **شيخنا العارف بالله** كثيراً ما يتحاملُ على نفسه ورغمَ ضعفِ همته الجسدية يأتي – نادراً – فيصلي في مسجد الخلية السعودية، ويقول لي: **إن السرور يداخلني عندما أصلي وأسمع خطبتك.**

كما كان الشيخُ محمد الداعوق رحمه الله تعالى يداومُ على حضور صلاة وخطبة الجمعة عندي في المسجد إلى أن أقعدَه المرضُ والزَمَهُ بيتَه حتى أنتقل إلى الله تعالى سنة ١٩٩٥م.

وفي عام ١٩٧٥م بدأت الحرب اللبنانية الأهلية وكنتُ لا أتركُ **زيارة شيخنا العارف بالله** وغالباً صباح يوم الجمعة، ويوم الأحد، من كل أسبوع، استرشدُ رأيه، وأكتسب من نفحاته.

١٣- توسع مجلسه ومشاركة المحبين:

قيل في المثل قديماً: عند المورد العذب يكثرُ الظُمآن، فقد كان مورد **شيخنا العارف بالله** من أعذبِ الموارد وأرقاها، ومن أطيبِ المذاقات وأصفاها، فقد عمّ خيره وفضله القاصيَ والداني.

ومن كرامة الله تعالى عليّ وفضله وبرّه أنْ خَصَّني بالمداومـةِ علـى زيارتـه المنتظمةِ أخلو به وأشرفُ بصحبتهِ ومودته عددَ سنين، وكنت لا أذكره عند أخٍ أو عالمٍ ممن أصادقُهم وأصاحبُهم إلا ازدادَ شوقاً لرؤيتهِ ومجالستِه والاكتسـابِ مـن علومِـه ومعارفِه، ولم يقتصرْ مجلسهُ ﷺ على أهلِ العلم والدعوة والإرشاد، بل كـان مجلسُـه يحضرهُ الطبيبُ والمهندسُ والتاجرُ والعامل.

لقد استأذنتُه مرةً كي يزورَه ويشرف برؤيته إخوةٌ كرامٌ اجتمعنا معهم يومـذَاك تحتَ شعارِ اتحادِ العلماء وتمّ اللقاء الذي لا يوصف إرشاداً ونهجاً، وتوصيةً وحثاً على الفضائل والخيرات والمبرات.

وأذكر من الحضور أصحابَ الفضيلة الشيخ عبد الحفيظ قاسـم، الشـيخ نـزار الحلبي، الشيخ مصطفى شما، الشيخ هشام خليفة، الشيخ عبدالله الشعار، الشيخ عـدنان شوقي، الشيخ مصطفى سوبره، الشيخ عمر رمضان، الشيخ عبدالله سـوبره، الشـيخ زكريا شعر، الشيخ محمود سعد، الشيخ عدنان شوقي والشيخ مصباح كريدية وغيرهم.

ولو رأيتَ ثَمَّ رأيتَ جواذبَ المحبة، وعلائقَ الشوقِ وتلاحَم القلوب، والتصـاقَ المحبـة والنفـوس، وقد ثبتَ على هذه الزيـارة، وانتفعَ بـها الكثير منهم، ولكن الله تعالى له خصوصية كبرى، وكرامة عظمى، فاختارَ منهم الشيخ هشامَ خليفة وثبته على التزامِ ومصاحبةِ **شيخنا العارف بالله** الذي أفاده وأعطـاه، وبسـبب صـدقه رَقَّـاه، وبإخلاصه نَمَّاه، وبحبهِ صَفَّاه، وما زال يزداد بفضـل الله، صـدقاً ورُقيَّـاً، ونمـاءً، وصفاءً، حتى غدا قدوةً لأهل بيروت صفاءاً وعملاً وينتفـع بـه وبعلومـه وأذكـاره ومجالسه الكثيرُ من الخلق، فجزاه الله خيراً.

وبارك الله بجميع العلماء والدعاةِ العاملين.

هل نعاتب القلم أم ماذا؟

إن الكتابةَ عن شخصيةٍ مميزة، وترجمةِ رجلٍ لا كالرجال وعالمٍ لا كالعلمـــاء، والتكلمَ عن صفاتِ الكُمّلِ من الأولياء يحتاجُ إلى قلمٍ مخلص، وأنامل صـــادقة، وفكـــرٍ نقيٍ واسع، ومحبٍ ذكي لامع،' وفوق هذا كله يحتاجُ إلى حُسن سبكِ حباتِ نظم عقـــد الكلمات الراقيات، وإلى أحسن ما تُوشّحُ به العباراتُ المزدانات، وأجمـــل مـــا تُرَتَّـــبُ وتزيّن به جُمَلَهُ الممدوحات، وتتناسقُ مطوياته، وتزهو جمالاً برّاقاً خزائن مكنوناتـــه، ومن أين نستسقى لترجمة ما يُراد، ونستزيدُ من روائع المداد، بَيْدَ أن الشـــفيعَ فـــي ذا وذاك محبتُه، والداعيَ كي لا يتكلفَ القلمُ مددُه، والمحـــركُ ليفصـــحَ لُعابُـــه المعسّـــلُ روحانيتُه، بل قد دَبَّ فيه الشوقُ والفرح، وباهى بألوانِ اختراعِ كتاباته قـــوسَ قـــزح وغاص في لجج بحور الدرر الحسان، ليترجم من يحملُ في شغافِ قلبه عظائم الإيمان والإحسان، ويكشف أوصافاً وأخلاقاً بعد إخراجها من أصدافها، ويظهر الغوامض التي تحلى بها من غوائصها، فالسعادةُ كلُ السعادةِ المهداةِ للقلب إذ له اعتبار، وفوق ذلـــك للقلم الذي فيه كلُ ازدهارٍ وانبهار، لأنه يُسطِّرُ الأساليبَ من البيانِ والمعاني والجمال، ويرتقى بالكلمةِ والمجازِ إلى روعة الإفهام والكمال.

وأقول: كُلَّما غُذي الجسد بالأطايـــبِ مـــن الطعـــام المبـــاح، وزودتِ الـــروحُ بالمستصفيات الصادقات، وأُكرمَ العقلُ بالثابتات من المحبّات المعتقدات، تفجرّ قلمُ القلب بما سَبَكَ قبل قلمِ اليد، وتوالتْ سطورُ المدحِ والثناء من غيرِ عَد، وتدرّجت صـــفحاتُ المجدِ من غيرِ حائلٍ ولا سَد.

فقد كتبتُ وسطرتُ ما خَطَر ببالي، وحاولتُ تنميقَ الألفاظ، لأجعلَها على قُـــربٍ من قارئها ويتناولها من غير تعبٍ ولا عَناء، لأن الخواطرَ كالينابيع، فسقيتُ منها شيئاً بعد شيء. فرأيتُ ذلك أجدى مما يُعطى، ولم أسلُك طريق التَوَعُّرِ والتعقيد، فـــذكرتُ أقدار المعاني، وجعلتُ لكل حالٍ مقالاً، ولكل موضوعٍ مقاماً، فكانتْ أقدارُ المعاني على

أقدار المقامات، وأرجو أن تكون على أقدار المحبين **لشيخنا العارف بالله**، ومقبولةً عندَ القارئين المطلعين.

ولو شاءَ القلمُ لغاصَ في هذه الترجمة الطِّوالَ المُفصَّل، ولكن خشيةُ العتاب دَعَتْ إلى الإيجاز الذي يكتنفهُ الفضلُ والإعجاز، ولو نطق بالعبارة القلم، وطوعتْ له العبارة أكثر مما نظم، لهان عليه السجع[1]، والترصيع[2]، والموازنة[3]، والائتلاف[4]، والالتقاء[5]، والتطريز[6]، بل قدّم هذه البضاعة المزجاة، يرجو فيها القبولَ والوصولَ إلى رقائق الرضا، مِمَّن له الفضلُ علينا، في أنفاسنا وحياتنا، جزاه الله خير الجزاء.

(١) السجع: هو توافق الفواصل، مثل: وقاراً، أطواراً.

(٢) الترصيع: توازن الألفاظ مع توافق الاعجاز، مثل: لفي نعيم، لفى جحيم.

(٣) الموازنة: تساوي الفاصلتين في الوزن، مثل: مصفوفة، مبثوثة.

(٤) الائتلاف: اللفظ مع اللفظ، مثل: تالله – تفتؤ.

(٥) الالتقاء: الحذف من البيت شيئاً، مثل: تصادفه أينما – أي أينما توجّه

(٦) التطريز: أن يشمل الشعر على أسماء واحدة في اللفظ مختلفة في المعنى، مثل: وفيها عقيق في عقيق في عقيق، فالأول: فيها ماء يشبه عقيق، والثاني: كأس من عقيق، والثالث: اسم وادي عقيق – والله أعلم.

البركة، والمحبة، والصدق

الشيخ محمود سعيد سعد

حفظه المولى ونفعنا ببره وصدقه آمين

إن أهل الذوقَ، وأصحاب المعاني الدقيقة الرقيقة، وكل من تلمّس طريق الحب والصدق والبركة، قد ائتلفت قلوبهم، وتعاقدتْ نفوسُهم وأجمعت خناصــرهم، أن تلــك الانعكاسات القلبية، والشوارقُ الرضية، والنفحاتُ الانسيابية، التي تنعكس مــن قلــب المرشد الكامل وتشرقُ من لوامعِ نفسه وفؤاده، وتنسابُ من نورانيتــه علــى المريــد المحب الصادق، ترتسمُ على صفحات حياته وسنّي عمره، وعلى تصرفاته وجوارحه، فيعيشُ مرشده، وشيخه قولاً وعملاً ومحبةً واقتداءً، وإن شئت فقل: تفانياً وإخلاصاً.

وثباتُ المريد وحبه، يُصَيِّرُهُ نسخةً مطابقة لموجهه ومرشدِه.

وقد سمعنا من **شيخنا العارف بالله،** قوله: إن المريدَ الصادق يَرْقــى ويَرْقــى حتى يصيرَ مشابهاً لشيخه حُباً وكمالاً وعِلماً وصدقاً.

ومن أولئك الأحبة اللوامع، والصادقين الروافع، الذين خُصّوا بالتزكية، وتَحلّوا بالترقية، وتنوّروا بالتصفية، أخي وصديقي، وشقيقُ روحي، وأعزُّ ممن ولَدَتْه أمــي، البركةُ الموصول، المحبُ الصادق، بركةُ بيروت، والذي كانت له الحظــوةُ الكبــرى، والنظرةُ المثلى، فضيلة **الشيخ محمود سعيد سعد،** "أبو أنس" حفظه الله وصانه.

فقد أستغرق حبُّ **شيخنا العارف بالله** نفسَه وقلبَه، وشغفَ به روحاً وعقلاً.

فكان ميزاناً له في دُروسِه، ومعياراً لحركاتِ يومهِ وأمْسِه، ذاكــراً لــه فــي حضره وسفره، مستشهداً به في وعظه وإرشاده، فَقَلَّمَا تسمعُ درساً له لا يــذكرُ فيــه مناقبه، ونادراً ما تراه في مجلس لا يذكرُ فيه معانيةَ وآدابه.

ولخصوصيته المعروفة كان بين يديهِ قارئاً، وفي مجلسه مُعِيْداً، وللميزان تالياً مفيداً، وللمنهاج فقهاً مجيداً، ولغير ذلك من الكتب يُرددُ ترديداً، فقد كان يِسْبِكُ للأسماع

العبارة، ويوضحُ اللفظ والإشارة، ويحملُ الألفاظ على ظواهرها، ويضبطُ شكلَها بالسَجِّيَة، بكل تؤدةٍ وروية، بصدقٍ ومهارة، فيسدّدُ القول تَسْدِيداً، ويُفَنِّدُهُ تَفْنِيْداً، ويحرُره من تعقيدِه بالجملةِ المفيدة.

ولو ترى **شيخنا العارف بالله** يُظهرُ علاماتِ الرضا بثغرٍ بسَّام، ووجهٍ براقٍ كالحُسام.

من أجل هذا كله كان الشيخ محمود سعيد سعد "أبو أنس" حفظه الله تعالى محطّ الأنظار، وموقع الأهتمام والعناية والرعاية.

وكان كثيراً ما يُسرُّ له ما يسترهُ على غيرهِ من الأحوالِ العائلية والخاصة، ويصارحُه بما لم يصارحْ به أقرانَه وخِلاَّنه، وذلك لعلوِ شأنه وهمتِه عنده. حتى حازَ الثناءَ الحسنَ، والقربَ لديه.

وما زال إلى يومنا هذا محباً له صادقاً، ذاكراً مناقبه داعياً وحامداً ومُترضياً. وهذا السر الذي كمن حتى تواصلت عليه البركات، واستمر مددُها وخيرُها وفضلُها.

فاكتسى وجهه جمالاً وجلالاً، وأضحى كلُ من رآه زَمَنَاً، أو صاحبَه وقْتَاً، أو ودَّهُ حيناً، يتعشقُه ويحبُه ويلتزمُه، لصدقِ هذه البركات النازلات المستمرات.

اللهم انفعنا بمحبة **شيخنا العارف بالله تعالى**.

واجعلنا من أهل المحبة والصدق، وأعطِ أخي وقرة عيني وفؤادي وشقيق روحي ومؤنسي **الشيخ محمود سعيد سعد** خير ما أعطيت المحبين، وأمتع به أوليائك وأصفيائك يا رب العالمين.

آمين

لب الرحيق، وصدق التحقيق

الشيخ هشام يحي خليفة

حفظه المولى ونفعنا ببره وصدقه آمين

إن للشيوخ الأولياء أسراراً، تظهر لوامعُها على المريدين المحبين الصادقين ليلاً ونهاراً، فيستفيدُ منها الرواد، ويقتبسُ منها العوّاد، فتغير حالهم، وتُرقى أحوالهم، وتحدوا بهم إلى جواذب النقاء والوفاء، وتعطيهم لُبّ الرحيق الطيب والصفاء.

وهذه الأسرار التي تحلى بها واختص بها **شيخنا العارف بالله** قد شملت الجميع، شمول رعاية ومحبة واهتمام، وتراها تجتمع من غير لَبْسٍ في كل من لازمه وتقرّب إليه.

وقد سرتْ هذه الأسرار، ونمتْ نمو الثمار على غصون الأشجار، وظهرتْ سماتُها ودلالاتُها على كثير من الأحبة الأبرار، وعلى رأسهم وذروُة سنامهم، من أكتبُ مقتبساً من صدقه ومحبتهِ هذا المقال، أخي في القلب والروح والطريق، من تذوّق لُبّ الرحيق، ولبس ثوب الصدق والتحقيق، فضيلة الشيخ هشام يحي خليفة "أبو يحي" صانه المولى ورعاه[1].

فقد أحيا المولى به الطريق، وأنار به سُبُلَ العلم، والدعوة، وبرع في الوعظ والإرشاد، ونال جُلّ البركة من **شيخنا العارف بالله** حتى تفرغ له تفرغاً ملموساً، واعتنى به أعتناءً محسوساً، حتى لمعتْ فيه تلك الأسرار، وسرتْ عنه الأغيار، وبدت الانقلاباتُ النفسية الدوافع، والعلاقاتُ الروحية الطيبة الهوامع، على صعيد مختلف الصفات والطبائع، فبدلت أحواله، وتغيرتْ أوصافه، واستنارت عليه التلاميح والتماليح، ففي الأذكار رضيّاً، وفي الآداب ملياً، وفي الخطاب نقياً، وبالإرشاد والتوجيه لبيباً صَفِيّاً.

---

(١) أنظر قرة العيون للمؤلف ص١٢٤ فإن فيه موضوعاً نفيساً.

فظاهره طَاوَلَهُ روعةُ الجمال والتحسين، وباطنه نالَه لُبُّ الرحيق والريـاحين. فاستدارت لحيتُه جمالاً، وطالتْ مسبحتُه أذكاراً، وتواصلت خلواته تكراراً، وتعاقبـت رؤياته مناراً.

فغدت آدابه جلية، وأخلاقه رضيّة، وأذكارهُ نَديَّة، ويُصدِّق ذلك كلـه تكامـلُ المحبة التي أعطتْ دلالاتٍ من خلالِ رؤى أتت صادقةً كالشمسِ في رابعـة النهـار، تعاقبت بعضها فوق بعض.

حتى غدا ولله الحمد عميدَ المحبة، رضيَ المودة، أعطاهُ المولى ببركـة صـدقِهِ ومحبته اللوامع من الأسرار، حتى كان محطَ الأنظار وموطن الأبرار.

فجزاه الله خيراً، ونفعنا ببركته وبره ودعواته وعلمه، آمين.

الأخ عبد الرحمن الحجار
عملَ قليلاً صادقاً – وغنم كثيراً حباً

العبارةُ المأثورة المشهورة والمقولَةُ المعروفة المنثورة، والتي ترّنم بها أهـلُ المعرفة والصفاء، وذكرها أحبابُ الله الأولياء، وتوافق على سرّها الأتقياء.

قولُهم: "**الفضلُ لمن صَدَقَ لا لمنْ سَبَق**" لأن الصادقَ في صدقه، والثابتَ على مودته، والمتفاني لتنموَ محبتهُ، والباذلُ الوقتَ والجهدَ في خدمته، والمتواصلَ الذي يقدم من عطائِه، لا بدّ وأن يسبق بأشواط وأشواطٍ المتقدمين الأوائل، ويرتقي على السابقين الأصائل، ممَّنْ لم يحملْ منهم تلك الصفات، فهو **السابقُ السابقُ**.

الســـابقُ الذي سبَقَه غيره في الأزمان وسار مع قافلةٍ المحبين والخلان. وأكثرَ فيهم الجدَّ والأعمال، وسارَ سَيْرَهُ لبلوغِ الفضلِ والكمال.

والسابق الذي سبق مَنْ تَقَدَّمَ عليه، لزيادةِ خصوصيةِ صدقه، وخدمـــةِ غيـــره على خدمةِ نفسه، من غير سابقِ منّةٍ أو هنّة، صبورٌ أيّما صبر، ثابتٌ وأيّمـــا ثبـــات، يتحملُ كل ضرّاء، ويرجو الرضا والقبول في السَّراء، ويأملُ الفـــوزَ بأنظـــارِ حبيبـــه معتقداً أن ذلك هو جزاؤه، ويَتَحَفَّزُ من خلاله راجياً ثوابَ ربه.

ومن هؤلاء السابقين، والرجال الخُلّص النُّدَّر والشباب الهُطل، والأخوة النّور، الأخُ المكرم الاستاذ **عبد الرحمن الحجار** حفظه المولى دنيا وأخرى.

فقد أَكْرَمَهُ ربُّ العزةِ جلّ جلالُه وتعرّف على **شيخنا العارف بالله** من خلالنا، وذلك قبيل وفاته بأَمَدٍ قصير، وزمن يسير، فدخلت محبتُه قلبَه، واستغرقت نفسُه مودتَه، وتفتحتْ له أبوابُ المحبة والاسرار من أوسع أبوابها ومداخلها، فتدثّر بثياب الإخلاص في الخدمة، وتَزَمّل بلباس صدقِ الملازمة، فرقّاه المولى بصدقه وحبـــه إلـــى ديـــوان الأكابر، الذين وصلوا بصدق الخدمة والبذل والعطاء، فغدا بَراً كريماً، مقـــبلاً إقبـــالاً عجيباً وحباً مديداً.

والحكمةُ الحقيقة يعلمها خالقُها ومدبرُها ومنشئُها، حيث له أمــورٌ يَبْـديْها ولا يَبْتَديْها.

فقد صار اليدَ الطيبةَ الملازمة، والأناملَ الحانية الثابتة، ففرّغ نفسَـه ووقتَـه وجهَده للوقوف أمام متطلبات الأيام الأخيرة لمرض **شيخنا العارف بالله**، وكان اليراع المخففة للألم، والزندَ المساعدَ عند اشتداده، وكتلةً من الصـبرِ المحفـوف بالصـدق والتقدير والشعور والاحترام.

مقبلاً على ذلك بكُلِّه، من غير كَلَلٍ ولا مَلَل، مِطْواعاً ينفّذُ الأمر إشارةً من غير طلب، ويقدمُ العونَ تِلوَ العونِ من غير تعب. وإذا عجز احدنا عن فهم مقصود **شيخنا العارف بالله** لتعثر نطقه – أواخرَ أيامه – كان أجدرُنا فهماً لإشارته، ووعياً لإيمـاءه ورغباته.

والناظرُ في عينيه – يومذاك – يجزمُ أنها تحكى علامـاتِ الشـكر والثنـاء والدعاء، وأنها تتدفقُ بالرضا الواكب، وتلمعُ ثناءً أكثرَ من لمعانِ الكواكب.

وسبحان الملهمُ الفتّاحُ الذي له في الخلق أسرارٌ عظيمة، ونفحات جليلةٌ كريمة، فقد بقيَ الأخ عبد الرحمن حجار، يتقلبُ في طريق الأسرار، ملازمـاً لـه ملازمـةَ الجواهرِ للأعراض، فلا يرجو ولا يميلُ قلبُه لشيءٍ من الأعواض.

وتمُرّ الأشهرُ القلائل، ويشتدُ المرضُ، لرفعه إلى درجات الأوائل، وتخرجُ تلك الأنفاس الطاهرة، يصاحبها الدعاءُ والرضا، ممتدحاً بنظرتهِ المودعةِ ماعملَ وتفـوحُ الشاذياتُ العاطرات، وتخرج روحُ الحبيب، محفوفةً بالندى والطيب.

ويُسلّمُ وجهُه لله راضياً من البلاءِ بالقضاء، وكأنه يقول: هنيئاً ثم هنيئاً لك أيها الصادق، عملتَ قليلاً صادقاً، وغنمتُ كثيراً محباً.

جزى الله خيراً الأخ الأستاذ عبد الرحمن حجار، وحفظــه الله وأســبل عليــه والعائلةَ التوفيقَ والعافية، ووفق الله جميعَ أحباب **شيخنا العارف بالله** وجمعنا وإيــاهم عند حوض النبيﷺ ورزقنا شفاعته.

آمين – آمين – آمين

الوفاء الصادق
وسريان سر الشيوخ

إن كان للوفاء بابٌ وسنامٌ ومحراب، فبابُه وسنامُه ومحرابُه **شيخنا العارف بالله**.

وإن كان للصدق والذمة والمودة رجال، **فشيخنا العارف بالله** أوفاهُم ذمةً، وأعلاهم صدقاً، وأرقاهم وفاءً ومحبةً. فقد كان مضربَ الأمثالِ في ميدان الأقران، وعنوان الوفاءِ في ساحةِ الأوفياء، وفياً كل الوفاء، وصدوقاً كل الصدق، وما يحملان من معاني.

الصدقُ وما يحملُ من معانٍ، والوفاءُ وما يكتنفهُ من تواضعِ التمايزُ، تراهُ قد تَدَفَّقَ من ينابيع قلبهِ وتجمَّعَ في جَوَاذِبَ محبةِ شيخه الولي التقي، النقي سيدي **الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي**.

فقد أكرمه الله تعالى ليسبُر غورَ دائرةِ إرضاءه بعد وفاته ورحيله جسداً عن هذه الدنيا، حتى تتميز صفاتُه وتبرزَ سمَاتِه، ولو رأيتَهَ ثَمَّ رأيتَه حين يَذكرُ أو يُذكرُ شيخُه، أو عندما يُحَدِّثُ عن صفاته، وسجاياه، أو سمعتَه يتناولُ سيرته، لحكمتَ أنه نقطة السرِّ في نفسه الطيبةِ الوفيةِ الرضية، التي مُلِئَتْ هيبةً واحتراماً وتقديراً وأدباً، وكأنه يجالسُه جهراً، ويجانسُه حقيقةً وينظر إليه بسر أسرار الرابطة والسلسلة الشريفة.

بل إن هذه المعاني والصفات سيطرت على حواسه ولُبّه، فآض بها متفكراً ومستغْرِقاً صفاءً ووفاءً وشوقاً.

وكنا ننظرُ إليه – وفي كثيرٍ من الأحيان – فنراه عند ذكر شيخه، وكأنه كتلةٌ من الأخلاق اللِّطاف، ومجموعةٌ من الآداب والأوصاف، وجملةٌ من المشاعر والأحاسيس الرقيقة، ونُبَذٌ من الحقائق الدقيقة، يعجزُ عن الوصول إلى كُنْهِها، أو سَبْرِ غَوْرِها، أولوا الألباب والنُّهى.

وبالجملة فقد كان يُصوّرُ شيخه في نَاظِرَيْه، وداخلِ طيات فؤاده المنير، وعقله الخبير، فهو استاذُه ومرشُده الذي استنارتْ به القلوب، وتفتحتْ به العقول.

ومما جَمَّلَ وثَبَتَّ روعةَ تذكُّرِه عبر شريطِ الزمنِ الماضي ليعيدَ له محاسنَ هذه الذكريات – زيارةُ الأخ الحبيب، الزكيُ الوفيُ الرضي، نجلُ شيخه الأكبر **السيد عمر محمد أمين البغدادي** حين أتى من مصر زائراً بيروت سنة ١٩ وكأن المولى الكـــريم ساقه لحكمةٍ يبديها خالقها ولا يبتديها.

وكان بين وفاة والده الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي وبين حضـــوره إلـــى بيروت ما يزيد عن خمسة وثلاثين سنة تقريباً.

وما أجملَ اللقاءَ وأحسنه، والأدبَ وأروعه، لأنه حين التقى **شيخنا العارف بالله** بالأستاذ عمر البغدادي الزكّي الوفي، لمعتْ ثناياه مَبْسماً، وأشرأبتْ نفسه تَسَنُّماً، وبدتْ عليه علاماتُ البشر والفرح والحبور والسرور. وكأنه يقول: حان وقتُ الوفاء والبـــرِّ ونشر المحاسن.

وقد حدثنا عن مشاعره فقال: إن واجبَ الوِفادة، وفضائل الضـــيافة، ولبـــاب مطالبِ الوفاء قد أقبلتْ، وفتحتْ أبوابَ سعادتها وبرِّها وخيرِها.

والسُنّةُ المتبّعةُ أن الزائرَ يُكرمُ من المزوُر، ويُلاقي عنده العناية وحُسْنَ الحبِّ والحبور.

وبما أن الزائرَ الحاضر، والضَيْفَ المكرّم، ليس ضيفاً عادياً، ولـــيس ظاعنـــاً اعتيادياُ، فينبغي التفكُر بإكرامه ملياً وروياً، خاصة وأن زيارته لبيروت ثـــلاث ليـــالٍ سوياً، وبعد مُضيِّها وذهابها مسرعةً، ويبتغي الزكيُ الوفي بعدها العودة إلى بلاده، إلا أن **شيخنا العارف بالله** استبقاهُ في ضيافته، وقدّمَ له أحسنَ ما يُقَدَّمُ من حُسْـــنِ وِفَادتِـــه وإكرامه.

وذلك لأمرٍ في نفس يعقوبَ مُتفَرِّساً ولظهور سرِّ الوفاء متحقِّقاً، بعد أن عايشَه مدةً متمرساً.

وتمضي الأيام، وتتعاقبُ الليالي والأزمان، والأولياء بوجودِ زوارهم يتفرَسُون وعلى قلوبهم ونفوسهم يتطلعون، وعلى أسطر صفحات أفئدتهم ينظرون.

والداخل على الأولياء – كما هو معروفٌ ومألوف – عليه أن يحفظ قلبهُ وعقلهُ وسرهُ ونفسه، لأن المولى الكريم والملهم العظيم، قد أعطى خصوصيات كريمةً لأهل كراماته وأولياءه.

ومنذ اللحظة الأولى المباركة، التي جلس فيها "الأستاذ عمر" تلقاء **وجه شيخنا العارف بالله**، كنا نجزمُ بأنه لا بدّ وأن تظهر تلك المعايير، وتَزْدَانُ تلك المقادير.

فإذا بالوفاء يلمعُ ظهوراً، وتتكشف التضحيةُ أثاراً، فلمسنا الاختيار المخزون، ورأينا السرّ المدفون.

ومن عادةِ الأتقياءِ الأخيار، أن يختاروا لكريماتِهم وبناتِهم فلذاتِ أكبادهم من الرجال الأبرارَ، فتفتقتْ عندها حقيقةُ الأنصهار، ليكونَ "الأستاذ عمر" من الأصهار الأطهار.

وهكذا كان وتمّ، وعلا الوفاءُ وعمّ، فَزَوَّجَهُ كريمتَه الكبرى، وتحقق ذلك واشتهر، وبين العلماء ثناءً ومدحاً قد انتشر، وكأنَّ هذه الخطوةَ المباركةَ الطيبةَ قد باركتْها ملائكةُ السماء، حيثُ غدا أولاده الذين أنجبهم قد نالوا شرف الدُرتَيْن، وبركة الحسنيين – فجدُهم من قِبَلِ أبيهم سيدي **الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي**، وجدُهم من قِبَلِ أَمِّهم **شيخنا العارف بالله** – حتى تتكامل درجاتُهم، وترتقي أنسابُهم، وتلتقي في عالم البرزخِ أرواحهم.

ولعلّ الله أرادَ بذلك أن يُظهرِ أمراً عظيماً وسراً دفيناً، رُبّما قد خَفِيَ على كثيرٍ من الأقاربِ والأباعدِ، حتى أظهره الله تعالى،

وهذا ما أَسَرَّهُ لنا في بعض مجالسِه، دامعةً عيناهُ الهَطَّالَتين.

إن هذا العمل المبارك الجليل، والذي ليس له شبيه ولا مثيل، في كـــل جيـــلٍ وقبيل، يدل على الوفاء وصدقه، وعلى الحبّ ودلالالته، دلالةً واضحةً على برِّ الشيوخِ بعد وفاتهم، ببر أبناءِهم في حياتهم، لتبقى أســـرارُهم متصـــلةً، وفضـــائلُهم منتشـــرة ومستمرة.

عمل مدرساً للتربية الدينية وآدابها في المدارس الرسمية من قِبَــلِ المديريـــة العامة للأوقاف الإسلامية بجدٍ ونشاط، وقد انتفع به كثيرُ من الطلبة، وبعد مدةً قد ألمّ به المرض سريعاً، إلى أن أدركتْه المنيةُ في سنٍ مبكرة، لحكمةٍ يعلمها الله المقدر، فانتقل إلى جوار ربه في ١٧ شباط ١٩٩٢م الموافق ٢٤ شعبان ١٤١٢هـــ، نـــاهز الســـتين عاماً.

وبناء لتوجيهات صاحبِ السماحة، مفتى الجمهورية اللبنانية الشـــيخ الـــدكتور محمد رشيد قباني، ووفاءً **لشيخنا العارف بالله** ومحبةً لفقيدنا، ولمَا كانَ له من حظـــوةٍ وتقدير عنده، وافق أن يدفن في تربةٍ بجوار سيدي الإمام عبد الرحمن الأوزاعـــي رضي الله عنه، وبجوار **شيخنا العارف بالله** سيد الأوفياء والنبلاء والأصفياء.

رحم الله الجميع، وجمعنا وإياهم في مستقرِ رحمته مع رسولنا محمد ﷺ .

آمين

الولد سرُّ أبيه

شاعُ عند العرب وانتشر لكل نبيه، أن الولد سرُّ أبيه، ينهجُ نهجهُ ليتمّ ما أرادَ أن يبنيه، وقد لا تظهرُ هذه الأسرارُ في حياة من يتمناها، بل تبقى مخبؤةً مكنونة تحت طيات الزمن كي يحينَ وقتُ ظهورها ووضوحها وإعلانها، حيث الأمور مرهونةٌ بأوقاتها، ومنوطةٌ بأزمانها، وإنْ دَبَّجَ الصالحون من أهل العلم والتقي قولتهم: "**يحملُ هذا العلم من كل خلفٍ عدولُه**" فلن يدع المولى معنى مقولتهم تذهب هدراً، وتضيعُ هباءً، فما من عالم إلا ويحملُ من بعده علمَهُ عدولٌ من الأبناء السببيين، أو النسبيين، **وشيخنا العارف بالله** غرسَ في قلوب وعقول أولاده جميعاً حبّ العلم والطلب والجهد حتى غدا كلُ واحد منهم عالماً في موقعه، نافعاً لمجتمعه، وكان يأملُ ويرجو أن يزين أحدُهم هامته بالعمامة البيضاء، لتبقى سلسلةُ الخير ممتدةً عبر الزمن، تتواصلُ معارفُها وعلومُها وفضلُها ونفعها.

وقد انتقل رحمه المولى إلى ربه ولم يُبصر تلك العمامة تعلو رأسَ أحدهم.

فإذا بأصغر أولاده سناً، وأرقّهم عُوْداً، "**أنس**" تعلو به الرتب، وتحوطه الهمة العالية لطلب العلم، ويعزمُ على الغوص لنيله، فيدرج في سِلْكِ الطلاب، ويرتقى في تحصيلة على مدارجِ الأحباب، فيلتحق بالأزهر "الثانوية الشرعية التابعة لدار الفتوى" سنة ١٩٩١ فيدرس سنّيَةّ الثلاثة فيتفوق بثبات ونجاح وعلم.

ثم يلتحقُ بعدها في "جامعة بيروت الإسلامية" كلية الشريعة، وينالُ إجازتها العالية "الليسانس" بعد أربع سنوات من التحصيل والجد والدرس.

فيعتمرُ عندها عمامة – لَفَّةَ – والده **شيخنا العارف بالله** كي يتابع مسيرته ونهجه ولتبقى سلسلةُ الذهب تتصلُ حلقاتُها ويستمرُ عطاؤها.

فقد أضاف بثباته وتحصيله إلى التقى زهداً، وإلى الشهد عسلاً، وإلى العلم زبداً رابياً، وهو ولله الحمد يحمل تراثَ والدِه أدباً وعلماً ومحبةً وطريقاً.

ويعمل حالياً – رئيس ديوان المحكمة الشرعية السنية في بيــروت – وإمــام مسجد سيدنا أبي بكر الصديقﷺ في وسط المنطقة التجارية.

فأكرِمْ به سراً بَدا، وقد حَازَ من الجميع الرضى، وله خصوصيةٌ مميزةٌ عنــد كل معارفه وإخوانه وخلانه، وبالخصوص عند صاحب السماحة أخي وصديقي الشيخ محمد رشيد قباني مفتي الجمهورية اللبنانية.

فبارك الله **بشيخنا العارف بالله**، وبأولاده الذكور والإناث، وذريتهم إلى يــوم الدين.

ونفعنا بمحبتهم وجعلنا بررة بهم آمين.

ذرية سيدي العارف بالله
وذريتهم المباركة

- الأستاذ محمد أمين: يحمل شهادة الليسانس في الحقوق، ويعمل الآن رئيس مصلحة ديوان وزارة الشؤون الاجتماعية، وقد أنجب من الأولاد أربعة: أميرة – ودينا – ومختار – ومايا.
- الأستاذ الدكتور بهاء الدين: يحمل شهادة الليسانس في الحقوق – ودكتوراه في الشريعة الإسلامية – من السوربون، ويعمل في جامعة في الرياض، ومستشارها القانوني. وقد أنجب من الأولاد ثلاثة: دانية – ولما – وأحمد عارف.
- الدكتور الأستاذ ياسر: ويحمل شهادة دكتوراه الدولية في الفيزياء النووي، ويعمل مديراً عاماً للجامعات الفرنسية التابعة للدولة، وأنجب من الأولاد اثنين: مالك ونديم.
- فضيلة الشيخ أنس: يحمل شهادة الليسانس في الشريعة الإسلامية، ويعمل رئيس ديوان المحكمة الشرعية السنية في بيروت، وقد أنجب من الأولاد ثلاثة: أميرة – وأحمد مختار – ومحمد عيد.
- السيدة سمية: وتحمل شهادة الليسانس في الأدب العربي، وعملت مدرّسة في مدارس جمعية المقاصد، وتزوجت الأستاذ عمر البغدادي وأنجبا أربعة أولاد: علا – وعبير – ومحمد أمين – وجنى.
- السيدة جمانة: تحمل شهادة الليسانس في الأدب العربي، وتزوجت الحاج مصطفى جدايل، ولم ينجبا أولاداً.
- السيدة حنان: وتحمل شهادة الليسانس الهندسة في الديكور، وتزوجت السيد فؤاد فتح الله، وأنجبا: راني – وندين – ووائل.
- السيدة لينا: وتحمل شهادة الليسانس في الهندسة المعمارية، وتزوجت السيد عزالدين لاوند، وأنجبا ولدين: مختار – وماهر.

المؤاثرة الحقيقة

رغبَ عن أمانةِ الفتوى لمنْ ملكتْ قلبَه التقوى

إن بيروتَ الحبيبة المحروسة، كانــتْ ومــا زالــتْ محــطَّ أنظــار العلمــاء والصالحين، ومرصدَ أهلِ الله وأولياءه الصادقين.

وربما خَصَّها الله بهذه الخصوصية، والمنقبة المتميزة، وأختار لها هذه الفضيلة ليبقى قولُ أحدِ الصالحين فيها متحققاً وسارياً ومستمراً.

"**إن بيروت لن تمــوت**" أي لن يموت فيها ذكرُ أهلِ العلمِ والفضــلِ والولايــةِ والصلاح والمعرفةِ والتقوى، فقد آضتْ بيروتُ كهفَ الصــالحين، وكعبــةَ العلمــاء العاملين. ومستراحَ الوافدين، والروضةَ الغنّاء للقاء قلوبهم وأفئدتهم، وما مِنْ عالم على وجه الأرض إلا ويعشقها ويرومُها، حبــاً بمــن فيهــا، ولعلــوِ بركتهــا ومَرَاحِهــا، وبالخصوص أنها بلدُ الإمام **سيدي الإمام عبد الرحمن الأوزاعي.**

فهو حاملُ مشعلِ السُنّةِ والعلمِ والمعرفة، وما من عالمٍ أتى بيروت زائــراً، أو قاطناً ومقيماً، إلا وُعُزَّ فيها – من قبل علمائها – أيّما إعزاز، وأكرمَ أيُّما إكرام، وجُلّ أيُّما إجلال.

ومن جُملة أولئك الأعزاء الكرماء الإجلاء، سيدي الحسيبُ النسيب الوليُ التقي فضيلة **الشيخ محمد العربي العزوزي**[١] الذي أتى بيروت سنة ١٣٣٣هـــ الموافــق ١٩١٥م، يرافقُ الجيش المغربي المسلم الذي يرعى شؤونه الدينية، ومفتياً له فقيهــاً، وذلك إبّانَ أيامِ الاستعمار الفرنسي للمغرب ولبنان.

وقد كان عالماً جليلاً، ورجلاً حكيماً، ومحدثاً واعظاً، وأديباً لغوياً.

---

(١) عزوز: بلدة في المغرب.

ومن تقادير المولى جلّ جلاله، والتي أكتنفها الكثير من الأسرارِ التي يطول ذكرُها وسردُها، أن تعانقتْ معرفةُ شيخنا العارف بالله بالشيخ محمد العربي العزوزي معانقةَ الحبِّ لحبيبه، وتلازمت جواذبُ الأرواحِ والقبول تجاذُبَ الخِلّ لخليله، ولازَمَه ملازمةَ الروح للجسد، والماء للعود الأخضر، ليلَ نهارٍ وصباحَ مساء، وتوطدتْ هذه العلاقةُ، وازدادتِ المحبةُ والتواصل، وازدادت رفعةً ومقاماً بينهما على مدى الأيام.

وذلك لمعرفة **شيخنا العارف بالله** علوَ قَدْرِ خليله وصفيّه، في علمِه وحديثِه وفقهِه، وورعه وذكره، حتى ذاع صيتُه وانتشر خبرُه، وتزاحمِ أهل العلم والذكر في فناء منزله، وتكاثروا على أبوابه للإفادة من علومه ومعارفه، خاصةً وأنه يحملُ الأسانيدَ العالية، والأجازاتِ الراقية، في شتى العلوم والمعارف، مما تمايز عن علماء وفقهاء عصره وحظيَ بتلك الخصوصيات عند أهل العرفان.

ولما انتهت مهمةُ الجيش المغربي من بيروت – والذي كان تحت الإمرة الفرنسية يومها – اقتيد **الشيخ محمد العربي العزوزي** إلى المغرب بعد فتنةٍ كبرى، اتهم فيها الشيخ من قِبلَ الاستعمار، حتى أباحوا دَمَه، وصدَرَ القرارُ بإعدامِه في المغرب.

والذي علمْنَاه من **شيخنا العارف بالله**، أن الفرنسيين اتهموه بمساعدة المجاهدين الذي يريدونَ طرد الاحتلال من أرضهم.

حينذاك ملئت الحسرةُ والأسى قلوبَ العلماء إخوانِه وخلانِه في بيروت، والتجاؤا إلى الله تعالى بالدعاءِ والتضرعِ والصلاةِ كي يحفظَه ويصونَه فاجتمعوا في المسجد العمري الكبير، في غُرفةِ شعرةِ النبي ﷺ وهي غرفة كنّا نصلي فيها أحياناً مع **شيخنا العارف بالله** تبركاً وبدأوا بقراءة أحاديث رسول الله ﷺ صحيح البخاري فوزعوه أجزاءً، حتى قرأوه من أولهِ إلى آخرهِ تبركاً وعلى نية إنقاذه ممَّا هو فيه وإرجاعه إليهم سالماً.

وقد حقق المولى لهم المراد، وأرجعه إليهم من المغرب سالماً على أكُفِّ المهاد، وسكنَ بيروت وقطنها.

وضَنَاً لوجوده، وحفاظاً على ثباته وحثّاً على إقامته في بيروت وبسعي حثيثٍ رطيبٍ ودودٍ من **شيخنا العارف بالله** فقد أُعطيَ الجنسيةَ اللبنانية، وبواسطة صاحب السماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد توفيق خالد رحمه الله.

ثم تزوجَ بعد ذلك إمرأةً صالحةً من آل دندن[١] وأنجب منها عدة أولاد، وتزوج بعدها بامرأة من آل سنو، وأنجب منها ولداً واحداً أسمتْه أمُه محمداً على اسم والده حيث كان في بطنها يوم وفاة والده.

وقد التقيتُ ببعض الذكور منهم وبأولادهم، وما زال هذا الخيرُ ينبثق من هذا الفضل العظيم **(ذريةٌ بعضُها عن بعضٍ واللهُ عليم حكيم)**.

وبعدها غدا **الشيخ محمد العربي العزوزي** رحمه الله محطّ أنظار العلماء، وملتقى الأولياء، وقرةَ عين فؤاد **شيخنا العارف بالله** وهنأة نفسه، وبحبوحةِ هيامِ روحه، وقد ألّف كتاباً أسماه "إتحاف ذوي العناية" سنة ١٣٧٠هـ الموافق ١٩٥٠م،

---

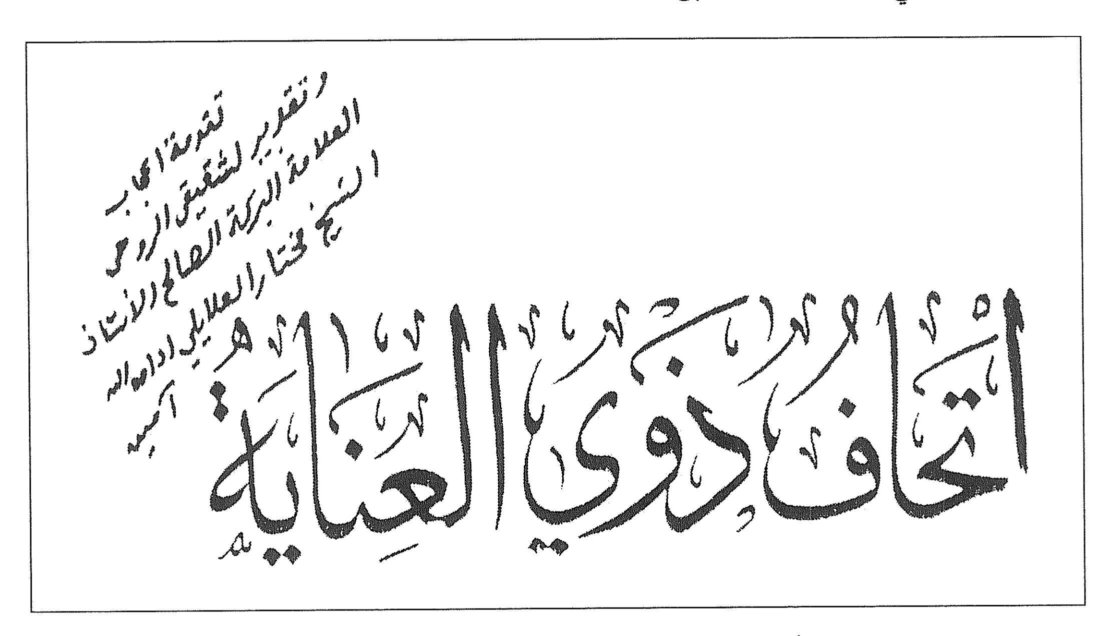
(١) قال محدثاً عن نفسه في كتاب إتحاف ذوي العناية ص ١٣٤ ما نصه: اضطررت إلى الزواج لكبر سن خالتي، التي كانت برفقتي، وعدم أمكان قيامها بخدمتي، وطالت بنا الغُربة، فبعد أن طرقت خالتي عدة بيوت، تمَّ رأيها على خطبة السيدة خيرية ابنة الوجيه السيد عبد الرحيم بن الحاج محمود دندن سنة ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٥م، وقد رزقني الله منها أربعة ذكور وثلاث بنات هم: **محي الدين وعز الدين** وقد توفي عز الدين وسِنُّه ٢٣ سنة شاباً نقياً بعد أن نال شهادة الكلية الشرعية بشهادة الجامعة المصرية. **وسهيل** تخرج من الكلية الشرعية ببيروت والتحق بالجامعة المصرية فتح الله عليه. **ومهدي** تخرج من الكلية الشرعية ببيروت والتحق بالجامعة المصرية فتح الله عليه. **فاطمة** وتزوجت بعد أن نالت الشهادة الأولى والثانية بابن عم والدتها السيد درويش دندن. **عزيزة** وتزوجت الأستاذ كاتب المحكمة الشرعية العليا الخطيب الواعظ الشيخ محي الدين العجوز. **بدوية** وتزوجت الشاب الوجيه السيد خليل السردوك.

وقد ذكر فيه تراجم جُلّ علماء الشام "دمشق بالخصوص" الذين التقى بهم، وقد ترجم **لشيخنا العارف بالله** في صفحة ٨٤ ما نصه.

قال: ومنهم العلامة المشارك البركة الصالح، التقي النقي سليم الطوّية، كامل الاعتقاد، سخيٌّ جوادٌ مِفْضَال، صادق اللهجة، عظيمُ البركة، الشيخ مختار العلايلي، وهو رفيقي بل شقيق روحي، بل مؤنسي في غربتي أدامه الله ونفعنا به وبعلومه، آمين.

وقد أهدى له أولَ نُسخةٍ من هذا الكتاب وقال بخطهِ في الاهداء:

تقدمة إعجاب وتقدير لشقيقي الروحي العلامة البركة الصالح الأستاذ الشيخ مختار العلايلي أدامه الله – آمين.



ومرةً كنتَ أقرأُ بين يدي **شيخنا العارف بالله** ترجمةَ الشيخ محمد أبو الخير الميداني، من كتاب الإتحاف موضوع كلامنا، الذي قال عنه في كتابه، عندما دخل الشام سنة ١٣٣٣هـ، وزار علمائها وفضلائها والتبرك بهم، قال: ومنهم العلامةُ الرباني الشيخ "أبو الخير الميداني" المربي بحاله وقاله، الشيخ الوقور، ذو الهيبة والنور، المعتكف ليله ونهاره، في نشر العلم والتعليم، الملازم لمسجد المحدث الشهير

أبي بكر محمد بن الحسين البغدادي الآجوري، مصنف كتاب الشريعة في السُنّة رحمه الله تعالى، والاستاذ المذكور، ملازم للمسجد المذكور.

عندها أثنى **شيخنا العارف بالله**ﷺ ثناءً حسناً، وأجاد وأطال، في ذكر مناقب الشيخ أبو الخير الميداني[1] وطال المدحُ والثناءُ شيخَنا وقرةَ عيوننا **الشيخ محمود بعيون الرنكوسي** واسترسلُ في ذكر صفاته وسماته الطيبة الرائعة.

وعندما سألتُه أن انقل من كتاب الإتحاف ما ذكره سيدي **الشيخ محمد العربي العزوزي** عن سيدي **الشيخ محمد أبو الخير الميداني**، فما كان منه إلا أنْ قدّم لي الكتاب هديةً، ووهبةَ لي بِراً وعطاءً. وقد نقلت هذه التراجم منه، جزاه الله خيراً.

بعد هذا كله، كان **شيخنا العارف بالله** عوناً وسنداً ومستشاراً **للشيخ محمد العربي العزوزي**، في السرّاء والضراء، وعند الشدائد الحياتية في بلد غربته ووحدته.

أغربُ أنواع المؤاثرة

لقد سمعتُ من **شيخنا العارف بالله** كما سمع الكثيرُ ممن يرتوي في مجالسه، يذكرُ أنه عندما انتقل إلى الله تعالى المرحوم **الشيخ عبد الرحمن سلام** وكان أميناً للفتوى حينذاك سنة ١٩٤١م، سيقتْ إليه أمانةُ الفتوى من غيرِ طلبٍ، وهو زاهدٌ فيها، وبالوظائف لكفايته النفسية والمالية، وتوافق كلُ علماء عصره على وضْعِها بين يديه، وتقليديه سنامَها، إلا أن نظرته أعمقُ وأجلُ، فقد حادثَ سماحةَ المفتي المرحوم **الشيخ محمد توفيق خالد**، وكان بينهما مودةٌ ورضا، ولا يردُ له طلباً لصدقه ومحبته، واتخذ الموقفَ المحبَّ الصادق، وآثرَ **الشيخ محمد العربي العزوزي** ليكون **أميناً للفتوى** يرعاها ويصونها ويكون هو المساعد والمعاون والنصير.

---

(١) انظر القضاء الرباني تأليف الشيخ محمود الرنكوسي رحمه الله، وشرح وتعليق فضيلة الشيخ حسين حسن صعبية حفظه الله تعالى.

وهكذا تم الفضلُ من الله تعالى، وظهرتْ المؤاثرةُ الحقيقةُ الرائعة، التي حفظها له العلماءُ وإخوانُه وخلانُه. وصارتْ مَضْرِبَ الأمثال في كلِ وقتٍ وحين. فقد عُـيّن **الشيخ محمد العربي العزوزي** المغربيُ الأصل أميناً للفتـوى سـنة ١٩٤٢م لعلمـه وصلاحه وصدقه، وليعلمنا **شيخنا العارف بالله** صدقَ المؤاثرة والشـعور بـالاحترام والتقدير، وأن هذه هي المؤاثرة الحقيقية التي يشعرُ المرء بحلاوتها في الدنيا والآخرة.

وإنني سمعتُ من شيخنا **الشيخ محمد الداعوق** رحمـه الله يقـول: إن هـذا الموقف والمنقبة العالية الرفيعة، والمؤاثرة الصادقة في صحيفته إلى يوم الدين. كذلك لم نشهدْها على مَرِّ الزمنِ إلا من أمثال الشيخ مختار العلايلي رحمه الله تعالى.

وبعد وفاة **الشيخ محمد العربي العزوزي** أمينُ الفتوى سنة ١٩٦٢م، تسلم أمانة الفتوى بعده من غير منازع **شيخنا العارف بالله**، وبقي مشرِّفاً هذا المقام إلى أن توفي سنة ١٩٨٤م، رحم الله الجميع، ونفعنا بصدقهم ومحبتهم وبرهم، آمين.

معاصرته العلماء

كان **شيخنا العارف بالله** محطّ أنظارِ الأولياء ومستراحَ نفوس العلماء، وملجأ الصالحين، وبوابةَ القاصدين، وجادةَ أهل العلم والمعرفة والأدب، وسبيلَ مفاهيم لغة القوم الأوائل، فهو الأب الرحيم، واليدُ المباركة الكريمة الحانية، والزندُ المساعدُ لمنْ أطبقت عليه الضوائقُ والشدائد.

وكثيراً ما كان يحدثنا عن العلماء الذين عاصرَهم، وعايشَهم، بحديثٍ عذبٍ سلسبيلٍ، وبأسلوب تحوطُه حرمتُهم وجلالتُهم ومعرفةُ قدرهم، ليغرسَ في قلوبنا حبهم، ولتبقى في النفوس مهابتُهم، ولتتنزل الرحمة عند ذكرهم، وليشحذَ هممَنا بعاطر سيرتهم، وقد عاصرَ الكثيرَ الكثيرَ من أهل العلم والأدب والطريق والبركة.

فمنهم: **الشيخ عبد الباسط الأنسي** الذي كان يقول عنه: إنه من أهل الفضل والكرم والعلم والفكر، وكان صاحب جريدة اسمها "جريدة الإقبال".

ومنهم: **الشيخ محمد سوبره**، صديقه الأكبر منه سناً، ورفيقه في العلم والطريق، وتزكيةِ الروح والنفس، والذي كان يقول عنه: لن يجودَ الزمانُ برجلٍ يحملُ في طيات قلبه صدقاً كصدقه، وهمةً كهمته.

ومنهم: **الشيخ أحمد محي الدين عجوز**، والذي كان يقول عنه: لا يوجدُ في زماننا من يحمل اللغة والأدب والشعر حفظاً ونظماً مثله. وقد صاحبَه قُرَابةَ نصف قرن، ولازمه مدةَ ذلك حباً ومدحاً وثناءً. وكنا نسمع لغةَ التواضع فيما بينهما إذا التقيا واجتمعا رحمهما الله تعالى وقد توفي في ١٣ حزيران سنة ١٩٩٥م الموافق سنة ١٤١٦هـ في ١٥ محرم.

ومنهم: **الشيخ عبد الرحمن الحوت**، صاحب النزاهة والعفة والشهامة، وكان يقول عنه: إنه نذر نفسه للدعوة، والنصح، وبناء المساجد والاهتمام بها ورعايتها.

وقد سمعنا قصة رؤيا من شيخنا **الشيخ أحمد العجوز** رحمه الله تعالى، قال: عندما تخرجنا من الأزهر في مصر مع إخوة كرام، تَسَنَّمَ كلٌ منهم وظيفة ورتبةً، منهم القاضي، والإمام، والمدرس، وغير ذلك ومرّت عليَّ فترةٌ لم تتيسرْ لي وظيفة، حتى رأيتُ **الشيخَ عبد الرحمن الحوت** في الرؤيا مقبلاً إليّ وقد طوى جبتَه ووضع عليها عِمّتَهُ وسلمني إياها، ثم مضى فأيقنتْ عندَها أنه أعطاني طريقتَه ومهمتَه، وهي بناءُ ورعايةُ المساجد وترميمها.

لذلك فقد أسس رحمه الله تعالى جمعية اسمها "جمعية بناء وترميم المساجد" فقد بنتْ ورممتْ أكثر من خمسين مسجداً في أرجاء الوطن، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

ومنهم: **الشيخ محمد توفيق خالد** مفتي الجمهورية اللبنانية حينذاك، وكان يقول عنه: إنه شرّف دار الفتوى بهمته العالية، وبغيرته الملموسة، ورعى الأوقافَ الإسلامية رعاية النماء والتطور، وكان مشهوراً بالوعظ والفقه، ورعاية الطلبة.

ومنهم: **الشيخ مصطفى نجا**، مفتى بيروت، والذي كان يقول عنه: إنه كان كتلةٌ من نور، محفوفة بالذكر والمهابة والجلال والسعي لقضاء حاجة الناس صغيراً وكبيراً بنفسه وماله وجهده.

ومنهم: **الشيخ عبد الرحمن سلام**، والذي كان أميناً للفتوى قبله، وكان يقول عنه: إنه آية من آيات الله تعالى في اللغة والشعر والأدب – وله قصائد رائعة.

ومنهم: **الشيخ محمد علايا**، مفتي الجمهورية اللبنانية، وقال عنه: إنه كان عالماً دقيقاً، وخطيباً لامعاً، وقاضياً شريفاً، وفقيهاً نزيهاً. توفي رحمه الله تعالى في ٢٧ أيلول ١٩٦٧م الموافق ٢٣ جمادى الثانية ١٣٨٧هـ.

ومنهم: **المفتي الشهيد الشيخ حسن خالد**، مفتي الجمهورية اللبنانية، والذي كان دائماً يدعو له بالسداد والرشاد، إبَّان الحرب الأهلية التي عاشها لبنان، وقضى خلالها شهيداً، رحمه الله في ١٦ تموز ١٩٨٩م الموافق ١١ شوال ١٤٠٩هـ.

ومنهم: **الشيخ عبد الباسط خوري**، مفتي بيروت زاهدها وعالمها، والذي كان يقول فيه: لم ترَ العينُ مثله في العلم والزهد والتقوى.

ومنهم: **الحبيب النسيب العالم محمد سعيد أياس** الذي كان يحب العلماء ويقتني الكتب القيمة. وحوتْ مكتبه أنفسُ الكتب وأندرها. وقد توفي رحمه الله سنة ١٩٥٣ م الموافق ١٣٧١ هـ.

ومنهم: **الشيخ يوسف النبهاني** بركة بيروت، (وحَسَّانُ أحمدَ) الرسول ﷺ، وحدثنا أنه التقى به وله من العمر ثلاثة عشر سنة وتَبَرَّك بلثْمِ يده.

ومنهم: **الشيخ محمد مكي الكتاني**، من آل بيت النبوة، وقد أكرمنا المولى بزيارته مرات عديدة. ولثم يديه حباً وكرامةً، لما يحملُ من علم ونسب نبوي وكان يقول عنه: إنه بقية السلف من آل بيت النبوة.

ومنهم: **الشيخ محمد المغربل**، رئيس المحاكم الشرعية، السنية العليا، بقيةُ السلف المعاصر لجميع ما مرّ من كرام، وما زال ولله الحمد، على قيد الحياة، وقد أمتدّ به العمر، وهو الآن معتكفٌ في منزله، ومختلياً ويجاورني في منطقة مسجد الخلية السعودية المزرعة.

ومنهم: **الشيخ سعد الدين عيتاني**، القاضي المستشارُ، اللغوي الفقيهُ الشافعي، والذي كان يقول عنه: إنه يحملُ قلباً طاهراً ونفساً طيبة مخلصة، وكان خطيباً في مسجد الأمير منذر (النوفرة).

ومنهم: **الشيخ الحاج حسين خالد**، الولي التقي النقي بركة بيروت، والذي كان له اعتقاد عجيبٌ غريبٌ في **شيخنا العارف بالله**، وله فضل علينا حيث كان يرعانا ويهتم بنا دوماً أيام طلبِ العلم وأوقف نفسه لخدمة الناس ولم يتزوج، وكان يثني عليه ثناءً لا مثيل له.

ومنهم: **الشيخ نمر الخطيب**، وهو الوحيد الذي ما زال حياً من طبقته أطال الله عمره، وهو مقيمٌ في المدينة المنورة على ساكنِها أفضلُ الصلاة والسلام. وقد التقيتُ به سنة ١٩٩٩م عند باب السلام عند زيارة سيد الأنامﷺ.

ومنهم: **الشيخ عبد الله العلايلي**، شقيقه الأصغر، والذي أخذ بيده إلى الأزهر في مصر وله من العمر عشر سنوات، ونال بركة سيدي الشيخ محمد أمين البغدادي، وأوصى به لما رآه وقام له **وقال لشيخنا العارف بالله حِفِّظْهُ القرآنَ**، فحفظه وصحيحَ البخاري ومسلم في ستة أشهر كما حدثنا رحمه الله وقد توفي سنة ١٩٩٦م الموافق ١٤١٧هـ.

فهو أعجوبة الدهر والعصر، جامعُ العلوم والفنون، لا سيما اللغة والأدب، ما تكلم بعلمٍ إلا وجدته بحراً زخاراً، له في التفسير والأصول والحديث معرفةٌ لن ترى مَنْ يجاريها. وله مؤلفات كثيرة منها ما هو مطبوع متداول، وأعلاها قاموسه الذي فاق اسلوبُه وسَبْرَهُ للغة ودقائقها فطاحلةَ اللغة ممن سبقه فسبحان مَنْ وهبه وأعطاه.

وقد زرناه مرةً في منزله – في الأشرفية السوديكو – بصحبة **شيخنا العارف بالله** إبَّان الحرب للاطمئنان عليه، فوجدناه متحسراً ومتأثراً يشكو مرارة فقدان مسودةِ الجزء الثاني من قاموسه الذي أفنى حياته وعمره في تأليفه، حيث احترق أو سُرق كما ذكر.

ومنهم: **الشيخ شفيق يموت**، الذي درسَ عليه الكثيرَ من العلوم حتى غدا رئيساً للمحاكم الشرعية السنية العليا في لبنان، وخطيباً مفوهاً وشخصيةً لامعةً وكان يذكر فضل **شيخنا العارف بالله** دوماً، ويمتدحُ إحسانه واهتمامه به في بداية الطلب. وقد توفي خلال كتابي هذه الترجمة رحمه الله.

ومنهم: **الشيخ هاشم دفتر دار المدني**، وكان كاتباً معيناً له في الفتاوى التي يصدرُها **شيخنا العارف بالله** أميناً للفتوى، وقد دَرَّسَ في الأزهر ما يزيد عن أربعين

سنة، وكان صديقاً خلوصاً خلوقاً طيباً ذاكراً محباً، وقد التقينا به مرات عديدة، في بيروت وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث توفى هناك ودفن في البقيع.

ومنهم: **الشيخ إبراهيم الغلاييني** مفتى قطنا، الذي كان يزور شيخنا العارف بالله، وكان يقول عنه: أعطي مقام الأنوار.

ومنهم: **الشيخ محمد عساف صنوُهُ**، وصديقُهُ، وصُوُفِّيُه، والمكْرَمُ في حضرته أيما إكرام لمن جاء عن طريق **شيخنا العارف بالله** طالباً. وقد أنتفع به الكثير من إتباع الطريقة الشاذلية ومن خصائصه أنه عديل **شيخنا العارف بالله.**

ومنهم: **الشيخ راغب قباني** – والد سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد رشيد راغب قباني، وكان يقول عنه: كان مُكِباً على العلم والتعليم، ومُجِدَّاً في طلب الحلال، وسيرتُه حميدةٌ عاطرة، وكان يسافرُ كثيراً إلى بلاد الحجاز في ذاك الوقت.

ومنهم: **الشيخ جعفر الكتاني** والد الشيخ محمد مكي، عند مكوثه مدة من الزمن في بيروت.

ومنهم: **الشيخ صالح كفتارو**، بركةُ عصرِه، والمختصُ بالكشفِ والتوجه، حتى كان يقول عنه: إنه أُعطيَ مقام التوجه.

ومنهم: **الشيخ توفيق الهبري**، وكان ذا علمٍ وجاهٍ، ومحطَ زيارةِ العلماء والأولياء، وبابَ إكرامهم وقضاء حوائجهم لغناه ومَيْسَرتِه.

ومنهم: **الشيخ محمد الكستي** قاضي قضاة بيروت، والذي كان يقول عنه: كانتْ له اليدُ الطُولى في الفقهِ والأصولِ والشعرِ والأحكامِ القضائية.

ومنهم: **الشيخ محمد علي الأنسي**، ويذكرُ أنه كان قاضياً شرعياً لَوْذعيَّاً حكيماً.

ومنهم: **الشيخ مصطفى الغلاييني**، وكان يقول عنه: إنه أعجوبةُ عصرهِ في الأدب واللغة، وله تآليف كثيرة.

ومنهم: **الشيخ بدر الدين الحسني**، عَلاَّمةُ الدنيا، شيخ **شيخنا الشيخ محمود بعيون الرنكوسي** وكان يقول عنه: إنه كان محدثُ الدنيا، وفقيهها وزاهدها.

ومنهم: **الشيخ محمد أبو الخير الميداني**[1]، شيخ **شيخنا الشيخ محمود بعيون الرنكوسي**، وكان يقول عنه: إنه كانتْ له محبة رائعة للعلماء، وله وَلَهٌ في محبتهم وزيارتهم وتقديرهم.

ومنهم: **الشيخ محمود بعيون الرنكوسي** صاحبُ المقام الأُنسي، والنور القدسي، وكان يقول عنه: إنه فيه سرُ شيوخه الذي يستنيرُ بنورهم.

ومنهم: **الشيخ محمد صالح فرفور** مؤسسُ معهد الفتح الإسلامي العلمي في دمشق الشام، والذي كان يقولُ عنه: (إنه آيةُ اللهِ في الأرضِ علماً وعملاً وتوجيهاً وإخلاصاً).

ومنهم: **الشيخ محمد الغزال**، محبُ القرآن والعاملُ على حفظه وتحفيظه طوال حياته، ومفتشاً للشؤون الدينية في جمعية المقاصد والأوقاف وكان يقول عنه: قد أعلى الله مقامَه بإخلاصهِ في خدمةِ إخوانهِ ورعايتِه لشؤونهم وتواصُلهِ دائماً معهم. وكان ذا هِمَةٍ عالية لا تفترُ وإقدامٌ لا يُبارى.

ومنهم: **الشيخ محمد الداعوق**، رئيسُ المحاكم الشرعية السنية العليا، مُحِبُّ **شيخنا العارف بالله**، ووفيُّهُ وصديقُه وريحانتهُ العلمية، والرّقةُ الصوفية، وتَمَا زّجُ

---

[1] انظر قرة العيون – ص٧٧ وبعد صفحة ١٤٤.
وسمعنا مرة من **شخينا العارف بالله** أن الشيخ عيسى الكردي شيخ الشيخ أبو الخير الميداني، والذي زوجه ابنته عين الحياة، أمر أربعين خليفة من خلفائه أنْ يخدموا الشيخ الزملكاني، واستثنى منهم الشيخ أبو الخير الميداني لعلو مقامه ورفعته وكرامته.

روحه وقلبه. وكان يقول عنه: بَلَغَ ما بلغ برِقته وصفاء قلبه وحضوره وصدقه، وقــد توفي رحمه الله سنة ١٩٩٥م الموافق ١٤١٦هـــ.

ومنهم: **الشيخ حسن حسن دمشقية المُبْصِرُ**، شيخُ قراء لبنان وعالمُها، وفقيهُها ولغويُها وصوُفيُّها - أخذ عن **شيخنا العارف بالله** الفقه واللغة والعقيدة مع متونها، وقد أكرمنا المولى بمجالسته ما يزيدُ عن عشرِ سنوات مع إخوة كرام على رأسهم، الصديقُ الوفيُ مفتي الجمهورية اللبنانية **الشيخ محمد رشيد راغب قباني**، وذلك لما كان أميناً للفتوى وقبل تَسلُّمه المسؤولية الكبرى "سدة الإفتاء" أعانه الله تعالى وسدد خطاه.

ومنهم: **الشيخ محمد الفيومي**، والشيخ محمد مفتى زاده، والشيخ منير المقدم، والشيخ هاشم الخليلي، والشيخ محي الدين مكاوي، والشيخ محي الدين العجوز، والشيخ سعدي ياسين، والشيخ قاسم الرفاعي، والشيخ حسن تميم، وغيرهم كثير كثير، ممن لا أستطيع أن أحْصيهم عداً ولا ذكراً، فرحم الله الجميع وجزاهم الله عنا كل خير آمين.

محبةُ زيارته للصالحين
الأحياء والأموات والتبرك بهم

كانت عقيدةُ **شيخنا العارف بالله** هي عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعــةِ. اعتقــاداً لا يشوبُه شكٌ ولا زيغٌ ولا لبسٌ ولا ارتياب، عقيدةٌ أشْعرِيَّةٌ شافعية، ماتُرِيْدِيَّةٌ حنفية.

فقد جمع المولى فيه مجامعَ المحبة للأولياء والتبركِ بهم على عقيدةٍ راســخةٍ مما يندُرُ وجودها في غيره من أهلِ عصرِه ومصرِه، إلا من اختصَّهُ اللهُ تعالى، بمــا اختصَّهُ به وَحَباه، وأعطاهُ مما أعطاه، وحلاّهُ بما حلاّه، حتى تكاملــتْ محبتــهُ لهــم، وازْدانَتْ عندَه جلائلُ ذواتِهم، حتى غدا من الكُمَّلِ من عباد الله المقــربين، والعلمــاءِ الذوّاقين، فلا يخلو مجلسٌ من مجالسهِ إلا ذكرَ حبَهم وكراماتهِم وتقديرَهم واحتــرامَهم ومناقبهم ومقاماتهم.

وكذلك التوسلُ بهم قُرْباً إلى الله تعالى بصالحِ أعمالِهم وطاعاتِهم وجاهِهم عند الله تعالى. ويرى التبركَ بزيارتهم، وزيارةَ الأحياء منهم والأموات.

وقد أكرمنا المولى تعالى بصحبته مرات عديدة، فزرنا مقام وقبر بركة بيروت الإمام عبد الرحمن الأوزاعيرضي الله عنه. وكانتْ تحصلُ في هذه الجلسات تجليــاتٌ وأذكــارٌ ودعواتٌ ونفحاتٌ فتزكو الأرواح وتطيبُ النفوس.

وقد هبتْ عواصفُ محبتِهم في القلوب، وهمستْ هواتفُ زيارتهم في النفــوس وتحركتْ رياحُ الأشواقِ إليهم في الأفئدة. فطلبَ منا **شيخنا العارف بالله** أن نَشُدَّ العزم بصحبته لزيارة الإمام محي الدين بن زكريا النووي مُرَجِّحَ فقه الشافعي، في بلدة نوى في حوران الشام.

الفصلُ فصلُ الصيف، والقيظُ والحر اشتدَ من كل جانب، والحرارةُ ضربتْ في الأرجاءِ بأطنابها، وذلك سنة ١٩٦٥م في شهر آب.

فتأبطنا الهمةَ المقرونةَ بحب الأولياء، وحبِ زيارتهم، وعقدنَا **العزيمةَ** مع النيةِ الصادقة، وسافرنا نقطعَ الفيافيَ والقفار لزيارة هذا الولي التقي في بلدةِ نوى.

وقد أكرمني المولى إذ كان **شيخنا العارف بالله** يركبُ معي في سيارتي وبرفقة إخوة كرام:

أخي وقرة العين منى الشيخ محمود سعيد سعد.

وأخي وفرحة خاطري وسيدي الشيخ حسين صعيبة.

وأخي عزيزي ومحبي الشيخ زكريا رباح شعر.

وكانت ترافقنا سيارة أخرى بصحبة:

الحاج حسين خالد رحمه الله.

والحاج خالد بشير رحمه الله.

والحاج محمود شعر عافاه الله.

وكان طيلة الطريق والمسافات يحدثُنا عن الصالحين وعن محبـتِهم وفضـل ذكرِهم. وكان يقول: إذ ذُكرَ الصالحين تتنزلُ الرحمة.

فنقول: كيف إذا حضرَ ووجدَ الصالحون.

وبعد السير ساعاتٍ طِوال، وكان النهارُ قد أنتصف أو كاد، وصلتْ بنا الركابُ إلى بلدةِ نوى، حيثُ يرقدُ الإمام النوويﷺ، فدخلْنا لزيارةِ مَرْقَدِه الذي تحوطُه جـدرانٌ تتسابُ منها الأنوارُ لمن قد خُصَّ برؤيتها، وتُجَلِّلُهُ هالةٌ كالقمرِ ليلةَ البدر، فتتكشفُ عن أسرارٍ يتذوقُها أهلُها ومريدُوها، وجَلَسَ **شيخُنا العارف بالله** تِلْقَاءَ القبر، وتحلّقنا حولـه كتَحلُّق السوارِ حولَ المِعْصَم، وقد استجمع هيبةَ العلمِ والخشية، واستحضر الآداب التي يكتسبها المريدُون عند مقابلة المربين.

ودعا له بدعواتٍ لم نسمعْ مثلها من قبلُ، وأسْبَغَ عليه سحائبَ الرضا، وأجزلَ عليه نفحاتِ الثناء، لما قَدَمُه للأمةِ من علمٍ وفقهٍ وحديثٍ ودراية.

ولو رأيتَ ثَمَّ رأيتَ تلكَ الشجرةَ الضخمة التي خرجتْ من مُنْتَصَف قبره، لقُلْتَ إنها تُحاكي السماءَ عِزَتَهُ ورفعتَه علواً، حيثُ مكان قبره لا سقْفَ لــه حتــى تَشْــرَئِبَّ الأغصانُ والجذوعُ ارتفاعاً. ولكنْ هذه الشجرةُ لا أوراق لها، بل لها أغصــانٌ تشــبهُ الأســلاك التــي تُشكِّلُ كلمــاتٍ وضعــتْ بعضها فوق بعض، فإذا **بشيخنا العــارف بالله** يُطرق مدةً من الزمنِ ثُمَّ يَحِلُّ بعضَ رموزِ هذه الكلماتِ المتشابكة فيقول بلســان اليقين: **سبحانَ اللهِ، سبحانَ اللهِ، حَيٌّ في قبرٍ، حَيٌّ في قبر.**

ثم أتى بعض أهلِ القريةِ الذين جذبتْهم أنوارُ **شيخنا العارف بالله**، فحــدثونا أنَّ هذه الشجرة عندما كانت تُورِقُ أوراقُها تنمو وقد كُتبَ عليهــا لا إلــه إلا اللهُ، محمــدٌ رسول الله، ولما زَهِدَ الناسُ فيها وصارتْ تســقطُ علــى الأرضِ أوراقهــا، كبُــرَتْ أغصانها وجذوعُها ولكن من غيرِ أوراقٍ لها. لسرٍ يعلمهُ اللهُ تعالى.

ثم عَدْنا إلى دمشقَ الشام، وصَعِدْنا جبلَ قاسيون حيثُ زرْنا الشــيخَ عبــد الله الداغستاني، الذي أكرم وفادتنا.

ثم عدنا إلى بيروت عند صلاةِ العشاء، فكانتْ صحبةً طيبةً، تعلْمنا منها مــن **شيخنا العارف بالله** الشيء الكثير، غرسَ خلالَها في قلوبنا محبةَ الأوليــاءِ وزيــارتهم وتقديرهم وإجلالهم وآداب الصحبة والسفر ومحاسنَ الإنفاق والتعاون.

رحمَ الله **شيخنا العارف بــالله** لقد كان ذا قدرٍ وقدوةٍ معلمــاً ومرشــداً ســفراً وحضراً.

زيارة العلماء له من الأقطار

كان **شيخنا العارف بالله** مخصوصاً من الـربِّ الكـريم بـالعلم والمعرفـة، والوقوفِ على حقائقهما وقوفاً وقفَ العلماءُ على سَاحِله، كما أنَّ ما حملَه من صـلاحٍ وتقوى ورعٍ، مع اقترانها بالفطنة والألمعية، جَعَلَتْهُ متميّزاً حق التَميّزُ، ممّا أعجزَ القلمَ وصفاً وذكراً وسَمْتا، أما لَقَبَهُ بشافعي عصره وزمانه، فقد أستحقه عن جدارة واستحقاقٍ كاملين لا لُبْسَ فيهما مُطْلَقاً.

وهذه المعاني وغيرها، هي التي حَدَتْ بعلماءِ الأمصارِ ومن شتى الأقطارِ لشَدِّ الرحالِ لزيارتِه، وتكحيلِ العيونِ بِلُقْيَتِهِ، وللإفادةِ من توجهِهِ وعلمِه، وتَبَرُّكاً بدعواتـه، واستبشاراً بنور روحانيته وصفاءه.

فما مِنْ عالمٍ أتى بيروتَ زائراً، أو مسافراً، أو عابرَ سبيل، إلا ودَعَتْهُ جواذبُ العِلمِ والمعرفةِ أن يتوجّه إلى قبلةِ العلماء، ومعينِ الأوليـاء، ليكتسـبَ مـن رَوْحِـهِ ورَيْحانْهِ، وعلمِه وفضلِه وبركته، وهذا لا يحتاجُ إلى كثرةٍ الأدلة، فقد أطبقَ أجماعُ أهلِ عصرِهِ ومصرِه على ذلك.

والذينَ زاروهُ قديماً وحيثاً في ذاك العصر لا يُحْصَوْنَ عـداً، ولا يُسْتَقْصَـوْنَ حداً.

وها نذا أذكر من العلماءِ الذينَ زاروه واستأنسَوا به وبمجالسته.

منهم: **الشيخ محمد أبو الخير الميداني**، تاجُ الأولياء، وفقيهُ العلمـاء، رئـيسُ رابطةِ علماءِ الشام، الوليُ التقي الرباني وقد زارهُ مراتٍ عديدة في أزمنةٍ مديدة.

وكان يرافقُه ويصاحبُه دوماً، مولانا، وملاذُنا، الوليُ الواصلُ، **الشيخ محمـود بعيون الرنكوسي**، حيث كان ملازماً له سفراً وحضراً، وحِلاً وترْحالاً، والذي له أمانُ **الوفاء في** أعناقنا بِراً وروحاً ومحبةً.

وقد تابعَ مسيرةَ الوفاءِ بعد شيخه، فكان يزور[1] **شيخنا العارف بالله** دوماً ويقول عنه: إنه وليٌ زَهِدَ فيه أهلُ بيروت.

ومنهم: **الشيخ محمد صالح فرفور**، الذي له فضلٌ علينا، لا نُوفيه إياه إلى يوم القيامة، حيثُ فتحَ لنا في دمشقَ بابَ العلم وتَلَقَّفَنَا ورعانا، فقد زاره مرات عديدة في أزمنة مديدة.

ومنهم: **الشيخ إبراهيم الغلاييني**، مفتى قطنا، والذي كان يزوره كلما أتى بيروت.

ومنهم: **الشيخ أمين كفتارو** الذي كان له اعتقاد طيبٌ في **شيخنا العارف بالله**. وقد كان يقول عنه: إنه من أهل الكشف.

ومنهم: **الشيخ صالح الجعبري** من علماء مصر والسودان وقد زارهُ سنة ١٩٦٤م، وقد أكرمني المولى برؤيته والتبركِ به مع إخوان كرام وأوْصَلْتُهُ إلى المطار بسيارتي، وقد أعطاني صورته، وقد انتفع به في مصر خَلْقٌ كثير وبني مسجد سمي باسمه بعد وفاته وقد زرته حديثاً سنة٢٠٠٤.

ومنهم: **الشيخ عبد الحليم محمود**، شيخُ الأزهر في مصر، والذي أهداهُ كتابَ الإمام الغزالي "المنقذ من الضلال" بعد أن شرحه وحققه وأبدع فيه شرحاً وتحقيقاً.

ومنهم: **الشيخ محمد بلانكو**، مفتي حلب وكان له به صِلَةٌ طيبة مبرورة. وتحصل جلساتٌ فيها ذكرُ أهل الله، وكنا نجلسُ على حافةِ المجالسُ نستفيدُ من صدقها وعلمها.

ومنهم: **الشيخ عبد الستار السيد**، وكان يومذاك وزيراً للأوقاف في سوريا، وذلك بزياراتٍ متعددةٍ متكررة.

ومنهم: **الشيخ محمود علي البنا**، الحافظ القارئ المشهور.

---

(١) انظر قرة العيون ما بعد ص (١٤٤) الصور.

ومنهم: **الشيخ مصطفى إسماعيل**، الحافظ القارئ المشهور.

ومنهم: **الشيخ عبد الباسط عبد الصمد**، الحافظ القارئ المشهور.

رحمَ اللهُ الجميعَ وأسبلَ عليهم سحائبَ رحمته ورِضوانِه، وحشرنا وإياهم في زمرةِ الصالحين، وفي جنةِ الخلدِ مع النبي ﷺ ، آمين.

قصة عايشتها وشاهدتها

كان **شيخنا العارف بالله** معاصراً مُحباً، ورَضياً مميَّزاً، لأهلِ العلمِ والمعرفة، وذوي البصر والبصيرة، ممّن فَهِمَ لغةَ القوم. وقد تَنَامتْ نفسهُ في رِحـــابِ محبـــتهم، وتقلبت في جنباتِ أسرارِهم، وحلاوةِ مجالسهم، يكتسبُ من ودادهم وصفاء قلوبهم.

ولا عجب إنْ سرى سِرُّ أسرارهم في سِرِّه، فُسُرَّ بسرِّهم، فغدا صاحبَ الســـرِّ الساري، فتكَشَّفَتِ الأسرارُ في الليل والنهار.

وكان كثيراً ما يحدثنا عن لقاءِه واجتماعه بالشيخ يوسف النبهاني بأنه الـــوليُّ الأتقى، والسَرِيُّ الأنْقى، وأنه حسَّانُ الرسولﷺ. وكنا نقرأ عليه كثيراً كتابَـــهُ جـــامِع كرامات الأولياء، الذي هو كنزٌ من كنوزِ رجالِ التراجم، وإنِّي أذْكَر قصةً عاصرتُها، وحادثةً شاهدتُها ولمستُ معانيها وروعتها، وقد زادتني بهِ اعتقاداً، وثباتـــاً وارتيـــاداً وإمداداً.

ففي عام ١٩٨٠م أيام شدَّةِ أوارِ الحرب اللبنانية القائمة، كنتُ في مكةَ المكرمة بيتِ الله الحرام، وزرتُ المدينةَ المنورةَ – رزقنا اللهُ دوماً زيارتهما – فالتقيتُ رجـــلاً يُلَقّبُ "بالحاج عمر" من بلاد الحبشة، فكنتُ أتسامرُ معه في مسجد النبيﷺ فـــي ذكـــر الصالحين ومناقبهم، وبِسِيَرِ الأولياءِ واخبارهم، في بلدينا الحبشة ولبنان، وحدثْتُهُ ما في جُعبتي عن الشيخ يوسف النبهاني فوجدتُه وقد حوى في قلبهِ جُلَّ المعارفِ عنه، وقـــد هَضَمَ حياتَه وسيرتَهَ وتَقَلّبَ فيها مُتأوِّهاً ومتمنياً ومنتظراً الساعةَ المثلى التي يذهبُ فيها إلى بيروت لزيارةِ الشيخ يوسف النبهاني، المدفون في تُربة الباشورة – بيروت.

ولو رأيت الدموعَ التي كانتْ تلمعُ وتسيرُ على صفحاتِ وجنتيه الســـمرُاوتين، لجزَمْتَ أنها تحاكي طريقَ الصدق والشوقِ لأولياء الله تعالى.

ولّما أعلَمْتُهُ، أن **شيخنا العارف بالله** كانتْ له لقاءاتٌ متعددة مع الشيخ يوسف النبهاني. اشْتَدَّ شوقُه إلى تلكِ الديار، وعزمُه إلى رؤيةِ هذه الأقطار، وللتبرك بزيـــارةِ

الرجالِ الأبرار، ثُمَّ تعاقدْنا وتواعدْنا كي يزورَنا "الحاج عمر" في بيروت عندَ أقــربِ فرصةٍ مناسبةٍ لهذه الغاية المنشودة.

ولم تمضِ الأشهرُ الأربعةُ إلا وقد أتى بيروت يتأبطُ النية الصادقةَ، والشــوقَ الحاني، لرؤية **شيخنا العارف بالله**، وزيارة **الشيخ يوسف النبهاني**.

وبعد استضافته وإحسان وِفَادَته والقيام بالواجبِ، صَحِبْتُهُ في اليومِ التالي حيث زرْنا قبرَ حسّانِ الرسولﷺ الشيخ يوسف النبهاني – فقد وقف وقفة الحاضــرِ المريــدِ المتأدب المهذب، وَجَهِش بكاءً وازداد دعاءً، فحمد اللهَ وأثنى عليــه بأســنى المحامــد وشاكراً، وصلى على رسول الله ﷺ، ومن كثرة خشوعِه واسترسالِه جثا على ركبتيــه أدبَ المشاهدِ لرفعة مقامِ المزوْر، ومع لونِ بشرتِه الداكنةِ، رأيتُ هالــةً مــن النــورِ واللمعان، تحلقتْ حولَهُ وعانقتْهُ، عند ذلك شعرتُ بنفسي وكأنني لا أطــأ أرضــاً، ولا أحملُ جسداً لرقةِ وصفاءِ وصدقِ ما سمعتُ، حيثُ شَارَكْتُهُ بالدعاءِ والبكاءِ والتأمين.

ثم بعد الانتهاءِ من هذه الزيارةِ المباركة، والمحفوفةِ بالآداب النبوية، والدعواتِ الرضية، ودَّعَ قبرَ الشيخِ وداعاً لا يُوْصَف. محفوفاً بالتقدير والأحترامِ، فقد تركَ القَبْرَ راجعاً القِهْقَرى – يودعُه بصدرِه كي لا يَسْتَدْبَرهُ أدباً، وحتى يكونَ آخر ما تراه عيناه فتَقَرّ بهِ نفسُه.

وما كادَ يكفكفُ السابحاتِ من الدموع، حتى طلبَ مني بلطــفِ الأديــب، أن نزورَ **شيخنا العارف بالله**، الذي يترقبُ زيارتَه، ويتحيَنُ رؤيته.

وبعدَ مَوْعد مُسْتَطَاب، رجاءَ لقاءِ الأحبةِ بالأحباب، فُتِحَ لنا الباب، فدخلْنا على أطرافِ الأدبِ، ولّما رآه "الحاج عمر" بهالتِه الجاذبة، وطَلّتِه الرائعة، وصفاتِه الراقية، أَكَبّ على قَدَميِه وركبتيه مقبّلاً بشفتَيْه وفَمِه، ويُمَرّغ وجهه بهما ويقول باكياً:

والله، والله، أنا لا أصدقُ نفسي، لا أصدقُ نفسي أنني أرى مَنْ رأى الشــيخ يوسف النبهانيرضي الله عنه.

وأسبلَ الدموعَ الصادقاتِ المؤمناتِ، والتي كتبتْ للمحبين عبرةً وضنىً، وعَرَّفتْ المريدين الصادقِين، ورفعتْ أحبتَهم.

ثم دار الحديثُ، ولَذَّ المجلسُ، وعَبَقَ شذا الأولياء وروحانيتهم، ولم يترك "الحاج عمر" يدَي **شيخنا العارف بالله** وهو يقول له:

بهذه اليدِ لمستَ يدَ الشيخُ يوسف النبهاني، فيأخذها ويقبلُها ويمسح بها وجهَه، **وشيخنا العارف بالله** خجِلٌ يَشُدُّ اليدَ كي يحررها، ولكن بدون جدوى.

فسأله أسئلةً يلخصُ فيها حياةَ الشيخ يوسف النبهاني فقال: إنه من كبار الأولياء والأصفياء. وإنه التقى به أكثر من مرة وذكر لنا قصةً(١).

وأنه من العلماءِ الذين نَدُرَ وجودُهم وقلَّ الزمنُ أن يجودَ بأمثالهم.

وإنه كان له خصوصيةٌ ربانيةٌ كبرى، لذلك انتفَع به وبمؤلفاته وعلمه خلقٌ كثير.

وأنَّه كان مُعَلَّماً من قِبَلِ الجنِّ حتى يُكرَمَ منهم ولا يضرونه بشيء أبداً.

وأنه كان نقطة سرِّ أولياء الله الذين شملوهُ برعايتهم، وأنَ مؤلفاته ستصلُ إلى أهل الأرض كنور الشمس حيثُ تحكى سيرة حياةِ رسولنا محمدﷺ.

وأنَّه كان فقيهاً ولغوياً وأصولياً وصوفياً ومحدثاً وشاعراً.

وأنه لو كان في عصرِنا لنُصِبَتْ له المفاخر، وأعْلِيَتْ له المنابرُ، وسبقتْ له العلماء والأولياء.

وقال أخيراً: أجَلْ... لو رآه رسول اللهﷺ لأحبَه وأمَرَ بحُبه.

ثم طلب "الحاج عمر" ذكر بعضِ مؤلفات الشيخ يوسف النبهاني فكتبنا عنه ما يلي:

---

(١) راجع صفحة (١١٨).

١- الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية.

٢- جامع الثناء على الله.

٣- جامع كرامات الأولياء ٢/١.

٤- جواهر البحار في فضائل النبي المختار ٤/١.

٥- حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسيلن.

٦- حزب الاستغاثات بسيد السادات ١.

٧- رياض الجنة من اذكار الكتاب والسنة.

٨- سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين.

٩- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق.

١٠- الصلوات الألفية في الكمالات المحمدية.

١١- المجموعة النبهانية في المدائح النبوية.

١٢- مفرج الكروب ومفرح القلوب.

١٣- وسائل الوصول إلى شمائل الرسول.

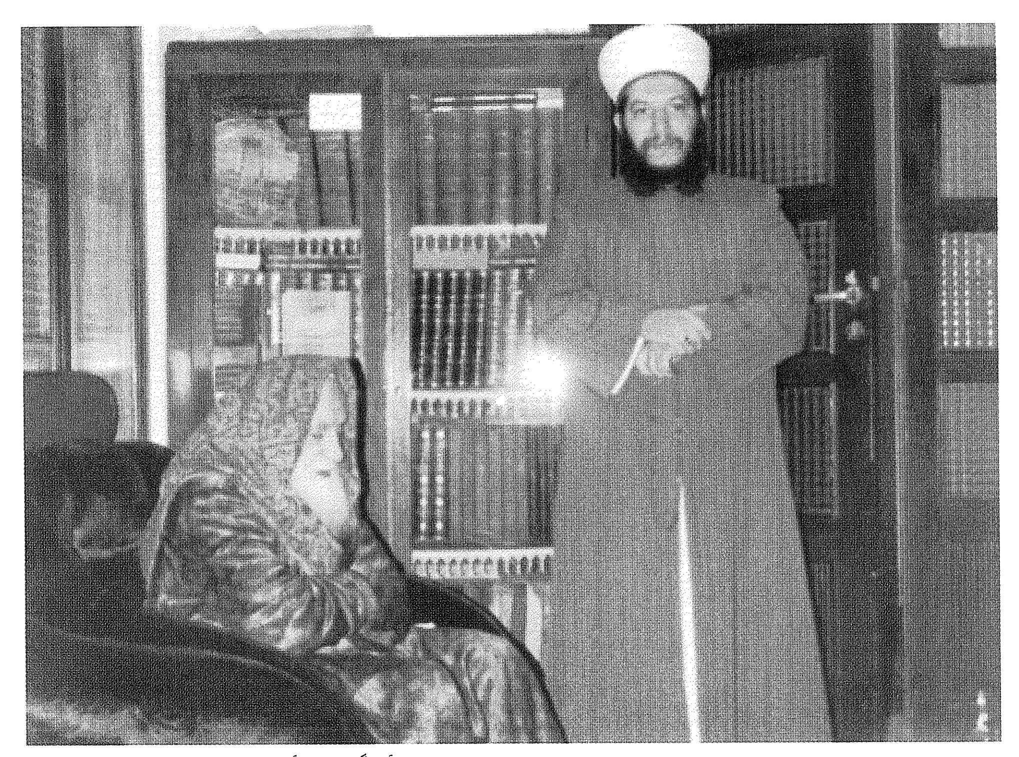
وغير ذلك من المؤلفات التي بلغت أكثر من مائة مؤلف.

ثم التفتَ "الشيخ عمر" إلى **شيخنا العارف بالله** وقال: يوجدُ عندنا في بلدنا رجلٌ يُقال: إنّه رأى الشيخ يوسف النبهانيﷺ، فلا يستطيعُ أن يسير في الشارعِ من كثرة الناس الذين يريدون أن يتبركوا به.

ولما مات جعلوا له قبراً يزار ومقاماً يتبركُ به الناس.

هذا ما رأيته بعيني وشاهدته بنفسي.

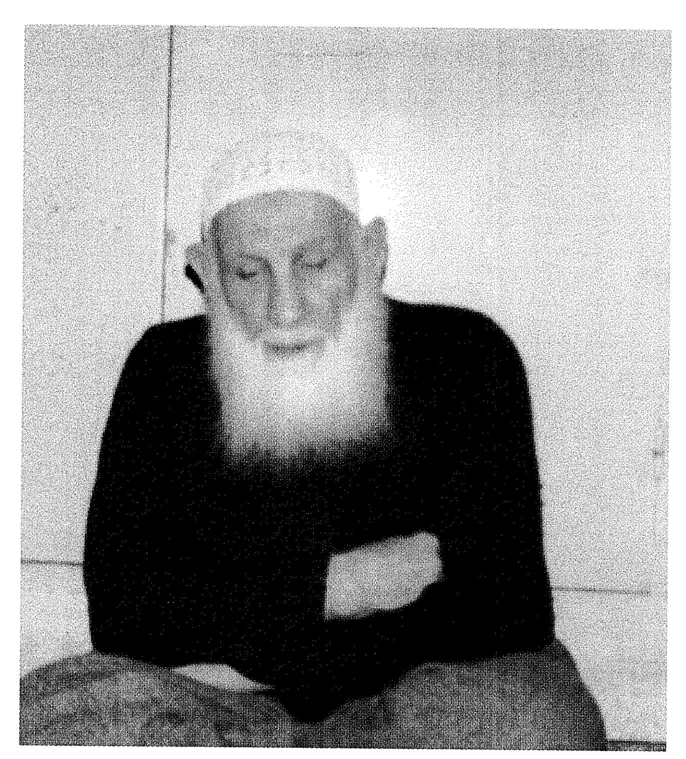
اللهم انفعنا بالصالحين وحبهم، واجعلّنا نقدرُ العلماء والأولياءَ والصالحين يا رب العالمين.



صورة شيخنا العارف بالله والشيخ هشام خليفة يقف أدباً حتى يأذن له بالجلوس



صورة شيخنا العارف بالله والاستاذ الوفي عبد الرحمن الحجار



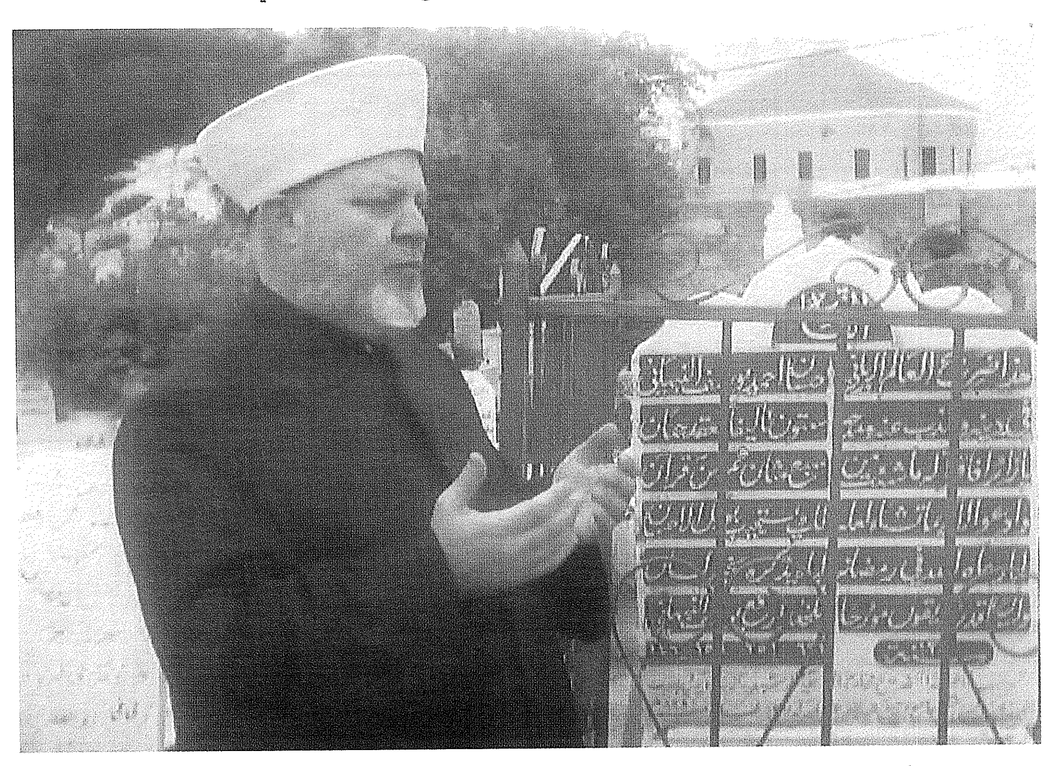
صورة شيخنا العارف بالله وهو في جلسة ذكر وصفاء



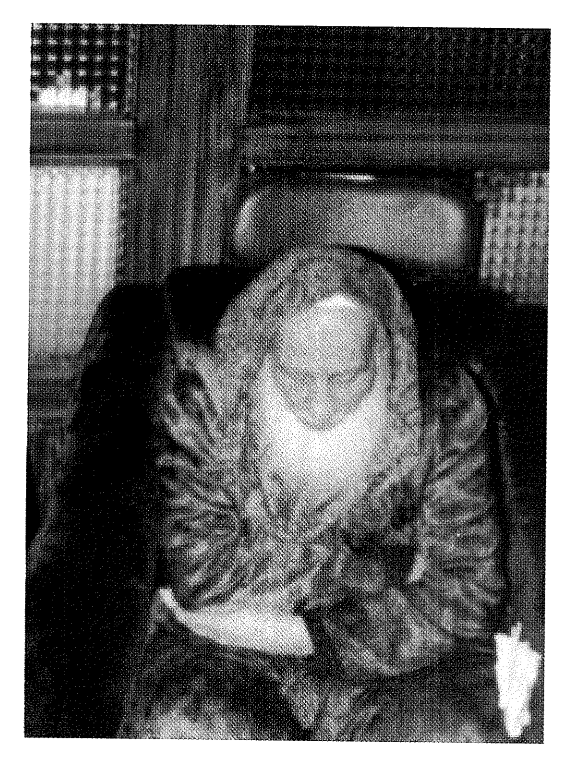
صورة قبر سماحة المفتي الشيخ محمد علايا رحمه الله



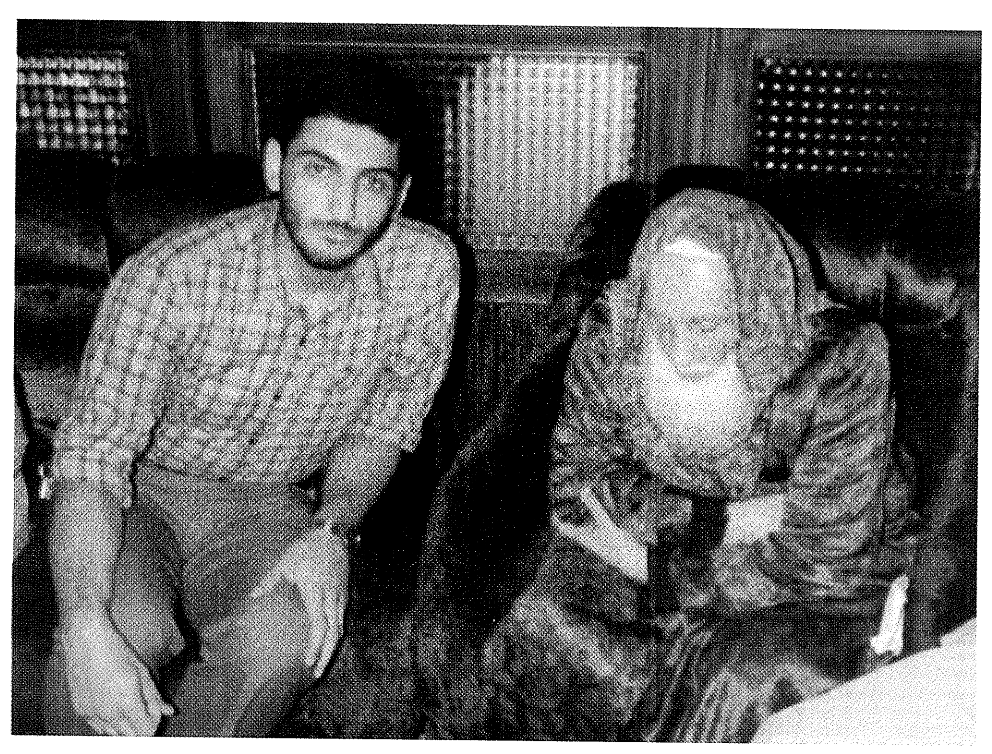
صورة قبر العلامة شقيق شيخنا العارف بالله الشيخ عبد الله العلايلي رحمه الله



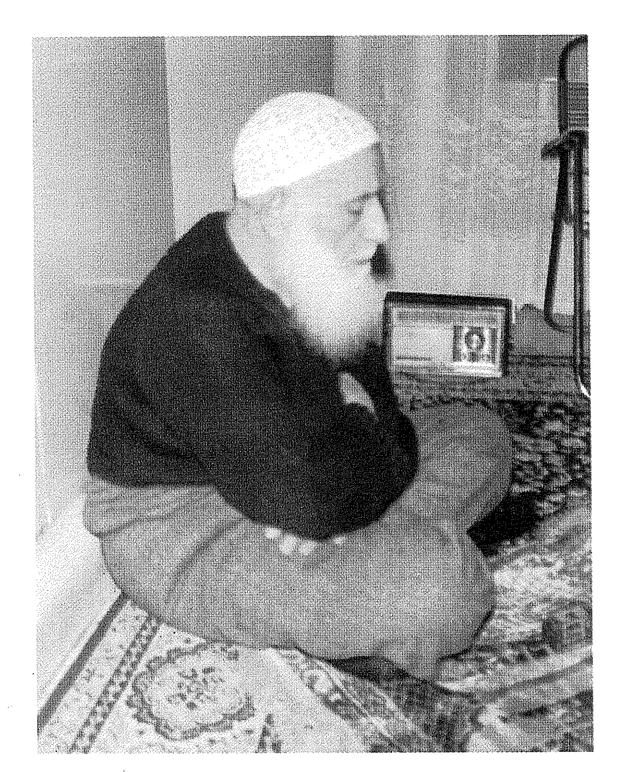
أثناء زيارتي قبر الشيخ يوسف النبهاني نفعنا الله تعالى بحبهم وبرهم وبركتهم آمين



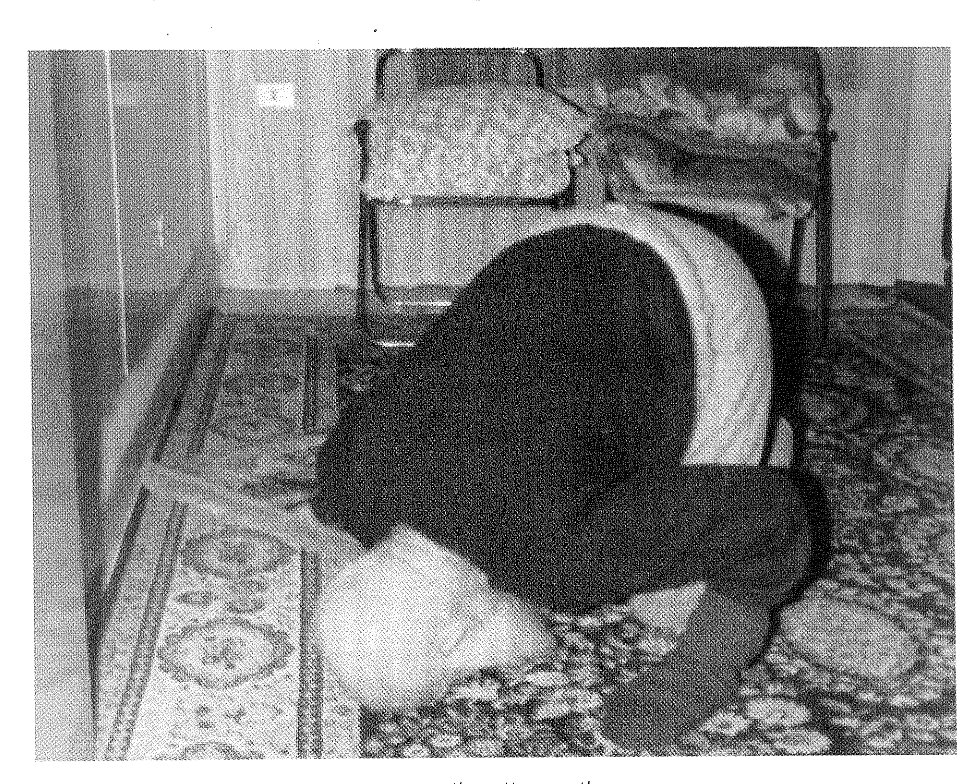
جلسة تفكر وصفاء



صورة شيخنا العارف بالله، ويبدو الآخ المحب الشيخ ماهر الفاكهاني حفظه الله



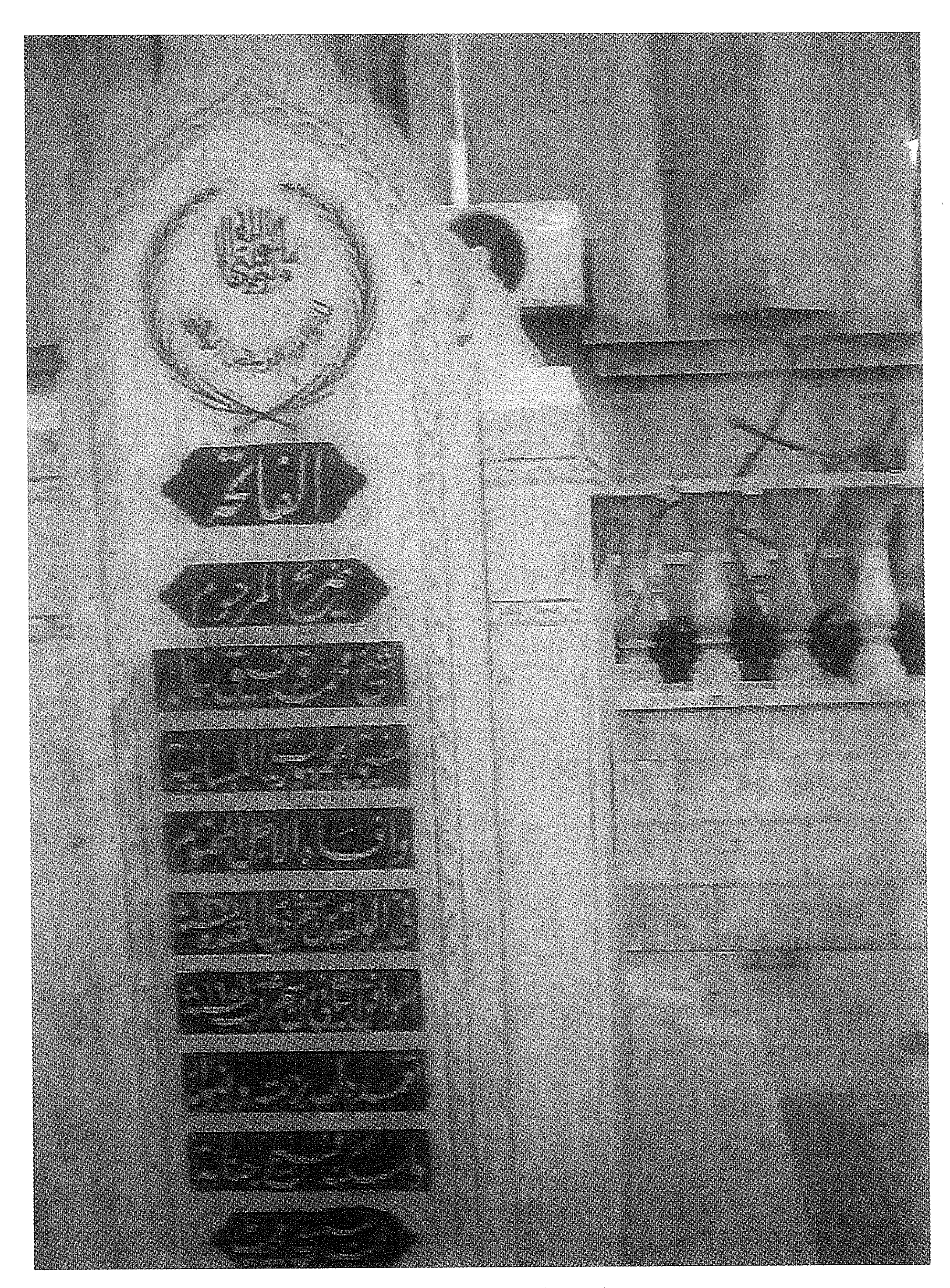
شيخنا العارف بالله تعالى في جلسة ذكر وجلاء وصفاء



السجود للرب المعبود



صورة قبر الصوفي الشاذلي المفتي العلامة الشيخ مصطفى نجا رضي الله عنه



صورة قبر المفتي الشيخ محمد توفيق خالد رحمه الله



صورة الشيخ صلاح الدين فخري أثناء زيارة قبر الشيخ راغب محمد علي قباني رحمه الله



صورة قبر الشيخ عمر البغدادي صهر شيخنا العارف بالله رحمه الله

أقوالُه وحِكَمُه

قال تعالى: "يؤتى الحكمةَ من يشاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيــراً"، إذا أردْنا أن نتتبعَ أقوال **شيخنا العارف بالله** وأفعاله فذا يخرجُ عــن الحصــرِ والعَـدِّ والكثرة. ولكن المقصودُ الأعظمُ والمراد، أنّه كان لسُنَّةِ رسول اللهﷺ متبعاً، ولســيْرَتِه الكريمة مقتفياً، متمثلاً بقولِ سيدنا الجنيدﷺ: **أمرُنا هذا مقرونٌ بالكتاب والسُّنة.**

والسِّر الذي أعطاه اللهُ إياها، حتى ظهرت الحكمةُ على لسانه وقلبــه وتــدفقتْ عليهما، أنّهُ لم يتعلقْ قلبُه بحظٍ من حظوظِ الدنيا الرخيصة، ولم يعــطِ نفسَــهُ هواهــا ومناها، لا في مَلْبَسٍ أو مأكلٍ أو مشربٍ أو غيرِه.

وطِوال مصاحبتنا له لم نسمعْ أنه تأسَّفَ على شيءٍ فاته، أو فَرِحَ بشيء أتــاه. بل كانتِ القناعة التي يحملُها في قلبه تكفيهِ مؤونة ذلك.

فلا تَمَلْمُلٍ ولا شكوى ولا تألم، معرضٌ عما سوى الله تعالى، يراقبهُ في جميع أعمالِه، مستغفراً بكُلِّيته في جميع أحواله.

حتى صفا قلبُه، ونطق بالحكمة لسانُه، وعَذُبَ بالنصائح بيانه وإرشاده، فَحِكَمُهُ أحْنَفية[1]، تَحُفُّها الموعظةُ ويحوطُها الاعتبار. وتَسْري في قلب سامعها سريان المــاء السلسبيل العذب، تلمعُ مروجُها لمعانَ الذهبِ في الناظرين.

وها أنا أكتبُ وأذكرُ طائفةً من أقوالهِ التي كتبْناها عنه، خلال قراءاتنــا علــى حواشي القراءات والتي حفظْنَا جُلها في الأذهان للذكريات الماضيات فمنها: لا تتكلموا إلا لأسباب ثلاثة:

١- تكلموا بالكلام الفرضِ الذي لا بدَّ منه.

٢- تكلموا بالكلام الواجبِ الذي لا ينوب غيره عنه.

---

(١) الأحنف بن قيس كنيته أبو بحر، وكان في رجله حنفٌ وهو الميل، وقد اشتهر بالحلم والحكمة.

٣- تكلموا بالكلام المسنون الذي فيه أجر وثواب.

"وابتعدوا عن اللغوِ ما استطعتمُ فإنه لا يخلو عن المآثم والخطايا".

ويتمثل بحديث النبيﷺ: رَحم اللهُ عبداً قال خيراً فغنمَ أو سَكَتَ فَسلِم.

ومنها: إن كلُّ من وضعَ على رأسِه عمامة العلماء أو شعارَ الأولياء فواجبٌ تقديرُه واحترامُه، لأنكم بذلك ترفعون قَدْرَ العلمِ والعلماء، والأولياء.

ومنها: مَنْ أرادَ أن يكونَ له شأن بين أقرانِه أو رفعةٌ بين خلاّنه، فعليه بأمور ثلاثة:

١- أن يتقى الله في السرِّ والعلن.

٢- أن يكتسبَ الحلال ويبتعدَ عن الحرام.

٣- أن يتركَ الفضولَ من الكلام.

ومنها: لا تجعلْ حاجتك إلا بينَ يديْ مَنْ تَعْلَمُ أنه يقضيها لك؛ وأحرصْ على أن تكون حاجتُك بين إخوانِك وخِلاَّنِك الصادقين حتى لا تقعَ عليك المِنَة.

ومنها: مَنِ اشتغلَ بالأذكارِ والطاعاتِ اشغلَ اللهُ عنه الناسَ وصانه.

ومنها: إن الحياةَ لا يَعْرِفُ قدْرها إلا الموتى لأنَّ أسرارهم تُكْشَفُ على الحقيقة التي لا لُبْسَ فيها.

ومنها: مَنْ رضيَ بقضاءَ اللهِ على الإطلاق كان أسرعَ الناسِ على الصراط.

ومنها: اخلصوا لله قلوبَكم وطهروها من الأدران، فإنّ القلوبَ أواني الله.

وأحبُّ الأواني إليه أصفَاها، وأصلَبُها، وأرقُّها.

وأصفاها للهِ عندَ مراقبته بالطاعةِ والعبادة.

وأصلَبُها في دينِ الله عند المخاطبة.

وأرَقُّها عند المواقعةِ والمدافعة.

ومنها: مَنِ اجتهدَ في صفاءِ معاملةِ الظاهر، أي مع الخلق – أورثَهُ اللهُ صفاء معاملةِ الباطن – أي مع الله تبارك وتعالى.

ومنها: من تزود من العلم والمعرفةِ قَلَّ خطؤه، وحفظتْ نفسه، وكان بينه وبين حظوظها سياجٌ من الأمنِ من غوائل الوساوس والشيطان.

وبالجملة أنك إذا قمتَ من مجلسِه يومذاك، تقومُ وكأنك تحمـلُ أرطـالاً مـن المواعظِ والحكم، ويمتلئُ قلبُك وروحُك من رشَفَاتِه وتوجيهاتِه وأقواله وحِكَمِه.

رضى الله عن **شيخنا العارف بالله**، ولله درُّه حكماً رائعاً يزنُ الدقائقَ بميـزان القلب والعقل والروح، بنورٍ من اللهِ تعالى وتوفيقه.

أَلْبَسَهُ اللهُ لباسَ الأولياء

إنّ المولى الكريم الوهاب، هو الذي رفَع أولياءَه المختصين العظـام، وأعلـى شأنَ أصفيائهِ الصالحين الكرام، وأثنى عليهم في صريح بيانه، وفي آيات قرآنه، وجعلَ تلاوتَها المتضمنة ذكرَهم ومدحَهم والثناءَ عليهم عباداتٍ وطاعاتٍ وصلواتٍ.

فقد قال تعالى: إلا إنّ أولياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنـوا وكانوا يتقون[1].

وقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ"[2].

وفي الحديث: مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب[3].

وفي الحديث: لن تخلو الأرضُ من ثلاثين رجلاً، مثلُ إبراهيم خليل الـرحمن فيهم تُغَاثُون وبهم تُرزقون، وبهم تُمْطَرُونَ[4].

وفي الحديث: فإنما تُرزقون وتُنْصَرون بضُعفَائِكم[5].

ونحن نعتقدُ اعتقاداً جازماً، لا يحويه شكُ أوِ ارتيابٌ، أنَّ **شيخنا العارف بالله**، قد البَسَهُ الله لباسَ الأولياء، وحلاّه بدثار الأصفياء، وخَلَعَ عليه خلْعَةِ العلماء، فكَمُلَـتْ فيه الصفات، وعَلَتْ بهِ السِّمَات.

وإننا لا نزكي على الله أحداً، بل المُزكّى من زكّاهُ الله تعالى، بيد أن الله تعالى أعطاهُ الجمالَ والجلالَ والإجلالَ، مع المهابةِ والرفعةِ والتقدير والاحترام، ومن جَالسه وجانسهُ وخالَطَهُ فإنه لا يشكُ طَرْفَةَ عينٍ فيما أقولُه وأُسَطِره.

---

(١) سورة يونس الآيات (٦٢-٦٣).

(٢) سورة التوبة الآية (١١٩).

(٣) رواه البخاري عن عطاء عن أبي هريرةﷺ.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي إسناده جيد (من الجامع الصغير).

(٥) رواه أحمد الترمذي والنسائي عن أبي الدرداء، رضى الله عنه.

وقد كان رحمه الله كثيراً ما يَتَستَّرُ بالعلمِ عن الولاية والكرامةِ، لأن العلمَ ولايةٌ وهو عينُ الكرامة.

وإياكَ والقولَ إن القلمَ قد شط وشَذّ ومال، بل كَتَبَ وحَدَّثَ بما رأى وعَـايَش، "وليس براءٍ كمنْ سمعا".

والإمامُ الشافعيﷺ يقول: "إذا لم يكن العلماءُ أولياءُ، فليس لله في الدنيا ولـي" وكفى بهذا القولِ وقائله استدلالاً ودليلاً.

وقال الإمام أبن حجرﷺ: "إنّ أذيةَ أولياءِ الله ومعاداتِهم وتكـذيبهم، هـو مـن الذنوبِ الكبائر الموجبةِ لسخط الله المنتقم".

وفي الحديث القدسي: إني لأَثْأرُ لأوليائي كما يثأَرُ الليثُ في الحربِ.

وقال الإمام أبو سعيد الخرازﷺ: ليسَ الوليُ الكاملُ من صَـوَرَ عنـه أنـواع الكرامات، وإنما الوليُ الكاملُ الذي يقعدُ مع الخلقِ يبيعُ ويشتري، ويختلطُ بالناسِ، وهو لا يَغْفَلُ عن الله لحظةً واحدة.

وهكذا **كان شيخنا العارف بالله**، دائمَ الحضور والفكرِ والذكرِ مع الله تعالى، لا يَفْتُرُ لسانهُ عن ذكره والثناءِ عليه وحَمْدِه. كثيرَ الاستغفار وحفظِ القلبِ عن الأغيار.

الله ارزقْنا حبَّ الأولياءِ والعلماءِ واجعلنا منهم ومعهم دنيا وأخـرى يـا رب العالمين – آمين.

قصة سمعناها بحضرة
شيخنا العارف بالله
عن الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي

إنّ الله تعالى قال في كتابه الكريم: " أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ" (يونس ٦٢).

وقد ورَدَ أنَّ اللهَ تعالى يحفظُ أجسادَ الأنبياء والأولياء، والعلماء، والمؤذنين المحسنين، فلا تأكلها الأرض.

وهذه الصفةُ العظيمةُ، والمنقبةُ الجسيمةُ، جعلها المولى في هؤلاء العظامِ الكرامِ المخصوصينَ بالرحمةِ والرضوان، لأنهم نالوا محبةَ اللهِ تعالى واستغرقوا حياتَهم في طاعته وعبادته، والعملِ في سبيله، فحُقتَ لهم هذه المعجزةُ الكبرى، والكرامةُ العظمى.

وقد قال رسول اللهﷺ: إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

وكما قررَ العلماءُ وأهلُ الذوقِ "أن ما كانَ معجزةً لنبيٍ صَحَّ أن يكونَ كرامةً لولي.

لذلك لم يُسَلِطِ اللهُ عليهم الأرضَ ولا ترابها، وما تحتوي من خبايا في أسافلها، ليُبْقِيَ مقامَهم رفيعاً، وذكرَهم عاطراً.

وأيام طلبي للعلم سنةَ ١٩٧١ حصلتْ حادثةٌ في دمشق دلَّتْ على صحةِ استمرار هذه الكرامة لأولياءِ الله تعالى.

فقد أنشيء شارعٌ شرقي منطقة المرجة سُمَّيَ شارعُ الثورة وامتدَّ طولُه واتسعَ، وأعطى المنطقة رحابةً ومتنفساً.

واذكر أنَّ آل الجيباوي، وهم من المنتسبين إلى سلالة النبـي ﷺ. كمـا هـو معروف في بلاد الشام قد أتت التوسعةُ على منزلِ ومدفن العائلة، ولهم جَدٌّ مدفونٌ في قبرٍ، ولضرورة شقِ الطريقِ فُتحَ القبرِ لينقلوا رفاته إلى مكانٍ آخـر، فـإذا بـالجميع يكبرون الله ويهللونه ويسبحونه ويمجدونَه، فقد وجدوا الجسد ورأوه كما هو يوم دفنـه بعدما مرَّ عليه ما يزيدُ عن خمسٍ وعشرين سنة.

قد غُسِّل وكفِّن من جديد، وصلى عليه تبركاً وسرتُ في جنازتهِ وشهدْنا دفنَه.

فسبحان الله المعطي الوهاب.

ثم تذكّرتُ القصة التي سمعناها بحضرة **شيخنا العارف بالله**، وبوجود إخـوةٍ كرام، أمثال فضيلة الشيخ حسين حسن صعبية، وفضيلة الشيخ محمود سـعيد سـعد، وفضيلة الشيخ خليل راشد الطرابلسي، وفضيلة الشيخ زكريا رباح شعر.

وهي أنه قد أتى بيروت زائراً سنة ١٩٦٦م، أحد العلماء مـن مصـرَ، وقـد عاصر وزامَنَ الشيخ محمد أمين الكردي ﵁، وعاش في كنفه حيناً من الـدهر، ولـه معرفةٌ وصلةٌ **بشيخنا العارف بالله تعالى.**

وقد ذكر أن من جملةِ وصية الشيخ محمد أمين الكردي ﵁ أنه إذا تُوفي فليدفن في مسجد الظاهر بيبرس في القاهرة، وهو مسجد أثري قديمٌ يقعُ شمالي مسجد سـيدنا الحسين ﵁، على بعد عشرة دقائق سيراً خفيفاً، وصيتُه لم تُنَفذْ لأسباب وظروفٍ مرتْ على مصر يومها، ولكن بعدَ مرور سبعة وعشرين عاماً اضطرت الدولـة لتوسـعة المنطقة التي دفن فيها، وحُفرَ القبرُ كي ينقلوا رُفاته، فإذا بهم قد رأوْا جسدَهُ المبـارك وجثمانه الطاهر كما هو لم يتغير، ولم تأكلهْ الأرض رغم مرور هذه المدة الطويلة.

والشيخُ الزائرُ يحكي القصةَ وهو يبكي، ويكبر، ويبكي ويكبر، ويقـول كلمـةً أسمعها ترنُّ في أذني إلى يومي هذا.

"والله والله يا شيخَ مختار، رأيتُه وكأنَّه ميّتٌ بالأمس".

ثم قال: وقد تمَّ ولله الحمد والمنة، ونُقلَ الشيخُ محمد أمين الكردي إلى مسجد الظاهر بيبرس، ودفن هناك، مكان وصيةِ دفنه، وقبرُه معروف يُزارُ، وقد أكرمَنا الله بزيارتِه مراتٍ عديدة أيام دراستي في الأزهر، في مصر سنة ١٩٧٥م.

وقد زرته حديثاً سنة ٢٠٠٤م بصحبة الأخ المحب الوفي فضيلة القاضي الشيخ أحمد عساف، أمدَّهُ الله بمدده، وذلك حين كنا نحضر مؤتمراً بصحبة أخي وصديقي صاحب السماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ "محمد رشيد قباني حفظه الله تعالى".

وتُعْقدُ جلسةُ قراءةِ القرآن والدعاء عقبِ صلاةِ الجمعة في مسجد الظاهر بيبرس – وقد حضرناها – في مقام الشيخ محمد أمين الكردي حيث التقينا بابنه الأكبر بهاء الدين، وبابن ابنه القاضي السيد.

وقد التقطنا بعض الصور للتبرك والذكرى.

وأهلُ مصرَ تواترَ عندَهم هذا الخبرُ وعم، وما زالَ أهلُ العلم والاعتقاد يتحدثون عن هذه الكرامة المباركة، وأنّ أولياءَ الله لا بدَ أن تَنْفُذَ وصاياهم وتتحقق ولو بَعْدَ حين.

وخلال كتابي لهذه المقالات والسيرةِ المنيفة المباركة، انْتَدَبَني أخي وصديقي صاحبُ السماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني حفظه الله تعالى كي أُمَثِّلَهُ برفقةِ السيد الحاج أمين النعماني عضو هيئة رعاية السجناء واسرهم. في دار الفتوى وعضو وقف مسجد ومدرسة دار الحديث في حضور اجتماعِ المجلسِ الإسلامي الأعلى للدعوةِ والإغاثةِ الذي أقيمَ في السودان في شهر شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ٩/٢٠٠٤م، وبطريق العودةِ كانتْ لنا محطةٌ في القاهرةِ نزَلْنا بها ضيوفاً في أوتيل "هليو بولس البارون".

وبعد اتصالٍ التقيْنَا بالأخِ المحبِ الوفيِ الكريمِ السيد الحاجِ محمد المارديني – حبيب **شيخنا الشيخ محمود الرنكوسي**ﷺ. إذْ كانتْ له خصوصيةٌ كبرى عندَهُ، ومكانةٌ في قلْبهِ، وميزة ظاهرةٌ في محبتهِ، وقد تَجَلَّتْ هــذه الخصوصــيةُ وظهــرتْ آثارهُــا الإيجابيةُ الطيبةُ ورَوْحَانيَّتُها الصادقة على أيامهِ ولياليه، وعلى أعمالِه ومهنتهِ وعائلتهِ، كما ذكرَ لنا مراتٍ عديدة. حتى غدا في الحياةِ مثالاً يحتذى وبالبرِّ مثلاً يُقتدَى، وأقول: فقدْ ألبَسَهُ المولى صِدْقَ اللّباس، ومَيَّزَهُ على كثيرٍ من الناس، فصار غيــرُه عليــه لا يُقاس، فقد ذكرَ لنا حفظه الله في الجِلْسَةِ الطيبة، أن له صديقاً اسمَه الشيخ علــي عبــد اللطيف منصور، من بلدٍ اسمُها "المنْشَا سوهاج" أخبَرَهُ نقلاً عن أحدِ التلامذة من مريدي الشيخ محمد أمين الكرديﷺ.

أخبَرهُ أنهُ رأى شيخَه بعد وفاتهِ، فسألَهُ: يا سيدي لقدِ انتقلَت إلـــى الله تعـــالى وأنتَ تقرأ الآية من سورة يس " إنِّي إذاً لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ" قال: فقد جائني مَلَــكٌ بعــدَ موتي وقال لي: أَتْمِمْ، فقلتُ "إني آمنتُ بربكم فاسمعونِ، قيلَ ادخلِ الجنةِ، قال يا ليــتَ قومي يعلمون بما غفرَ لي ربي وجعلني من المكرمين، وانْتَبَه من النومِ شــاكراً رَبَــهُ حامداً. على هذه النعمة الكبرى.

فجزى الله خيراً الحاج محمد الماريني حبيبَ شيخنا الشيخ محمود الرنكوسي، على هذه الإضافةِ الطيبةِ المباركة، وأسبلَ عليه سحائبَ الرضوان والتوفيق، وأكرمــه وعائلته وأولاده الكرامة الكبرى في الدنيا والآخرة.

وجزى الله خيراً الحاج أمين النعماني على هذه الصـــحبةِ الطيبـــة الصـــادقة، ووفقنا لما يحبُه ويرضاه – آمين.

"رُؤىً ومبشراتٌ جَمَعتِ الخيرَ كُلَّه"

قال الله تعالى: "لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ".

قال بعضُ المفسرين: يعني الرؤيا الصالحة، يراها الإنسانُ أو تُرى له في الدنيا، وفي الآخرة رؤية الله تعالى.

وقالت السيدةُ عائشةُ رضي الله عنها: أولُ ما بُدِئَ به رسولُ اللهﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النومِ، فكان لا يَرى رؤيا إلا جاءتْ مثل فَلَقِ الصبح.

وروى عنهﷺ أنّه قال لأبي بكرٍ الصديقﷺ: يا أبا بكر رأيتُ كأني أنا وأنتَ نرقى في درجةٍ فَسَبَقْتُكَ بِمرْقَاتين، فقال: يا رسول الله يقبضُكَ اللهُ تعالى إلى رحمتِه، وأعيشُ بعدَك سنتين ونصفاً.

وقال بعضُ معبري الرؤية: الرؤيا ثلاثة:

١- رؤيا بشرى من الله تعالى وهي الرؤيا الصالحة التي وردتْ في الحديث "يراها الرجل أو ترى له".
٢- رؤيا تحذير من الشيطان، تكون من اختلاطٍ أو تعكيرٍ أو غيرِ ذلك. وهي الباطلةُ لا اعتبار لها.
٣- رؤيا مما يُحَدِّثُ به المرءُ نفسه، ويعيشُ في هواجسِها وتفكيراتها.

كما أن الرائي لا ينبغي أن يَقُصَّ رؤياه إلا على عالمٍ عندَه مكانةٌ علميةٌ، أو ناصحٍ شفوقٍ، طيبِ القلبِ رفيقُه، أو ذي رأي حصيْفٍ وفَهْمٍ بالغٍ، وكلما صَدَقَ الإنسانُ في ظاهرِه وباطِنه وسرِّه وجَهْرِه أتتْ رؤياه صادقةً واضحةً بَيِّنَة، كما ورد في الحديث: "أصدقُكُم حديثاً أصدقُكم رؤيا".

ومن هنا أكرمَ المولى الجليلُ **شيخنا العارف بالله** بالرؤياتِ الصادقاتِ، وبالمبشراتِ الجلياتِ الواضحات.

وسأذكر بعضَها اختصاراً حتى لا يطولَ الحديثُ رغمَ عذوبته عنه وحلاوته.

فقد كنَّا كثيراً ما نَقُصُّ على **شيخنا العارف بالله** ما نراه من مناماتٍ فيفسرُها ويشرحُها ويبينُ أسرارَها، وكنَّا خلال ذلك نسألهُ عن أسرارٍ رآها، أو مكاشفاتٍ ظهرَ له نَدَاها، أو رؤياتٍ خَصَّهُ المولى بها. فذكر لنا الكثيرَ، ولكنني اخترتُ هذه الرؤى للعبرة والعظة ولتزدادَ يقيناً بِعُلوِ ورفعةِ **شيخنا العارف بالله**، رحمه الله.

الرؤيةُ الأولى:

فقد حدثنا كما هو الحالُ – "والحديثُ ذو شجون" – أنه رأى فيما يراه النائمُ على صفحاتِ اشراقاتهِ وفتوحاتهِ رأى أرضاً خضراءَ كبيرةً وواسعةً جداً جداً فيها من الجمالِ والكمالِ والبهاء، ما يَدِقُ وصفُه، وَيجِلُ رَصْفُه، فقد رأى في منْتَصَفِ هذه الأرضِ الخضراءِ الرائعة **سيدي رسولَ اللهِﷺ، ومعه أبو بكر الصديق** ﷺ يصحبُه، ثم رأى بجانبه شيخَهُ الوليَّ التقيَّ البركةَ **الشيخ محمد أمين الكردي**ﷺ، وبجانبه **الشيخ يوسف النبهاني**ﷺ ثم رأى جَمَّاً غفيراً كثيراً "لا يُحْصَوْنَ حَصْراً وعَدَّاً من أولياء الله تعالى، فالتَفَتَ عندها الشيخ يوسف النبهاني إلى النبيﷺ وقال: يا رسول الله "هذا الشيخُ مختار الذي أَذْهَبَ أحمدَ وأبقى مختاراً"[١].

ثم قال: يا رسول الله، كيفَ نعرفُ ونُميّزُ الحيّ من الميتِ من هؤلاء الأولياء؟ فقال: من كان له ظلٌ فهو من الأحياء، ومن ليسَ له ظلٌ فهو من أصحاب الآخرة، **نعمتِ الرؤيا، ونعم المرئي، وهنيئاً للرائي،** ﷺ **ونفعنا بحبهم آمين.**

الرؤية الثانية:

رأى **شيخنا العارف بالله** تعالى، فيما يرى النائمُ على صفحاتِ إشراقاتهِ وفتوحاته – وكما حدثنا – خيمتين نُصِبتَا في صحراء كادتْ رمالُها تضاهي الذهب لمعاناً وبريقاً، وأنَّ رسولَ اللهﷺ في واحدةٍ منهما، فقال في نفسه: كيفَ ليَ أن أراه

(١) سُمّيَ شيخنا العارف بالله تعالى"أحمد مختار العلايلي" فَتَعارف اسمُه بين الأهل والناس والمجتمع فنادوه "بالشيخ مختار" واشتُهر به حيث صارتْ عادةً عُرْفية.

وانظرَ إليه؟... فبينما هو كذلك إذْ خرجتِ السيدةُ فاطمةُ الزهراء رضـــي الله عنهـــا، بلباسها الذي فاقَ الثَغَامةَ بياضاً، يحوطُه النورُ من جوانبه، ثم أشارتْ بيدِها هكذا، إلى مكانِ الخيمة التي فيها رسول اللهﷺ، ولمّا التفتَ إلى الخيمة رآه يخرجُ ﷺ، ومعه أبـــو بكرٍ الصديق رضي الله عنه، فأكبَّ **شيخنا العارف بالله** على قدميه يقبلهما.

فإذا برسول اللهﷺ يرفعُه إليه برفقٍ حتى بلَغ مساواته، وراحَ يُقَبلُهُ، مـــن خـــدِّه الأيمنِ عدةَ مراتٍ.

وعندما حدثنا بهذه الرؤيةِ وضَعَ يَدَه على خَدِّه الأيمن وقال: مـــا زلـــتُ أشْـــعُرُ بحلاوةِ وآثارِ هذه القُبْلَةِ المباركة.

ثم سألناه عن تأويلها فدمعتْ عيناه وقال: قد دَنَا الأجل، قد دنا الأجـــل، وتـــوفى رحمه الله بعدَ هذه الرؤيا بمدةٍ يسيرة.

الرؤية الثالثة:

حدثنا **شيخنا العارف بالله** فيما يرى – **المستيقظُ** – على صـــفحاتِ اشـــرقاتهِ وفتوحاته، بعد ما صلى صلاةَ المغربِ مرةً في منزله ومكانِ جلوسه المعتاد، شَعَرَ بمنْ يلْتَصِقُ بهِ ويَحُفُّهُ، فسلَّمَ عن يمينهِ فإذا به يرى – **يقظةً** – حائطاً مليئاً بالجن الصالحين، قد صلُوا وراْه مقْتدين، ثم سلَّمَ عن يساره فرأى مجموعةً كثيرةً من النســـاءِ الجنيـــاتِ الصالحات وقعَ بصرُه عليهنِ، قد صلَّيْنَ وراْه مقتديات، فلَّما رأيْنَهُ سَـــتَرْنَ وجـــوهَهُنّ بأغطيةِ الصلاة التي كُنَّ يلْبِسْنَها، فَغَضَّ بَصرَهُ واستغفر.

وهذه المشاهدات كانتْ يقظةً وليستْ مناماً كما ذكر لنا.

والله تعالى أعلم وأعز وأكرم.

الرؤية الرابعة:

حدثنا **شيخنا العارف بالله**، فيما يرى النائم على صفحاتِ اشراقاته وفتوحاته، أنه رأى نوراً نازلاً من السماءِ، وقد أحاطَ به من كل جانبٍ، وكأنّهُ هَالَةٌ أُحتَوَتِ القمر كلُهَّ.

فإذا بمجموعةٍ كبيرةٍ من الجنِّ الصالحين يريدون أَخْذَهُ معهم، فقال: إلى أيـن! فقالوا: نريدك حَكَمَاً للإصلاحِ بين طائفتينِ من الجنِّ تَحَارباً وتخاصما، فأبى، عند ذلك مُعَلَّلاً أنَّ حالَ الجنِّ يخالفُ حالَ الإنس، ولأن الله تعالى قال: "**إنه يراكم هو وقبيلةُ من حيث لا ترونهم**"[1].

والله تعالى أعلم وأعزُ وأكرم.

الرؤية الخامسة:

"رؤيا مبشرةٌ وفيها العبرة"

حدثنا **شيخنا العارف بالله** أنَّهُ أتى رجل من بلاد الشام – دير الزور – يسـألُ عنه، فَسِيْقَ إليه والتَقَاهُ في المسجدِ العمري الكبير، قُبَيْلَ صلاةِ الظهر، فجلَسَ الرجـل إليه وحَدَّثَهُ قائلاً: إنه صَلَّىَ الفجرَ في مسجد بلدهِ في دير الزور، وأخذتْهُ سِنَةٌ من النوم، فرأى أَهْلَ الجَنَّةِ تتقدمُهم الملائكةُ، يحملونَ باقاتٍ من الورود والزهور الرائعة الفواحّة، فسألهم عن ذلك فقالوا: اليوم سيأتي إلينا **الشيخ يوسف النبهاني**.

يقول الرجل: وأنا أعلمُ أن الشيخ يوسف النبهاني في بيروت، فأريدُ أن ألتقىَ به وأخبَره بهذه الرؤيا.

---

(١) سورة الأنعام الآية (٢٦).

فقال له **شيخنا العارف بالله:** سبحان الله العظيم الفعَّال لما يريد، اليومَ عندَ الفجر تُوفى الشيخ يوسف النبهاني ورحَلَ إلى ربه تبارك وتعالى، وسيُصلَّى عليه بعد صلاةِ الظهر في هذا المسجدِ وسيُدْفَنُ في تربةِ الباشورة.[1]

فأخذه البكاءُ، والدموعُ على فُقدانِ رؤيته حياً، فإذا الجنازةِ قد حضرتْ والمئاتُ من المشيعين المكبرين المهللين يدخلون المسجد، ثم صلوا عليه حقيقةً وفعلاً، حيث أَمَّ الناسَ المفتي الشيخ مصطفى نجا رحمه الله تعالى.

ويتابع شيخنا العارف بالله علينا العبرة:

ثم قال: خرجَ الناسُ ذرافاتٍ وجماعاتٍ كثيرة حتى غَصَّتِ الشوارعُ بالمشيعين وما بقي أحدٌ من أهل بيروت إلا وسار في جنازته، فسار **شيخنا العارف بالله** في الجنازةِ، يرافقُه صاحبُ الرؤيا، ويصحبُه الشيخ صالح كفتارو ومعهم الحاج حَمْدي الكوى، وكان محباً للصالحين، وله يدٌ طيبة في مجال الخير والمعروف.

فلّما وصلَ الجميعُ إلى مقبرةِ الباشورة والناسُ قد ملؤوا الأمكنةَ رافعينَ أصواتهم بالتكبير والحمدِ والتهليل، ويقراؤن القرآن، وبدؤا بادخال الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله إلى قبره.

فإذا بالوقتِ يَمُرُّ والزمَنُ يمضي لكثرةِ الناس والزحام واستمرارِ الدعاء وقرأةِ القرآن فيُقبِل الحاج حمدي الكوى إلى **شيخنا العارف بالله والشيخ صالح كفتارو** في مكان جلوسِهما ويقول لهما ما يلي:

---

(1) وحدثنا شيخنا العارف بالله أن الذي قام بتجهيز الشيخ يوسف النبهاني وغسله وكفنه ولقنه ودفنه المفتي الشيخ مصطفى نجا رحمه الله تعالى. حيث كان محباً له، ومن مَشْرَبٍ واحد، رتعوا من سلسبيل الطريقة الشاذلية الرضية، نفعنا المولى تعالى بهم وبحبهم وبركتهم، وبرهم، آمين.

لقد تعبتُ والشمسُ بحرارتها أخذتْ مني جهداً، فجلستُ مسنداً ظهري قريبَ مدفنِ الشيخ يوسف النبهاني، فأخذتْني سِنَةٌ من النوم، فرأيتُ ملائكةً نزلتْ من السماء تُوَحِّدُ اللهَ وتكبرُه وتَحُفُّ القبرَ وتلتزمهُ.

ثم قال: واللهِ لقد رأيتُ رسول اللهﷺ ومعه أبو بكر وعمرﷺ يحملون الورودَ ويتلقَّفُونَ الشيخ يوسفَ النبهاني ويأخذونَه رويداً ويُدْخلونَه القبرَ، وذلك لِعُلُّوِ مقامهِ عندَ الله تعالى.

فقال شيخنا العارف بالله: هذا فضلُ الله يُؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

والله تعالى أعلمُ وأعزُ وأكرم.

رؤيا رآها الأخ من آل سوبرة بارك الله به.

فقد حدثنا أنه خلال الحرب الضروسِ التي مَرَّ بها بلدنا لبنان، وجعلتِ الحليم حَيْراناً، رأي فيما يرى النائمُ من اشراقاته وفتوحاته، أن القذائفَ والصواريخ والرصاصَ ينهمرُ على أهل بيروت، وينزلُ عليهم من كل حَدْبٍ وصَوْب، كالشتاء المنهمرِ غزيراً. فرأى **شيخنا العارف بالله** – وهو لا يعرفُه – والشيخ عبد الرحمن الأوزاعيﷺ يَتَلَقَيَانِ ويرفعان هذه الصواريخ والقذائف، ويرميانها إلى البحرِ، حتى لا تَضُرَّ الناسَ، شفقةً ورحمةً وشعوراً.

أقول: **وشيخنا العارف بالله** بقي صامداً في بيروتَ إلى أن أَقْنَعَهُ أولادُه بأن يتركَ منزلَه في بيروت، لشدةِ البأسِ وضراوتهِ يومها، ودخولِ اليهود إليها، فَسَكَنَ بلدةَ صوفر حيث كان اليهودُ على تخُومها ومنافذها، وذلك في منزل المرحوم الشهيد الشيخ أحمد عساف رحمه الله تعالى. وهناك أتى صاحبُ الرؤيا الأخ سوبرة، لزيارةٍ عابرةٍ فتعرَّف على **شيخنا العارف بالله**، وقصَّ عليه الرؤيا، وعلى مسامعنا، فدمعتْ عيناه وبكى.

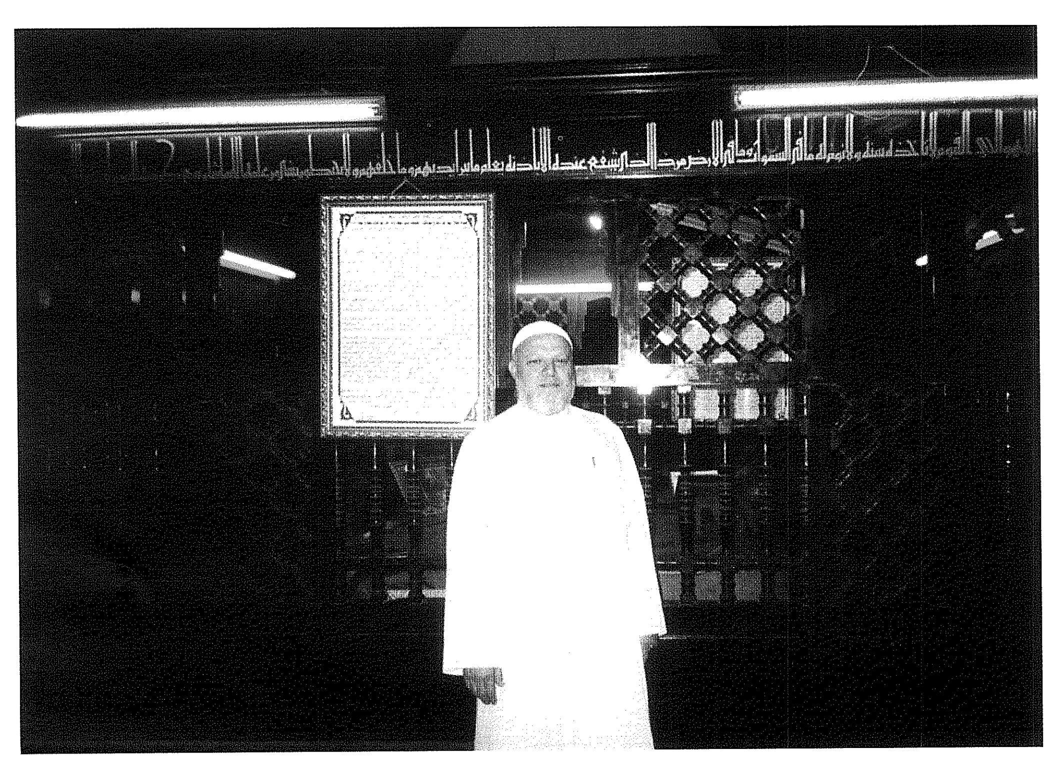
وبالمناسبة فقد دخلْنا يوماً على **شيخنا العارف بالله** وهو في صوفر في غرفةِ الجلوس، فرأيناه قد وضَعَ سكيناً كبيرةً بجانبه، فسألناه عن ذلك فقال: نتوقعُ دخول

اليهودِ إلى المنازلِ بين لحظة وأخرى، فإذا دخلوا لا بُدَّ وأن نقتلَ بعضَهم بهذه السكين قبلَ أن ينالوا منا.

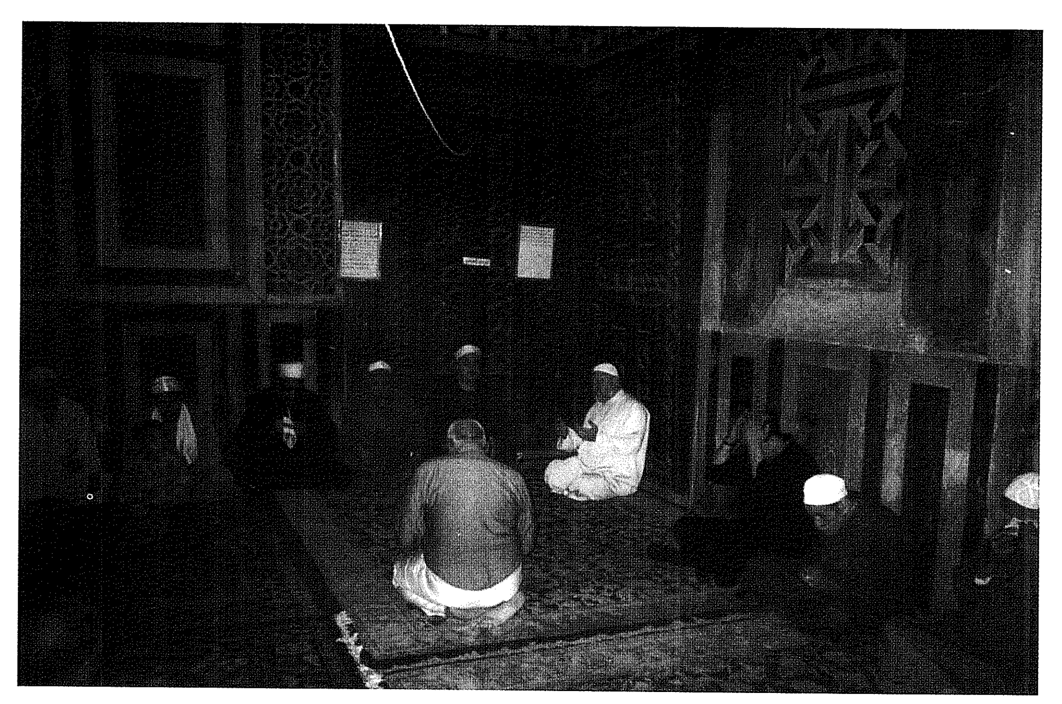
وذلك سنة ١٩٨٢م فدعونا الله تعالى له بالسلامة والحفظ والعناية.



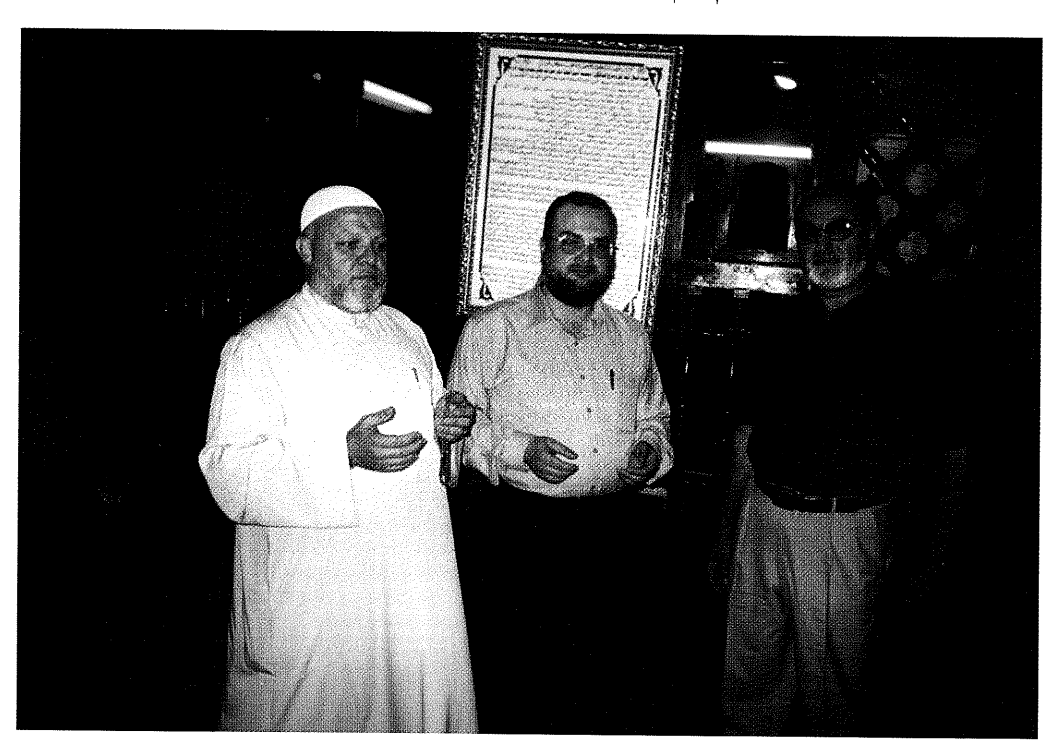
صورة قبر ومقام القطب الغوث الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي رضي الله عنه في مصر في مسجد الظاهر بيبرس



الشيخ صلاح الدين فخري أثناء زيارة قبر القطب الغوث الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي رضي الله عنه



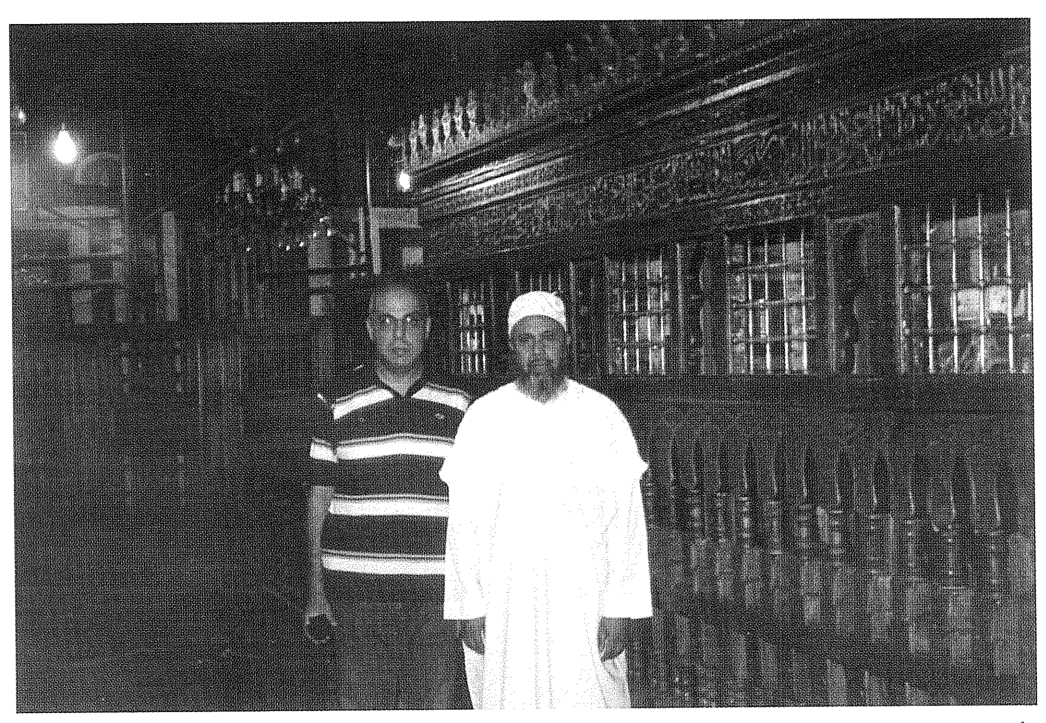
الشيخ صلاح الدين فخري في جلسة ذكر ودعاء في مكان قبر ومقام الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي في مصر، حيث يقام ختم ودعاء وذكر بعد كل صلاة جمعة من كل أسبوع



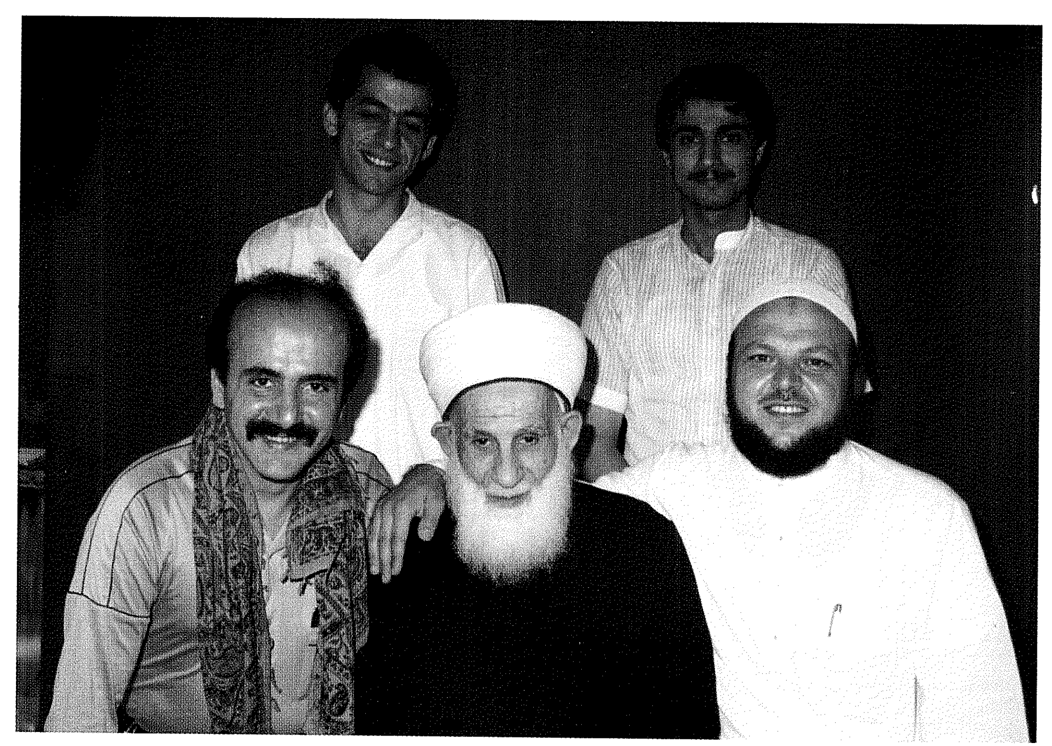
الشيخ صلاح الدي فخري، وفضيلة الشيخ القاضي الشيخ محمد عساف، والحاج محمد منير فتح الله، أثناء زيارة مقام وقبر الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي رضى الله عنه



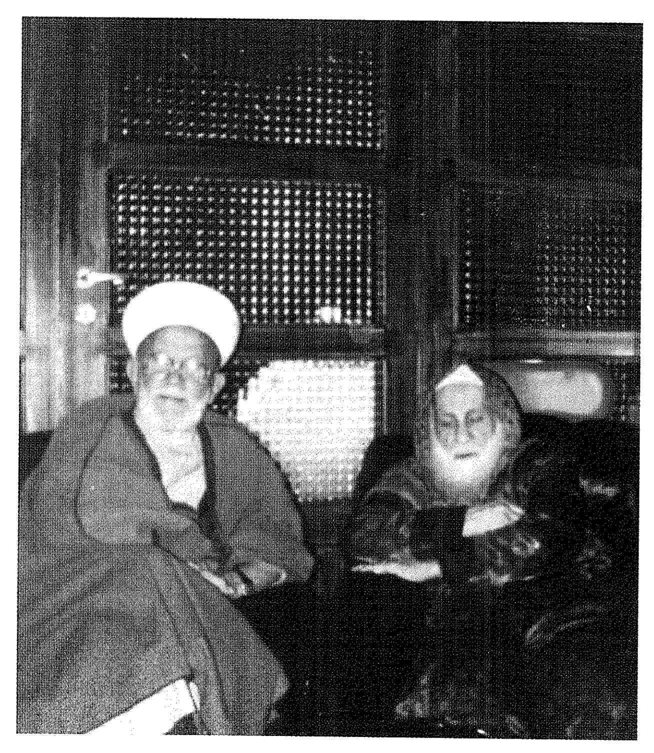
أخي فضيلة الشيخ هشام خليفة أثناء زيارة قبر القطب الغوث الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي رضي الله عنه



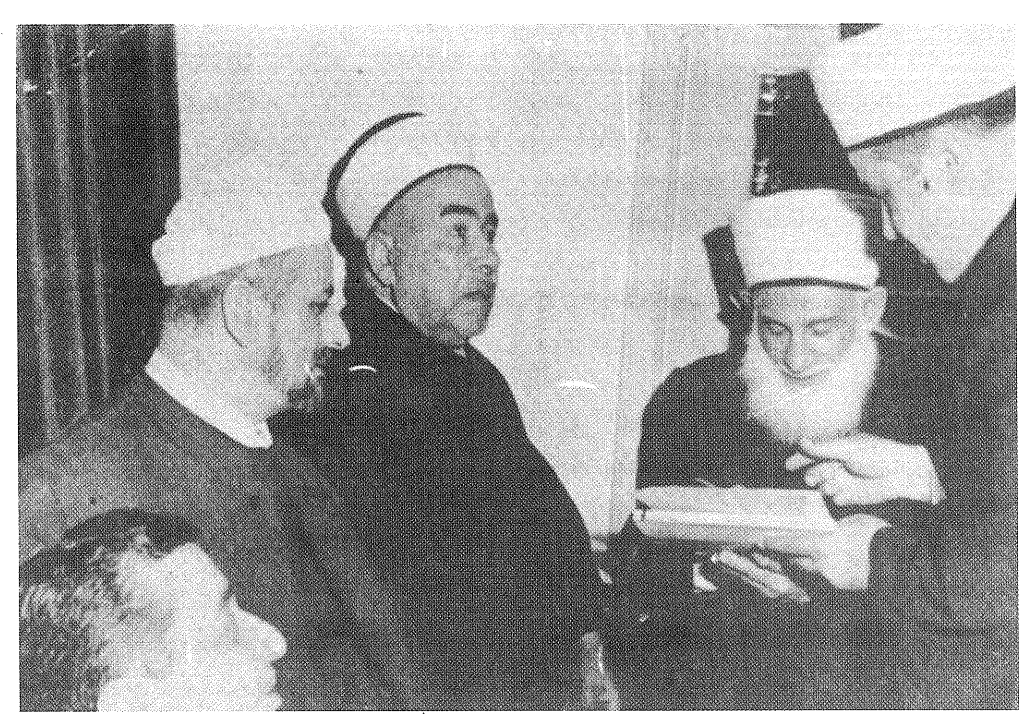
أخي الشيخ محمود سعد، والسيد صلاح الدين الشوا أثناء زيارة قبر القطب الغوث الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي رضي الله عنه



صورة شيخنا العارف بالله والشيخ صلاح الدين فخري والأخ محمد حجار، والأخ خليل أبو عبدو والأخ........



صورة شيخنا العارف بالله، وعزيز قلبه وخاطره الشيخ محمد الغزال الذي كان يتفانى في خدمته يومياً



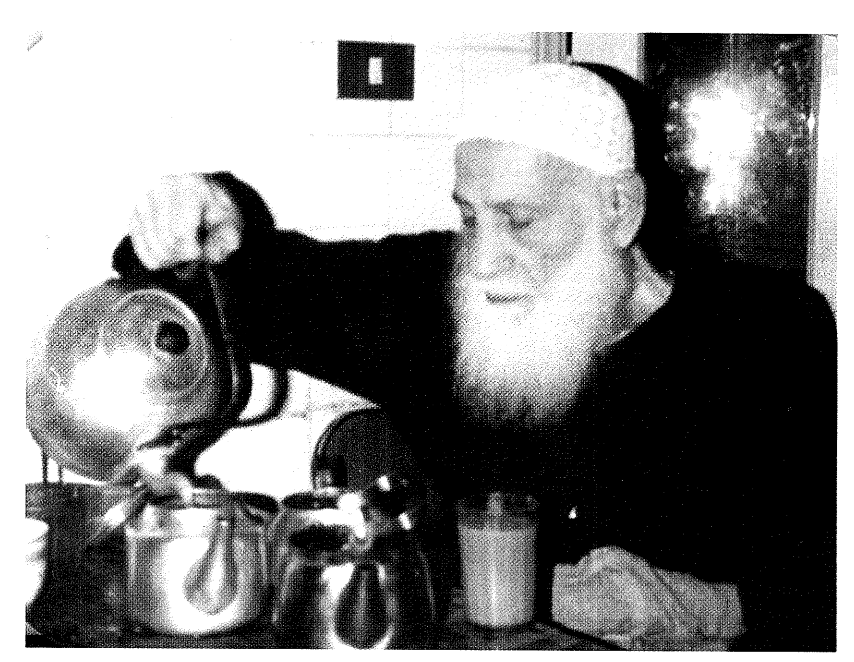
صورة شيخنا العارف بالله، والشيخ أحمد العجوز والشيخ عبد الله العريس والشيخ حسن تميم في مناسبة عائلية



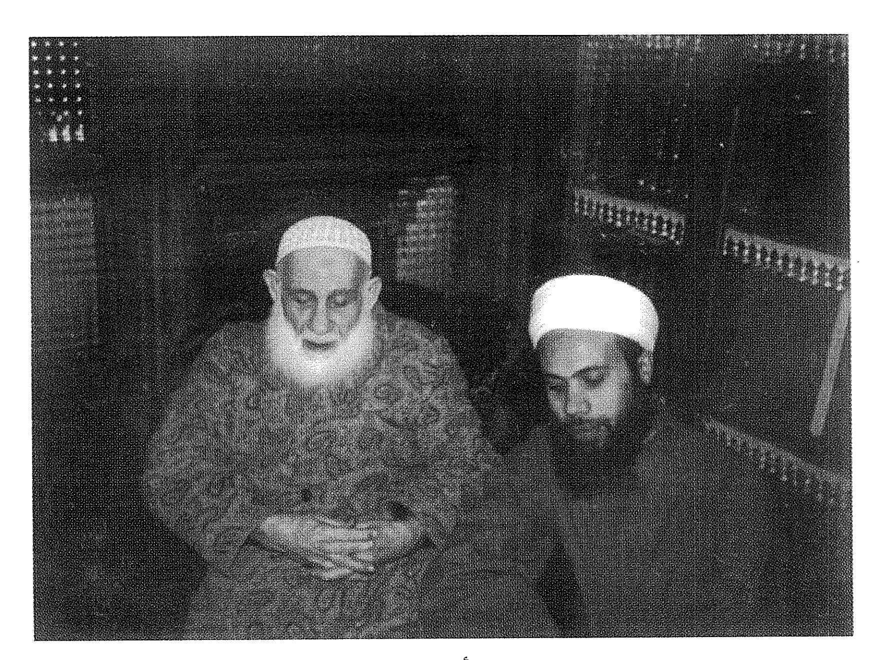
صورة شيخنا العارف بالله تعالى وأخي الشيخ هشام خليفة، والأخ محمد الدزة والأخ علاء الدين باشا،
والعبد الفقير الشيخ صلاح الدين فخري



صورة أخذت في منزل المرحوم الشيخ محمد عساف رحمه الله في صوفر ويبدو من اليمين الشيخ محمد أبو الخير الميداني وسماحة المفتي الشيخ محمد علايا والشيخ الشهيد أحمد عساف وفضيلة الشيخ المقرىء الشيخ مصطفى اسماعيل وبجانبه صاحب الدعوة والمنزل



الصورة المعهودة والمعتادة لشيخنا العارف بالله حيث كان يصب الشاي لضيوفه بيديه



صورة شيخنا العارف بالله تعالى وأخي الشيخ محمود سعد في جلسة صفاء



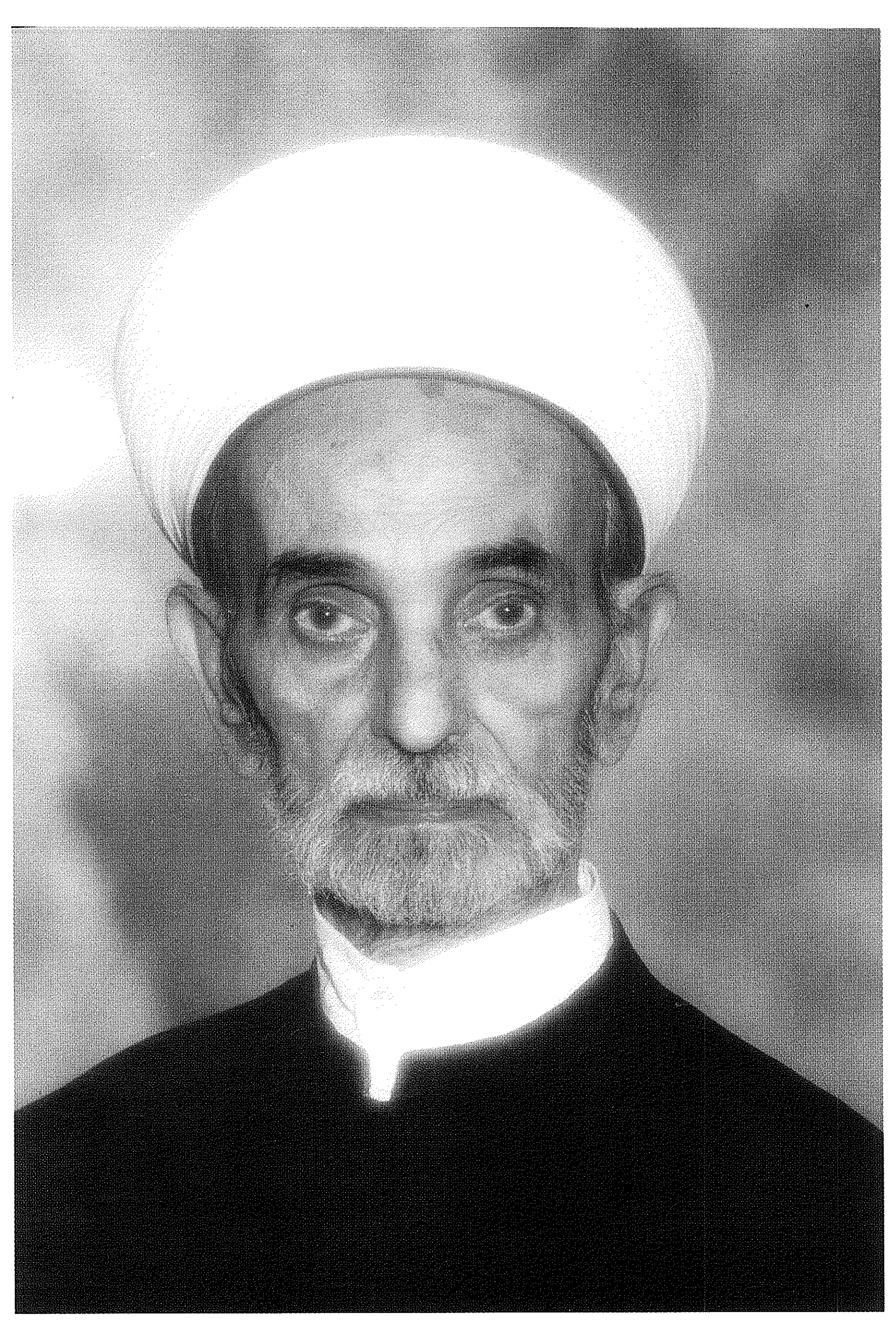
صورة شخينا العارف بالله ويبدو واقفاً أخي الشيخ هشام خليفة والشيخ خليل الطرابلسي والأخ علاء الدين باشا والعبد الفقير الشيخ صلاح الدين فخري من جهة اليمين في جلسة عطاء



صورة الشيخ صلاح الدين فخري يقبل يد شيخه العارف بالله

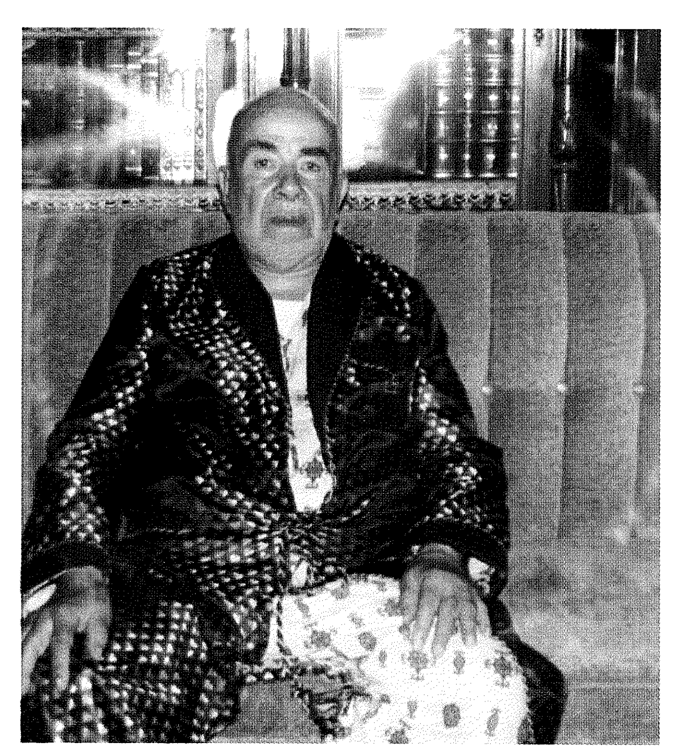


صورة شيخنا الشيخ محمود الرنكوسي قدس الله سره في زيارة خاصة لشيخنا العارف بالله تعالى في منزله

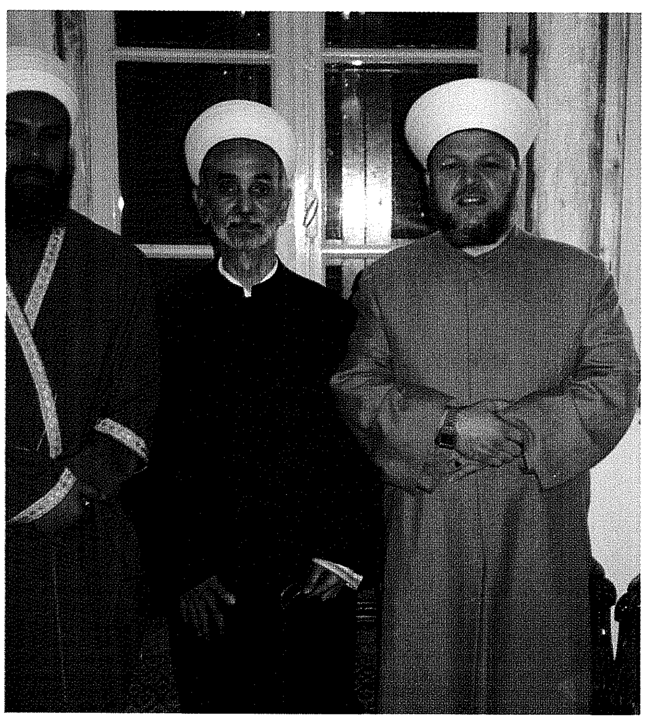


صورة شيخنا الولي النقي الشيخ محمد جمعة الداعوق رحمه الله

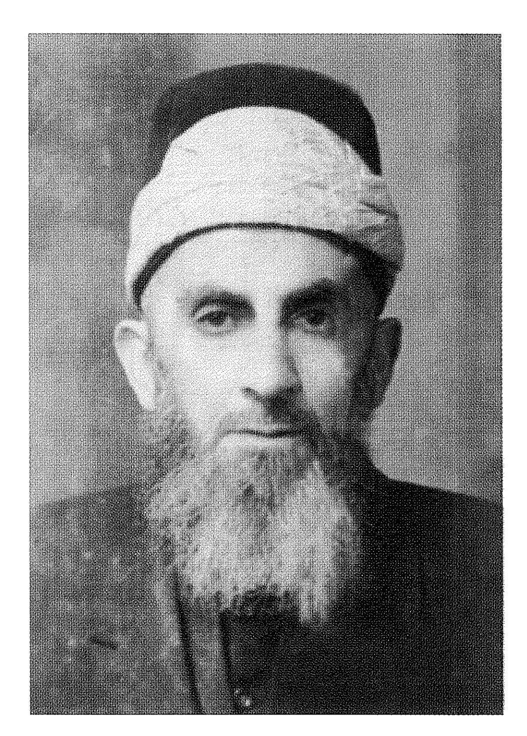
رئيس المحاكم الشرعية السنية العليا



جلسة شيخنا الشيخ أحمد العجوز رحمه الله



صورة شيخنا الشيخ محمد الداعوق وأخي الشيخ محمود سعد
والشيخ صلاح الدين فخري في منزله



صورة الشيخ حسين خالد رحمه الله والذي له فضل علينا لا ننساه



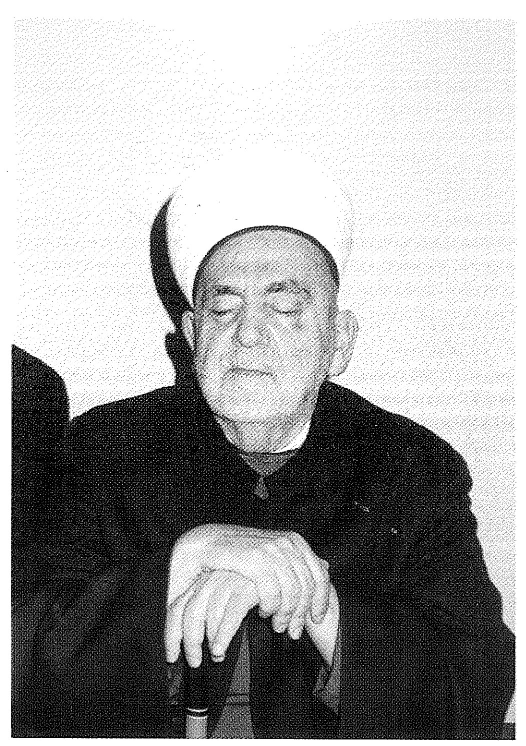
صورة شيخنا العارف بالله والشيخ بلال وأحمد مطر والأخ حسام وعثمان أرناؤوط في جلسة خاصة



صورة شيخنا الشيخ محمد الداعوق في منزله ومن اليمين الاستاذ عبد الرحمن حجار والشيخ عبد العزيز الرفاعي المحب للأولياء من دولة الكويت والشيخ صلاح الدين فخري والشيخ محمود سعد والشيخ عبد الله سوبرة



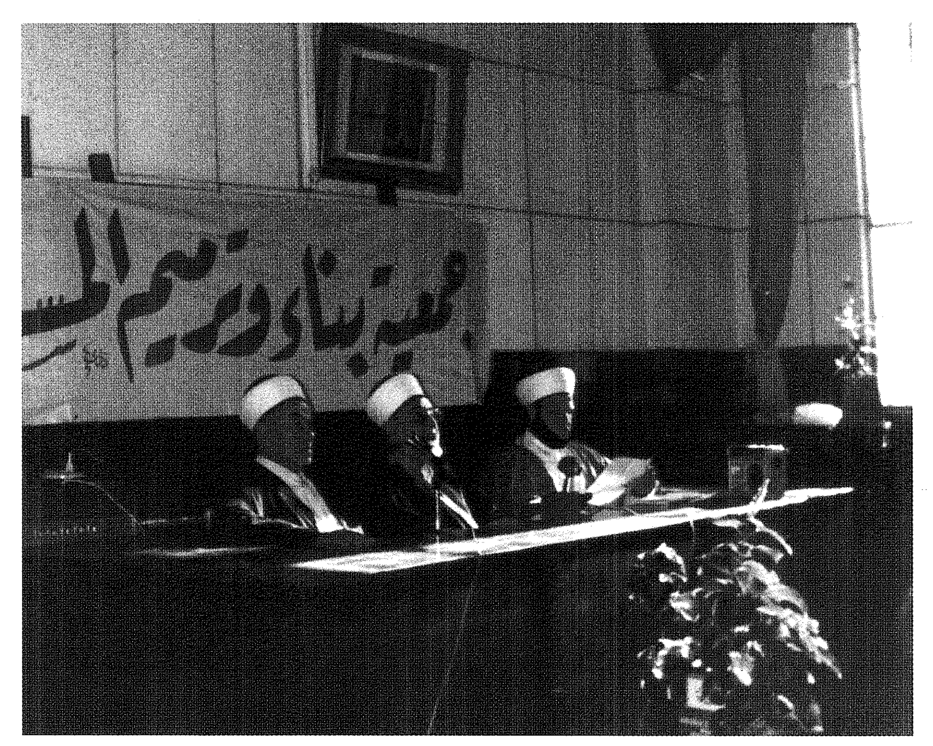
صورة شيخنا الشيخ محمود الرنكوسي قدس سره والشيخ محمد الداعوق والشيخ هشام خليفة في زيارة خاصة لمنزله رحمه الله



صورة شيخ القرَّاء الشيخ حسن حسن دمشقية رحمه الله



صورة في منزلنا أثناء زيارة أخي فضيلة الشيخ حسين حسن صعبية ويبدو الأخ محمد الحريري والحاج محمد سعدى العالجي حفظهم الله تعالى



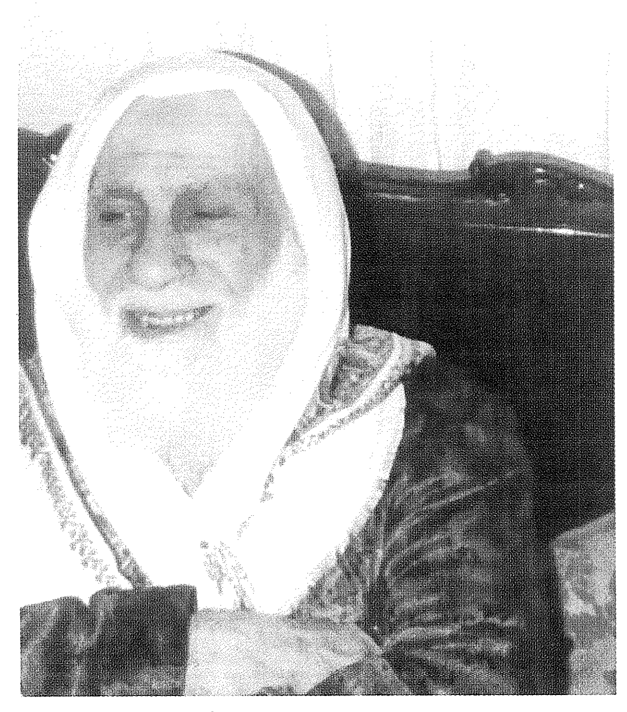
صورة لندوة فكرية دينية الشيخ أحمد العجوز والشيخ قاسم الرفاعي والشيخ صلاح الدين فخري



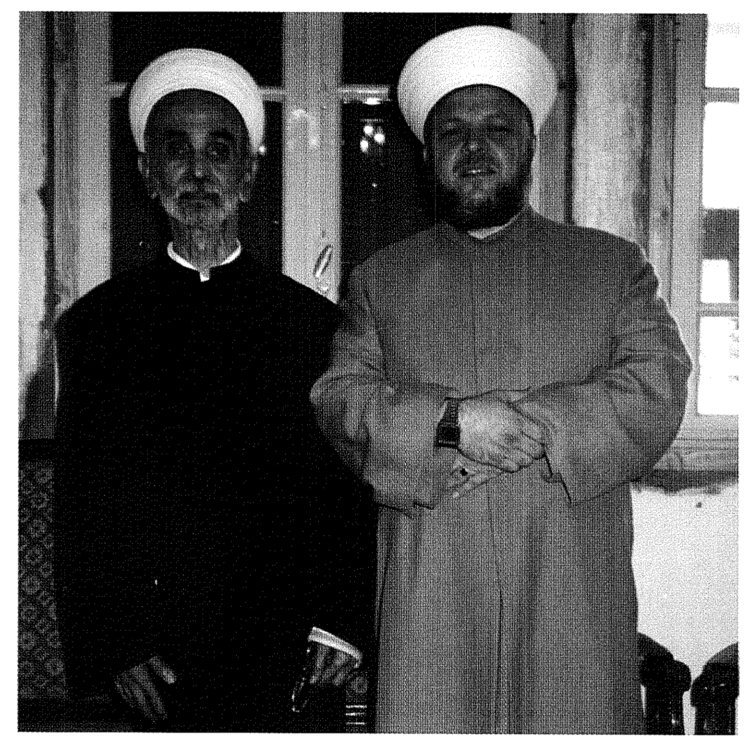
صورة شيخنا محمد الداعوق رحمه الله في منزله ومن اليمين الاستاذ عبد الرحمن الحجار والحاج بلال الصوري والشيخ صلاح الدين فخري والشيخ محمود سعيد سعد والشيخ عبد الله سوبرة



صورة شيخنا الشيخ محمد الداعوق رحمه الله ومن اليمين الاستاذ عبد الرحمن الحجار والشيخ صلاح الدين فخري والشيخ أنس سعد والشيخ عبد الحميد الترك



صورة شيخنا العارف بالله بسمة أمل ومحبة



الشيخ محمد الداعوق رحمه الله والشيخ صلاح الدين فخري أثناء زيارة الجمعة المعتادة



صورة الشيخ أحمد العجوز رحمه الله والشيخ صلاح الدين فخري أثناء زيارته الراتبة لقرأة كتاب البيان والتبيين للجاحظ في الأدب العربي

"كرامَاتُهُ ومكْرُمَاتُه"

إن المقَرَرَ في العقيدة:

وأثْبِتَنْ للأوليا الكرامَهْ   وَمنْ نفَاها فانبذِنْ كَلامَهْ

فالكرامةُ التي تظهرُ على يدِ الأنبياءِ، هي الخارقةُ للعادةِ تُسمى **معجزة**، وهي منهم على سبيلِ التحدي والإعلام بأنهم مرسلونَ من عندِ الله تعالى.

وما يظهرُ على يَدِ البشرِ من الأولياء من خوارقَ للعادة تُسَمَّى **كرامة** وهي منهم بتوفيقِ الله تعالى للدَلالة على خصوصيتهم ورفعتهم عند الله تعالى.

فالكرامةُ مَكْرُمَةٌ يُعَزِزُ الله بها أولياءَه، ويُعْلي شانَهم ويبينُ للملاء فَضلَهم.

وأعظمُ الكرامات والمكْرُمات، التزامُ الولي الصادقِ بآدابِ الشرعِ والدين، واقْتِدَاؤُه بسيدِ الخلقِ أجمعين.

قال تعالى: "**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**" (الأحزاب ٢١).

كما أنَّهُ من أرْقى الكراماتِ وأعْلَى المكرُمات حبُّ العلمِ والمعرفةِ الذيْن تَحلَى بهما شيخنا العارف بالله وعانقَهما طيلةَ حياتِه تطبيقاً وتعليماً وإرشاداً وتوجيهاً.

ولمّا تكاملتْ في طياتِه العلومُ والفهوم، وتدفقتْ من أعماقِ قلبِه المعارفُ والحِكم، وأَوْصلَهُ الكريمُ المنَّانِ إلى مقامِ العرفان، ظهرتْ وفي صفحاتِ أعمارِه المشرقةِ لُبُّ الكراماتِ وعِزُّ المكرُمات.

وأنا أقولُ صادقاً: لقد أُوتي مقاماً رفيعاً عالياً ولكنَّهُ كان يتسترُ بتواضعهِ كثيراً وكثيراً جداً، حتى لا تظهرْ تلكَ الإشاراتُ للأبصار، وتبقى طَيَّ الحجبِ بعيدةً، ويهتمَّ بالعلمِ والتعليمِ والإرشادِ – وهذا هو المرادُ – يُلْفِتَ الأنظارَ عنها، دأبَ الصالحينَ والأولياءِ الصادقين.

ولأنَّهَ من عادةِ الكُمَّلِ الابتعادُ عن حُبَّ الظهورِ الذي يعكرُ النفـوس ويكسِـرُ الظهور.

حتى عَدَّ بعضهم أن الكرامةَ حجبٌ – أي عن الترقي – لمّـا انكشـفَ أمـرُه وظهرَ للعيانِ حالُه.

ونحنُ قد وافقَ حُسْنُ ظننا بهِ لحقيقةِ ما رأيْنَاه وصدقِ ما شاهدْناه، خلالَ ربـعِ قَرْنٍ عشْناه في رحابةِ علمهِ وتوجيهه وذكره وعباداته.

ولا نزكي على اللهِ أحداً بلِ اللهُ يُزّكي من يشاء، وهو أعلمُ مِنَّا بخلقِه، بلْ حكمُنَا بالظاهرِ الذي عايَنَّاهُ، والله يتولى السرائرَ والضمائر.

وها أنذا أبدأ بمقدمةٍ حول هذا الموضوع لأُنيْرَ الطريقَ على سبيل التحقيق، ثم أحكي كراماتِه ومكرُماتِه.

أولاً: إن الإمام الرازيَّ لما أتى على تفسيرِ قول الله تعالى في سـورة الكهـف: "وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِـهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً" (الآيات ١٠-١١-١٢).

فقد بَسَطَ الكلامَ بأنَّ السادةَ الصوفيةَ أثبتوا الكراماتِ للأولياء بهذه الآية، وكمـا سأذكر لك.

إن الوليَّ هو مَنْ توالـتْ طاعاتُه مِنْ غـيرِ تخَلُلِ معصيةَ، وهو الذي يتـولى اللهُ حفظَهُ وحراسَته على التوالي عن كلِ أنواعِ المعاصي، ويديمُ توفيقَه على الطاعاتِ.

وقد قال الشيخ يوسف النبهاني في جامعِ كراماتِ الأوليـاء: إنَّ الـولَيّ هـو القريبُ من حضرةِ الله بسبب كثرةِ طاعاتهِ وإخلاصِه، وكان الربُّ قريباً منه برحمتـهِ وفضلهِ وإحسانه، فهناك تحصلُ الولاية.[١]

---

(١) انظر الصوفية المظلومة ص٣٣.

وقال: إن الاستدلالَ على الكرامةِ من القرآن والسنة والآثارِ والدلائلِ العقلية.

أمّا القرآن: ففي قصة مريم عليها السلام، قال الله تعالى: "وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً* فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياًّ* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِياًّ* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِياًّ* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِياًّ* قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِياًّ* فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِياًّ* فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِياًّ* فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِياًّ* وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياًّ* فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إِنسِياًّ* فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِياًّ*".

وكذلك قصةُ أصحابِ الكهف، وبقاؤهم في النوم أحياءً سالمين عن الآفاتِ، مدةَ ثلاثمائة سنة وتسع سنين، وأنه تعالى كان يعصمُهم من حَرِّ الشمس، كما قال: "وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ" الآية ١٧.

أما (الأخبار من السُنَّة) فكثيرة:

الخبر الأول: ما أخرج في الصحيحين عن أبي هريرةﷺ أن النبيّﷺ قال: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم عليه السلام، وصبيٌّ في زمن جريج الناسك، وصبيٌّ آخر. أما عيسى فقد عرفتموه، وأما جريج فكان رجلاً عابداً ببني إسرائيل وكانت له أم، فكان يوماً يصلي إذ اشتاقت إليه أمه، فقالت يا جريج، فقال: يا ربّ الصلاة خير أم رؤيتها؟ ثم صلى، فدعته ثانياً، فقال مثل ذلك، حتى قال ثلاث مرات وكان يصلي ويدعها، فاشتد ذلك على أمه، قالت: اللهم لاتمته حتى تريه الموسات، وكانت زانية هناك، فقالت لهم: أنا أفتن جريجاً حتى يزني، فأتته فلم تقدر على شيء، وكان هناك راع يأوى بالليل إلى أصل صومعته، فلما

أعياها راودت الراعي عن نفسها، فأتاها فولدت، ثم قالت: ولدي هـذا من جريج، فأتاه بنو إسرائيل وكسروا صومعته وشتموه، فصلى ودعا ثم نخس الغلام، قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبيﷺ حين قال بيده: يا غلام من أبوك؟ فقال:الراعي، فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا إليه وقالوا: نبني صومعتك من ذهب أو فضة، فأبى عليهم وبناها كما كانت.

وأما الصبي الآخر، فإن امرأة كان معها صبي لها ترضعه، إذ مر بها شاب جميل ذو شارة حسنة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فقال الصبي: اللهم لا تجعلني مثله، ثم مرت بها امرأة ذكروا أنها سرقت وزنت وعوقبت، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فقال الصبي: اللهم اجعلني مثلها، فقالت له أمه في ذلك، فقال: إن الشاب كان جباراً من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله، وإن هذه قيل إنها زنت ولم تزن، وقيل إنها سرقت ولم تسرق وهي تقول حسبي الله".

الخبر الثاني: وهو خبر الغار، وهو مشهور في الصحاح. عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: قال رسول اللهﷺ "انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، فآواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل وسدت عليهم باب الغار، فقالوا: والله لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، **فقال رجل منهم:** كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما، فناما في ظل شجرة يوما فلم أبرح عنهما، وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أغبق قبلهما، فقمت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه. **ثم قال الآخر:** كانت لي

ابنة عم وكانت أحب الناس إليّ، فراودتها عن نفسها فامتنعت، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني وأعطيتها مالاً عظيماً على أن تخلى بيني وبين نفسها، فلما قدرت عليها قالت: لا يجوز لك أن تفك الخاتم إلا بحقه، فخرجت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال رسول اللهﷺ. **ثم قال الثالث:** اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجرته حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين وقال: يا عبد الله أدِّ إليّ أجرتي، فقلت له كل ما ترى من أجرتك من الإبل والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله أتستهزئ بي؟ فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذ ذلك كله، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة عن الغار فخرجوا يمشون" وهذا الحديث حسن صحيح متفق عليه.

الخبر الثالث: قولهﷺ "رب أشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره" ولم يفرّق بين شيء وشيء فيما يقسم به على الله.

الخبر الرابع: روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيﷺ "بينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا. وإنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله البقرة تتكلم، فقال النبيﷺ: آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر".

الخبر الخامس: عن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيﷺ قال: "بينما رجل يسمع رعداً أو صوتاً في السحاب أن اسق حديقة فلان، قال: فغدوت إلى تلك الحديقة، فإذا رجل قائم فيها، فقلت له ما اسمك؟ قال فلان بن فلان، قلت: فما تصنع بحديقتك هذه إذا صرمتها؟ قال: ولم تسأل عن ذلك؟ قلت: لأني سمعت صوتاً في السحاب أن اسق حديقة فلان، قال أما إذ قلت فإني أجعلها

أثلاثا، فأجعل لنفسي وأهلي ثلثا، وأجعل للمساكين وابن السبيل ثلثا، وأنفق عليها ثلثا".

أما الأثار:

فنبدأ بما نقل أنه ظهر عن الخلفاء الراشدين من الكرامات، ثم بما ظهر عن الصحابة، وذكر الفخر الرازي هنا بعض كراماتهم التي نقلها عنه وعن غيره فيما يأتي في كرامات الصحابة.

ثم قال الفخر: وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات متجاوزة عن الحد والحصر، فمن أرادها طالعها.

وقال الفخر الرازي في تفسير سورة الكهف:

أما أبو بكر فمن كراماته: أنه لما حُمِلتْ جنازتُه إلى باب قبر النبي ونودى السلام عليك يا رسول الله، هذا أبو بكر بالباب فإذا الباب، قدْ انفتح وإذا بهاتف يهتف من القبر: أدخلوا الحبيب إلى الحبيب.

وأما عمر من كراماته قال ابن الأثير في "أسد الغابة": استقى عمرُ بن الخطاب بالعباس عام الرمادة لما اشتد القحط فأغاث الله تعالى به، وأخصب الأرض، فقال عمر: هذا والله الوسيلة إلى الله. وقال حسان بن ثابت:

سلِ الإمامَ وقد تتابعَ جدبُنا	فسقى الغمامُ بغُرةِ العباسِ
عمِّ النبيِّ وصنوِ والدِه الذي	وَرِثَ النبيَّ بذاك دون الناس
أحيا الإلهُ بهِ البلادَ فأصبحتْ	مُخْضَرَّةَ الأجنابِ بعدَ الياسِ

وأما سيدنا عثمان بن عفان من كراماته: ما ذكره التاج السبكي في "الطبقات" وغيره، أنه دخل إليه رجل كان قد لقي امرأة في الطريق فتأملها ،فقال له عثمان: يدخل أحدُكم وفي عينيه أثر الزنا، فقال الرجل: أَوَحْيٌ بعد رسول الله؟ قال لا، ولكنها فراسة المؤمن.

وإنما أظهر عثمانﷺ هذا تأديبا لهذا الرجل وزجراً له عن شيء صنعه.

وأمَّا سيدنا علي بن أبي طالبﷺ وكرم الله وجهه من كراماته: مـــا أخرجـــه البيهقي، عن سعيد بن المسيب قال: دخلنا مقابر المدينة مع عليّﷺ فنادى يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة الله، تخبرونا بأخباركم أم نخبركم قال: فسمعنا صـــوتاً: وعليـــك السلام ورحمة الله وبركاته يا أميرْ المؤمنين، خبرنا عما كان بعدنا، فقال علـــي: أمـــا أزواجكم فقد تزوجن، وأما أموالكم فقد اقتسمت، وأما الأولاد فقد حشروا فـــي زمـــرة اليتامى، وأما البناء الذي شيدتم فقد سكنه أعداؤكم، فهذه أخبار ما عندنا، فما أخبار ما عندكم؟

فأجابه ميت: قد تخرقت الأكفان، وانتثرت الشعور، وتقطعت الجلود، وســـالت الأحداق على الخدود، وسالت المناخر بالقيح والصديد، وما قدمناه وجدناه، وما خلفناه خسرناه، ونحن مرتهنون.

وقال التاج في "الطبقات": روى أن عليا وولديه الحسن والحسينﷺ سمعوا قائلاً يقول في جوف الليل:

يا من يجيبُ دعا المضطرِ في الظُلَـــمِ	يا كاشفَ الضرّ والبلوى مـــع الســـقم
قد نامَ وفدُك حـــولَ البيـــت وانتبهـــوا	وأنت يـــا حـــيّ يـــا قيـــوم لـــم تـــنم
هب لي بجودك فضل العفو عن زللي	يا من إليه رجاء الخلـــق فـــي الحـــرم
إن كان عفوك لا يرجـــوه ذو خطـــأ	فمن يجـــود علـــى العاصـــين بـــالنعم

فقال عليﷺ لأحدهم: أطلب لي هذا القائل، فأتاه فقال:أجب أميـــر المـــؤمنين، فأقبل يجرّ شقه حتى وقف بين يديه فقال: قد سمعت خطابك فما قصتك؟ فقـــال: إنـــي كنت رجلاً مشغولاً بالطرب والعصيان، وكان والدي يعظني ويقول: إن لله ســـطوات ونقمات وما هي من الظالمين ببعيد، فلما ألحّ في الموعظة ضربته، فحلف ليدعون علي ويأتي مكة مستغيثاً إلى الله، ففعل ودعا، فلم يتم دعاؤه حتى جف شقيّ الأيمن، فندمت على ما كان مني وداريته وأرضيته إلى أن ضمن لي أنه يدعو لي حيث دعـــا علـــيّ،

فقدمت إليه ناقته فأركبته، فنفرتِ الناقة ورمت به بين صخرتين فمات هناك، فقال لـــه علي ﷺ: رضي الله عنك إن كان أبوك رضي عنك، فقال والله كذلك، فقام علي كرم الله وجهه وصلى ركعات ودعا بدعوات أسرّها إلى الله عز وجل ثم قال: يا مبـــارك قـــم، فقام ومشى وعاد إلى الصحة كما كان، ثم قال: لولا أنك حلفت أن أباك رضي عنك ما دعوت لك.

"وأما الدلائل" العقلية القطعية على جواز الكرامات فمن وجوه:

الحجة الأولى: أن العبد ولي الله، قال الله تعالى (ألا إن أوليـــاء الله لا خـــوف عليهم ولا هم يحزنون).

والرب ولي العبد قال تعالى (الله وليّ الذين آمنوا) وقال تعالى (وهـــو يتـــولى الصالحين) وقال تعالى (إنما وليكم الله ورسوله) وقال تعالى (أنت مولانا) وقال تعالى (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا).

فثبت أن الرب ولي العبد، وأن العبد ولي الرب، وأيضاً الرب حبيـــب العبـــد، والعبد حبيب الرب، قال تعالى (يحبهم ويحبونه) وقال تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى (إن الله يحب التوّابين ويحب المتطهرين).

وإذا ثبت هذا فنقول: العبد إذا بلغ في الطاعة إلى حيث يفعل كل ما أمره الله، وكل ما فيه رضاه، وترك كل ما نهى الله وزجر عنه، فكيف يبعـــد أن يفعـــل الـــرب الرحيم الكريم مرة واحدة ما يريده العبد بل هو أولى، لأن العبد مع لؤمه وعجزه لمـــا فعل كل ما يريده الله ويأمره به، فلأن يفعل الرب الرحيم مرة واحدة وما أراده العبـــد كان أولى، ولهذا قال تعالى (أوفوا بعهدي أوف بعهدكم).

الحجة الثانية: أنا نشاهد في العرف أن من خصه الملك بالخدمـــة الخاصـــة، وأذن له في الدخول عليه في مجلس الأنس، فقد يخصه أيضاً بأن يقدره علـــى مـــا لا يقدر عليه غيره، بل العقل السليم يشهد بأنه متى حصل ذلك القرب فإنه يتبعـــه هـــذه المناصب فجعل القرب أصلا والمنصب تبعاً.

وأعظم الملوك هو رب العالمين، فإذا شرف عبداً بأن أوصله إلى عتبات خدمته ودرجات كرامته، وأوقفه على أسرار معرفته ورفع حجب البعد بينه وبين نفسه، وأجلسه على بساط قربه، فأيّ بعد في أن يظهر بعض تلك الكرامات في هذا العالم، مع أن كل هذا العالم بالنسبة إلي ذرة من تلك السعادات الروحانية، والمعارف الربانية كالعدم المحض؟.

ثم قال: فإياك يا أخي من إساءة الظن بأحد منهم بأنه إنما أجرى الكرامة لإثبات ولاية نفسه، وزيادة اعتباره عند الناس، فإنهمﷺ لا يفعلون ذلك قطعاً.

ولا تعترض على أولياء الله تعالى بأنهم يجب عليهم ستر الكرامات، فكيف يظهرونها فتحرم بركتهم، بل تيقن أنهم لم يظهروها إلا لحكم صحيحة ونيات خالصة، المقصود منها رضا الله تعالى وخدمة دينه المبين، وإنهم في ذلك قائمون مقام صاحب المعجزات سيد المرسلينﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكثيراً ما يصدر الله تعالى على أيديهم الكرامات قهرا عنهم وبدون اختيارهم.

فالله تعالى ينفعنا ببركاتهم، ولا يقدر علينا الاعتراض على أحد منهم، فإنهم أولياء الله تعالى، وقد قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي "من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب".

ونقل عن الإمام القشيريﷺ فقال:

وقد قال القشيري: وقال أوحد فنه في وقته القاضي أبو بكر الأشعريﷺ:

إن المعجزات تختص بالأنبياء، والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء، ولا تكون للأولياء معجزة لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها، وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة، فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة، وأحد تلك الشرائط دعوى النبوة، والولي لا يدعي النبوة، فالذي يظهر عليه لا يكون معجزة.

قال القشيري: وهذا القول الذي نعتمده ونقول به، بل ندين به، فشرائط المعجزات كلها أو أكثرها توجد في الكرامة إلا هذا الشرط الواحد. انتهى كلام النبهاني ﷺ مع شيء من الاختصار.

وبعد هذه الخلاصة النيّرة، والدلائل الواضحة الرائعة، نعتقدُ جازمين أنها لن تبقى أي ريْبةٍ أو شكٍ في القلبِ من قريبٍ أو بعيد، وقد آن لنا الشروعُ فيما رأيناهُ، أو علْمناه، أو سمعْناه، من الكرامات والمكْرُمات عن **شيخنا العارف بالله**.

أولاً: إن أولياء الله تعالى ﷺ، ونفعنا ببركاتهم لهم خصوصيةٌ كبرى، وميْزَةٌ فُضْلى، لأنهم ينظرون بفارستهم المؤمنة الصادقة، التي تَسْتَمِدُّ نورُها من نورِ اللهِ تبارك وتعالى.

ولذا ورد عن رسولنا الأكرم ﷺ قولُه: اتقوا فراسةَ المؤمن فإنه ينظرُ بنور الله، ومن هذا المنطلق كان **شيخنا العارف بالله** يخبُرنا عن أمورٍ وأحوالٍ كثيرةٍ متعددةٍ وتقعُ مستقبلاً كما أخبرنا بها. وقد أخبرني شخصياً عن وقوع وحدوثِ الحربِ اللبنانية الطائفية التي عصفتْ ببلدِنا من سنة ١٩٧٥ إلى سنة ١٩٩٠، وذلك من خلالِ رؤيةٍ وصادقةٍ رآها تحققتْ فيما بعدُ، وقد طلب مني بعدَ مدةٍ من وقوعها أن أجولَ به في سيارتي في المنطقة التجارية التي اسْتعرت الحربُ بها فأدى إلى خرابها وتهدُمها حتى أصبحتْ خراباً يباباً[1].

عند ذلك بكى ثم بكى واخضلتْ لحيته البيضاء الطاهرة بالدموع وقال بصوت مرتفع: يا ربِّ أني مَسَنَّي الضرُّ وأنتَ أرحمُ الراحمين" (٨٣ الأنبياء).

وباديء الأمرِ تكادُ الأخبارُ التي يحدثُنا عنها يستحيلُ تصديقُها والاقتناعُ بها، ثم بعدَ حينٍ تراها تقعُ كما ذكرها.

فسبحان الله المعطي الوهاب

---

(١) اليباب: الخراب.

ثانياً: إن كثيراً من الأولياءِ يلْتَقُون بمنْ يجانسُهم ويؤانسُهم وقد أجمعَ الأكابر من أهل الولايةِ والدرايةِ والروايةِ على حياةِ سيدنا الخضرِ عليه السلام.

وحدثنا **شيخنا العارف بالله** أنه رآهُ رؤيةً حقيقيةً بحضور كبار علماءِ وأولياءِ لبنان الشيخ أحمد العجوز. والشيخ محمد الداعوق ﷺ جميعاً.

ثالثاً: مكاشفتُه وإطلاعُه – بإذن الله – على كل الداخلين عليه، فيكشفُ الله لهُ أحوالَ قلوبهِم ونفوسِهم، وإراداتهم وغاياتهم. وقد كان ينظرُ إلى الجالسِ ويتكلمُ معهُ بأمورٍ لا يعرفُها إلا الشخص نفسُه، مما يُوَّلدُ عندَهُ دهشةً واستغراباً. حيث يذكر له من الأسرارِ التي تخصُّهُ ولم يخبر بها أحداً.

وقد كان يذكر هذه الأحوال، إما تلميحاً، أو تصريحاً، أو تعريضاً وتأتي هذه الأخبارُ كوصفةِ دواءٍ نافعٍ لداءِ كلٍ على حِدَة.

ولما كنا نسألُه عن ذلك يقول: إنَّ الشيخَ الصادقَ المربي يعرفُ – بإذن الله – ما يفعلُ مريدُوه وتابعُوه لكمالِ حالِه مع الله تعالى، ولخيرِ التابعينَ المريدين، ولكنَّهُ لا يَطَّلِعُ على عوارتِهم، كما أنه يَغُضُّ البصرَ عن أسرارِهم الخاصة.

فسبحان المعطي الوهاب

رابعاً: مداواتُه من المَسِّ.

فقد أحضرَ له رجلٌ من بلدةٍ عربية كي ينالَ بَرَكَتَهُ ودعاءه، عسى أن يبرأَ من مَسٍ عضالٍ أصابه، خاصة وأن الأطباءَ المهرةَ عجزوا عن مداوتِه والوقوفِ على حقيقة مصَابِه، ولما أدْخِلَ عليه وهو في غرفته، وجلسَ بين يديه في خلوتِه، ونظرَ إلي عينيهِ البراقتينِ اللتين تشعانِ نوراً، وتحكيانِ الأفئدةَ والمشاعر، تَوَّجَّهَ إليه توجهاً فيه استحضارٌ وأسرار، فإذا بالمريض من المَسَّ ينتقضُ انتفاضةَ العصفورِ بَلَّلَّهُ القطر، وارتعش إرتعاشَةَ من أصابه البَردُ من كلِ جانبٍ، ثم وضَعَ يديْهِ على ركبتيْ **شيخنا العارف بالله**، والْتفَتَ إلى

فإذا به قد قامَ وكأنَّهَ لم يُصبِهُ شيء، وقد صرَفَ الله عنه الأذى، ببركةِ دعـاءِه وتوجهِه، ثم مكَثَ برهةً غير وجيزة، وانصرفَ وهذا فضلُ الله تعالى ونِعَمه.

فسبحان المعطي الوهاب

خامساً: تأديبُه وتعليمُه.

حدثنا الحاج محمود شعر[1]، مادحُ النبي صلى الله عليه وسلم ومؤذن المسـجد العمري الكبير سابقاً. يذكرُ أنه صلى العشاءَ ذاتَ مرة مقتدياً **بشيخنا العـارف بالله**، يوم أن كان إماماً للمسجد العمري الكبير سنة ١٩٦٦م. ثم صحبه بسيارةِ أُجْرة إلى منزله، والطقسُ ممطرٌ مطراً شديداً، وقبلَ أن يَصِلَ السـائقُ إلـى المنزل بمائتي مترٍ تقريباً، طلب منهما أن ينزلا من السيارة حيـثُ يريـدُ أن يذهبَ من طريقٍ آخر كما ذكرَ لهما، فطلبا منهما برفقٍ أنْ يُكْمِلَ توصـيلَهما حيثُ الأمطارُ غزيرة، والعواصفُ مثيرة، فرفضَ السائقُ طلبَهما رفضاً قاطعاً، فنزلا من السيارة وتكبدا السير وقد بَلَّ المطر ثيابهما حتى وصلا المنزل.

فما هي إلا لحظاتٌ حتى دُقَّ البابُ، فإذا بالسائقِ يدخلُ المنزلَ ويجثـو علـى ركبتيه مقبلاً يدي **شيخنا العارف بالله**، ومعتذراً عما بَدَر منه، فقـد تعطلـتْ سيارتُه بعد أن أنزلهما، ووقفَ محركُها، في منتصف الطريق بعد نزولهمـا، فطلب العفوَ والسماحَ. فقدم له الضيافة – الشاي – إلى أن خرج وقـد حـاز الرضا والاطمئنان وعاد إلى سيارته.

فسبحان المعطي الوهاب

سادساً: كشَفَ اللهُ له الحجاب.

إن للنفسِ ساعاتٍ تصفو بها من كدر، وتَرِقُّ من بعدِ عناءٍ وتعب، فتظهرُ لهـا الدقائقُ والرقائق، وتحيطُ بها الأنوارُ والأسرار، والأولياء أصحابُ الكراماتِ لا

---

(١) خلال طبع هذه المحاسن وصلنا نبأ وفاة الحاج محمود رباح شعر رحمه الله. وقد صليتُ عليه في مسجد زقاق البلاط ودفن في روضة الباشورة عصر يوم الأثنين ١٠ رجب ١٤٢٦هـــ الموافق ١٥ آب ٢٠٠٥ وصلى عليه جمٌ كبير من العلماء وأهل بيروت.

يذكرون أحوالهم ستراً وابتعاداً عن الشهرة، والحديثُ ذو شجونٍ[1] وشؤون، فقد أخبرنا شيخنا العارف بالله وبعد إصرارٍ مِنّا أنه أن الأولياء تَحْصَلُ لهم أحوالٌ تكتنفُها العبرةُ والحكمة.

ومن ذلك أنه حصلَ لهُ يوماً حال غريبٌ وأمرٌ مريب، فقد صفا فيه القلبُ والعقلُ والروح، وتعاقبتْ أذكارُه وأورادُه وصلواتُه، حتى شعرَ – كما ذكر – بكمالِ الاتصالِ ذكراً، وعنايةً وخصوصية، فإذا به يرى بأمِّ عينه عاموداً من نورٍ نزل من السماء، فَحَطَّ عليه وأحاطَه كما يحيطُ السوار بالمعْصم، فحصلَ له حالةٌ غريبةٌ عجيبة، حيث كان ينظرُ إلى الناسِ فيراهم على حقيقة نفوسِهم **الحيوانية لا البشرية**.

فرأى منهم متشكلاً على هيئة الكلابِ – **كنايةً عن البخل** ورأى منهم على شَكْلِ الذئاب والثعالب – **كنايةً عن المكر والخداع** ورأى منهم على شَكْلِ الفرس **كنايةً عن العلو والزُهُوِ والتفكير**، ورأى منهم على شَكْلِ الحميرِ **كنايةً عن عدم الاهتمام واللامبالاة** ورأى، ورأى...

يقول: لما أتاني هذا الكشفُ على هذا المنوال، سألتُ الله مُسْتجيْراً أن يرفعَ عنى هذا الحالَ، فما هي إلا ساعاتٌ وقد رَفَعَهُ عنى، فشكرتُ اللهَ على هذا التفضل والإجابة.

فسبحان المعطي الوهاب

سابعاً: بركتُه وإطاعةُ الرضيعِ له.

أتينا مرةً منزل **شيخنا العارف بالله** لارتشافِ العلوم كما هي العادةُ الحسنةُ المتبعة. فذكر لنا أن أخاه (محمد العلايلي رحمه الله) قد وُلِدَ لهُ مولودٌ ذكرٌ فاحضروُه إليه كي يباركَهُ – كما هي عادة العائلة،– ويُحَنِّكَهُ بالتمر ويُسميه،

(١) أي فنون وأغراض (القاموس).

فسَمّاهُ (عثمان)[٢] على اسم جدِه. ثم وضعَ الطفل – عثمان – بين يديه وقــال له: يا عثمان قُلْ الله – قُلْ الله، فإذا بالطفلِ يقولُ أمام الجميع: الله – الله – الله – الله – الله، وما زال يردوُها حتى سكت. فأخذَ الحاضرون بالتكبير، والتسبيح والتهليل.

فسبحان المعطي الوهاب

ثامناً: سِرُّ راحتيه وملامستهما المصابين.

هذه الحادثة الكرامة، حصلتْ أمامي وبحضوري شخصياً مع إخوةٍ كرام، حيثُ عاينتُها بأمِّ عيني.

فقد صليتُ إماماً في مسجد الخلية السعودية صلاة المغرب، وبعد الصلاة أتــي لي بأخٍ حبيبٍ رُبِّيَ بين أيديْنا يافعاً صغيراً، وأضحى مدرساً بارعاً كبيراً، وقد عرفتُه خلال صحبته وتربيته أديباً رقيقاً ذاكراً محباً ثابتاً.

فقد أُتيَ بهِ يتهاوى بين أخويين كريمين، يرتجفُ جسدُه، وترتعدُ فرائضُه، ومن غيرِ إرادةٍ واختيارٍ منه، وهو في زَهْرَةِ الشباب، وريعانِ العمر، فقرأتُ له ما تيسرَ من قرآنٍ ودعوات، فهدأتْ نفسه يسيراً، وما هي إلا دقائقُ كنا في منزل **شيخنا العارف بالله**. وحيثُ لي دالةٌ عليه، فقد أدخلَنَا إلى غرفتِه الخاصة، وهو على فراشِ الألم والمرض، ثم شكونا له حاله ومصابه وما يلقــاه هــذا الأخُ المحبُ الرقيق من ارتعادٍ وارتعاش.

فلما سمع مقالنا، وعَلِمَ مقاصدنا، ابتسمَ ابتسامةً بدتْ ثناياهُ كحباتِ البردِ لؤلــؤاً يبعثُ النورَ والأملَ والشفاء، ثم وضعَ راحتَيْــه المبــاركتين علــى رأســه، واستحضَرَ جوامعَ الخشوعِ وبدأ بالقرآة بالتوجه والدعاء، فما هي إلا لحظــاتٌ بدأ فيها مصابُنا بالتأوُّهِ، وأمطرتْ عيناهُ وابلَ الدموع، وزَفَرَ زفْرَةً أخرجتْ منه كل رجفةٍ وارتعاشةٍ وألمٍ ووجَع، وتغيرتْ معالمُ وجهه إلى إشراقةٍ نيِّرةٍ، وعاد

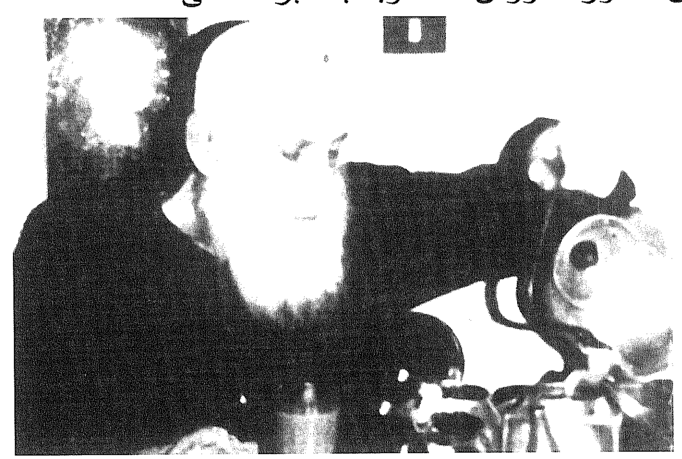
(٢) وقد توفى عثمان محمد العلايلي منذ سنة ١٩٩٨ تقريباً حيث عمل مدةً من الزمن في المرفأ.

– ولله الحمد – كأن لم يصبه شيء مطلقاً. وعَمَّ البِشْرُ والفرح والسرورُ، وحصلَ الشفاءُ ببركةِ **شيخنا العارف بالله** رحمه الله تعالى.

فسبحان المعطي الوهاب

تاسعاً: سِقايَةُ الجمِّ الكثير، من جَامٍ صغير (إبريق شاي صغير).

اشتهرُ **شيخنا العارف بالله** عند كل مَنْ زارَهُ، أو قصدَهُ أنه كريمُ المحيا، مضيافُ رضياً، فهو كثيرُ الرماد، رفيعُ العماد، لا تخبو نارُهْ، ولا يَغيبُ أواره، فإذا جلس الحاضرون رأيت – الجام – إبريق الشاي الصغير الحجم يتصدرُ المجلس، لتدورَ الكؤوس المشوبَةُ بالعنبر المحلى.



والكرامةُ الغرابةُ أنه يَصُبُّ الشاي من الإبريق الصغير، فيسقي ما يزيدُ عن عشرين ضيفاً أو أكثر، فيطفو خيرُه، ويكثرُ زبَدُه، ويغزرُ شَايُهُ، حتى يعم الجميع شرباً وبركة.

وكُنا أحياناً نطلبُ منه أن نقوم بصبّ الشاي فيقول وهو يَصُبّه: بركة، بركة، ويتابعُ حتى تظهرَ روعةُ هذه الكرامة، فيسقى الكثيرَ الكثيرَ، من القليل القليل، المبارك بإذن الله تعالى.

فسبحان المعطي الوهاب

عاشراً: رؤيتُه بعد رحيله.

بعدما انتقل **شيخُنا العارف بالله** تعالى إلى ربّه حيث كان يحبُ لقاءه، فقــد رآه أحدُ المحبين والمريدين في المنام، وقد أنار الله وجهه، وأضاء محيّاهُ، وعليــه علاماتُ البشرِ والسرور والحبور.

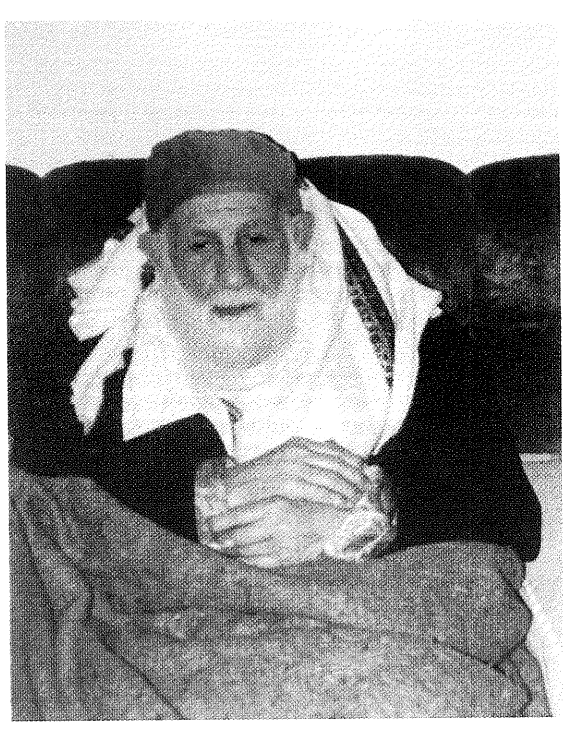
فقالَ له: لقدِ اشتقنَا لك يا سيدي شوْقاً يشعرُنا بلذةِ اللقاء بكم، ولكننا مطمئنــون أنك في الدرجات العُلى، فأجابه وملؤهُ الحنينُ والصفاء وقال: بلى.. بلى، والله إنّي في عِلِيّين.

وسمع قول الله تعالى: "كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّــينَ* وَمَــا أَدْرَاكَ مَــا عِلِّيُّونَ* كِتَابٌ مَّرْقُومٌ* يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ* إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ* تَعْرِفُ فِي وَجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ* يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ* خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنَافِسُونَ* وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ* عَيْناً يَشْــرَبُ بِهَــا المُقَرَّبُونَ" (الآية ١٨ - ٢٧ سورة المطففين).

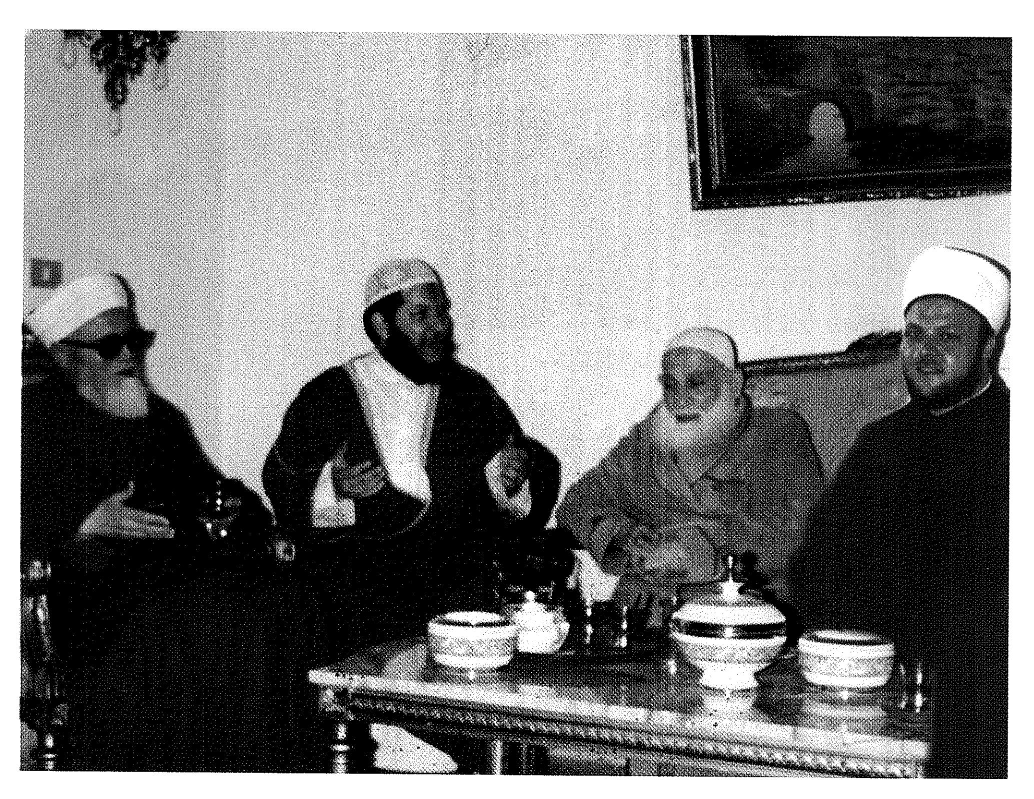
فسبحان المعطي الوهاب



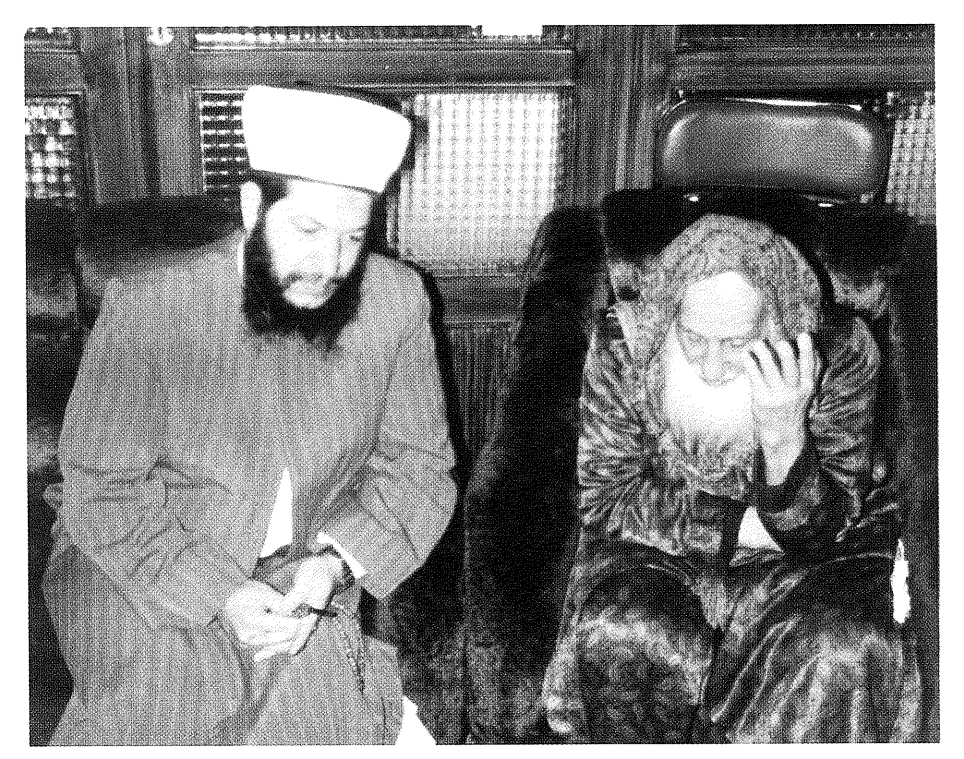
شيخنا العارف بالله في أول مرضه



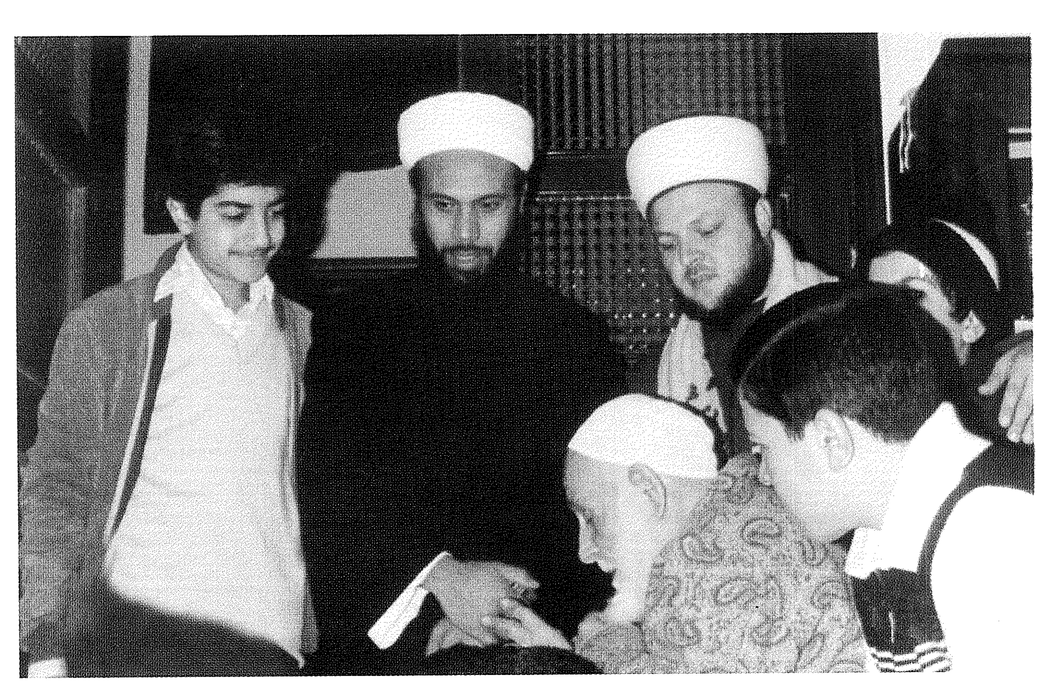
شيخنا العارف بالله في آخر أيام مرضه وقد لبس ثياب شيخه القطب الغوث الشيخ محمد أمين الكردي البغدادي تبركاً بها



صورة ضمت شيخنا العارف بالله وشيخنا الشيخ محمود الرنكوسي والشيخ هشام خليفة والشيخ صلاح الدين فخري



صورة شيخنا العارف بالله الشيخ هشام خليفة في جلسة صفاء وعلم

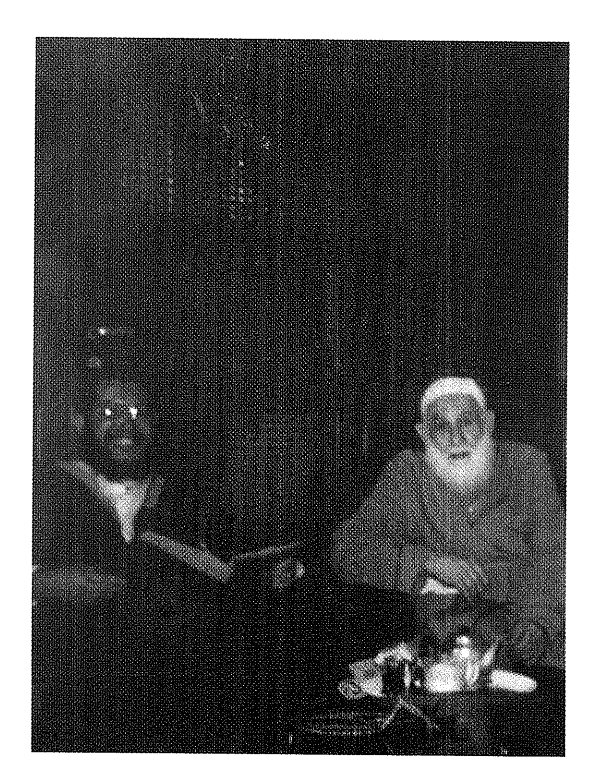


صورة شيخنا العارف بالله والشيخ محمود سعد والشيخ صلاح الدين فخري

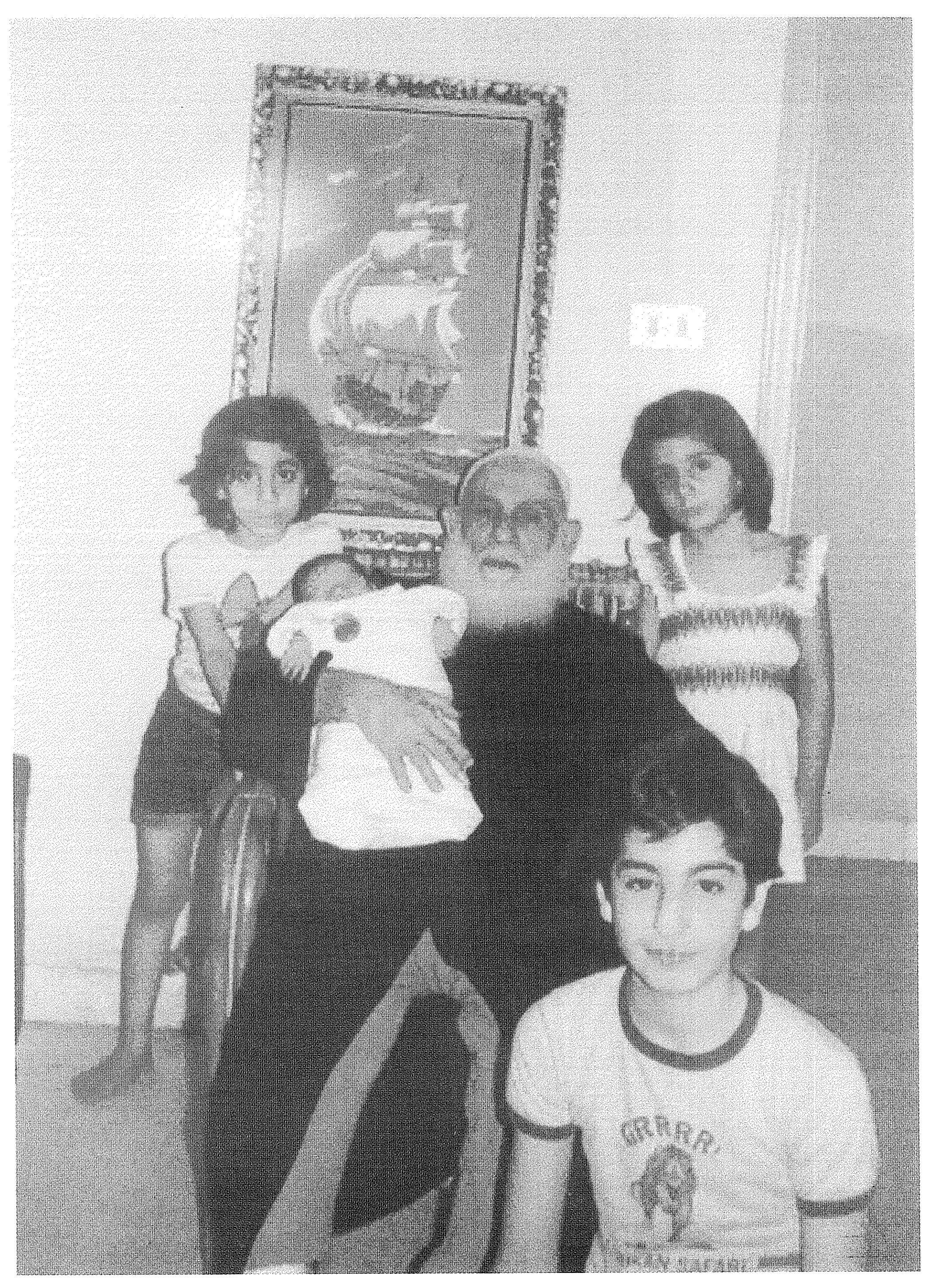
ومن اليمين المهندس باسم الشيخ وأخوه ربيع الشيخ ومن اليسار الأخ عماد مكداشي حفظهم الله



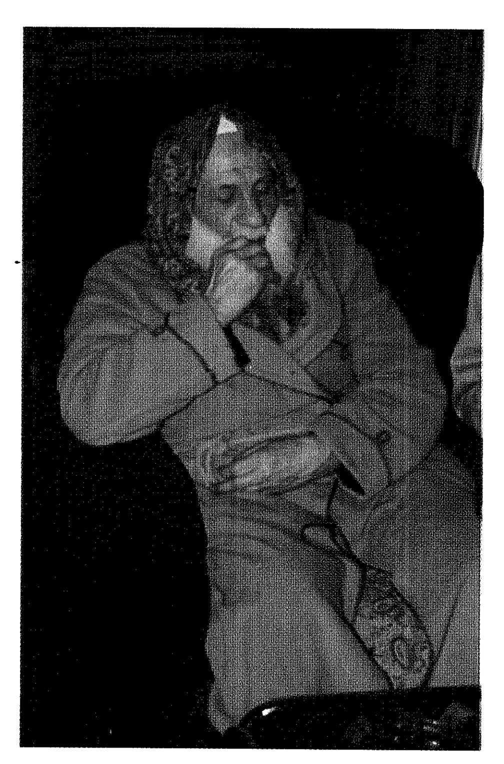
صورة ضمت الشيخ صلاح الدين فخري يقبل رأس شيخنا العارف بالله تعالى ويبدو الأخ الشيخ بلال وأحمد مطر والأخ حسام وعثمان أرناؤوط بارك الله بهم



صورة شيخنا العارف بالله وفضيلة الشيخ هشام خليفة حفظه الله



صورة شيخنا العارف بالله مع أولاد صهره الشيخ المرحوم عمر البغدادي رحمه الله ويبدو أبن شيخنا الشيخ
أنس العلايلي حفظه الله



صورة شيخنا العارف بالله تعالى



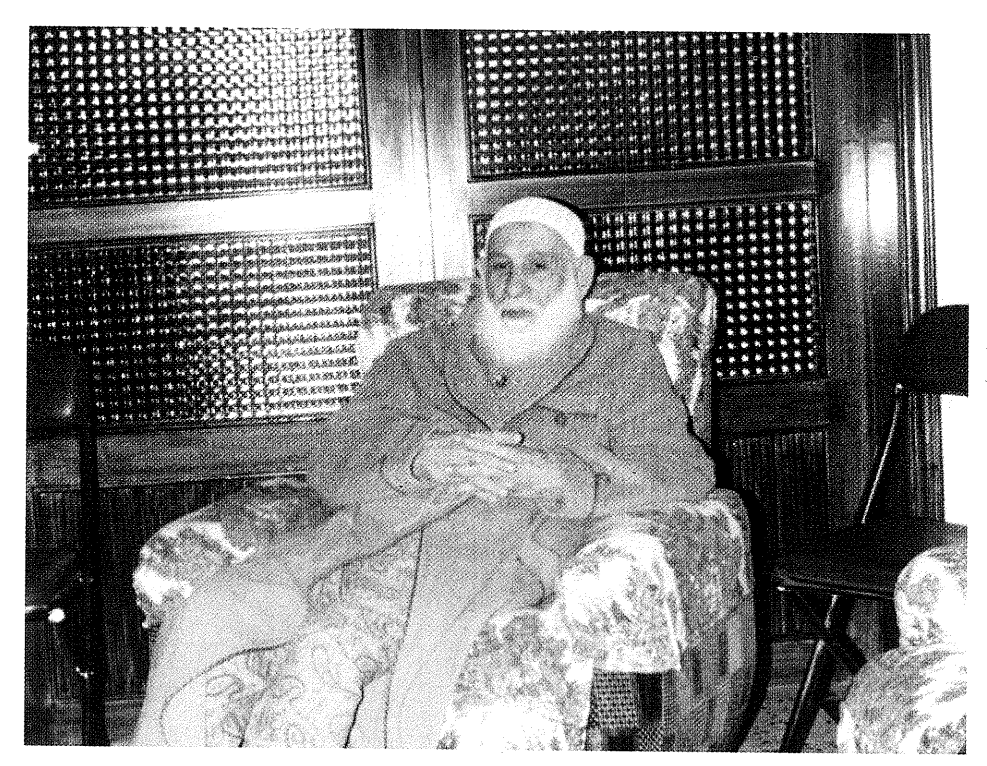
صورة جمعت شيخنا العارف بالله والشيخ محمود الرنكوسي والشيخ هشام خليفة
والشيخ صلاح الدين فخري وبعض المحبين



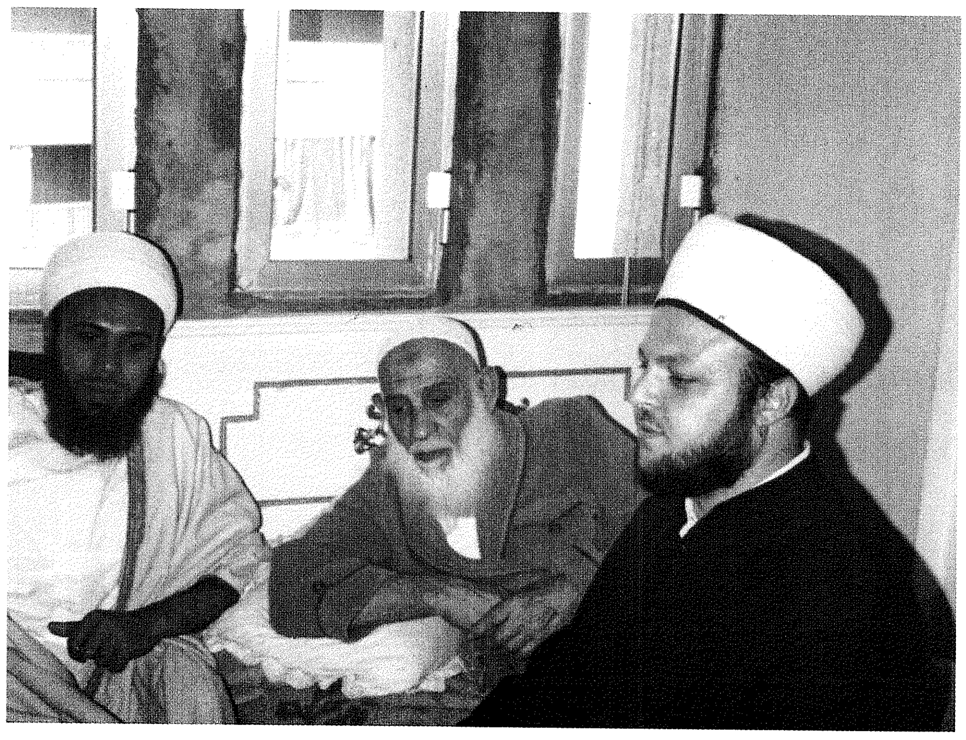
صورة شيخنا العارف بالله ويبدو الشيخ صلاح الدين فخري يقبل يده أثناء مرضه



صورة جمعت شيخنا العارف بالله والشيخ محمود الرنكوسي والشيخ هشام خليفة والشيخ صلاح الدين فخري وبعض المحبين



صورة شيخنا العارف بالله في منزله



شيخنا العارف بالله وعن يمينه الشيخ محمود سعد وعن يساره الشيخ صلاح الدين فخري

موعظةُ الموتِ والرحيل

إنَّ جلالَ الموتِ يُذهلُ المصاب، ويوقفُهُ عَنِ التَّحكُمِ في تصوُّرِ بالغِ المصيبة، حتى إذا هدأتْ هزَتُه العنيفة، وأعادَ حواسَه وفرائصَه إلى جَادَّتِها، شعرَ بمقدارِ الخسارةِ بفقدِ الفقيدِ وذهاب الحبيب،

وهكذا كانت مشاعرُنا الصادقة، قد حفَّها الألمُ ونأى بكللِهِ وثِقلِه بمصابِنا بفقيد الأمة، **شيخنا العارفِ بالله** رحمه الله تعالى.

إنَّ إيمانَنا لا تحركُه أعاصيرُ الحياةِ المؤلمة، ونحن نعلمُ أن الله قدَّر مقادير الخلائقِ وقسَّمها، وبَعَثَ أمراضَها وأسقامها، وخلق الموتَ والحياةَ ليبلُوهُم أيُّهم أحسنُ عملا، وأنَّ مرارة الدنيا ومصابها في ميزان الصابرين هي حلاوة في الآخرة. ولكنَّ الفراق يصعبُ هضمُه، وألَمَ البعادِ والنَّدى يفطِّرُ كبدَ وقلبَ المحبينَ الصادقين ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وإن كان الموتُ غيَّبَ قُرَّةَ العين، وبحرَ العلمِ والمعرفة. ولم نعُدْ نرى طيفَهُ المبارك، والأولياءُ يستوى عندهم الموتُ والحياة، لأنهم في تذكُّرٍ دائم، واستعدادٍ تام للرحيل إلى الآخرة، خاصةً وأنَّهُ كان رحمه الله ينظر إلى الموتِ بعينِ الترقُّبِ واليقين. وكان دائماً يقول: **مرارةُ الدنيا لحلاوةِ الآخرة**. والحياةُ لا يعرفُ مقدارَها إلا الموتى، لأنَّ أمورَهم تُكشَفُ على الحقيقة التي لا لُبسَ فيها.

قال بعضهم، أشدُّكم حباً للدنيا، أشدُّكم جزَعاً على المصيبة.

ونحن لم يكنْ جزعُنا عَبرَ هذا المقياسِ لحبِّ الدنْيا بلْ لأنَّنا فقدنا منارةً علميةً وحُرِمْنا بل حُرِمَ لبنانُ كُلُّهُ من علمِهِ وبركته وصدقه.

وأذكر تلك العبارة التي قالها لي مرةً: مَنْ رضي بقضاء الله على الإطلاق كان أسرعَ الناس على الصراط.

وقد أجمع أحباء **شيخنا العارف** بالله وأقرباؤه وإخوانهُ وخِلانُــهُ، أن عــزاءَهم بتلك المصيبة الدهماء، هو مصابُ رسول الله ﷺ، لأنَّ مصابَهُ من أعظمِ المصائب.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: إذا أصابَ أحدَكُم مصيبةٌ فليذْكُرْ مُصابَهُ بــي، فإنها من أعظم المصائب(١).

وما ذلك إلا ليهِّونَ علينا مُصائبنا ومصابنا.

ونحن لا نمتلك أمامَ هذا المصابِ – يومها– سوى الصبرِ والتجلُّدِ على أَمَلِ أنْ نلتقي بهِ في رياض الجنة ببركةِ رسولنا محمد ﷺ وشفاعته.

ولقد أحسَنَ الشاعر أبو العتاهية حين قال:

إصْــبِرْ لكــلِ مصــيبةٍ وتَجَلَّــدِ ... واعْلَــمْ بــأنَّ المــرءَ غيــرُ مُخَلَّــدِ
أَوَ مَا تَــرَى أنَّ المصــائب جَمَّــةٌ ... وتَــرى المنيــةَ للعبــادِ بِمَرْصَــدِ
مَنْ لَمْ يُصَبْ ممَّنْ تــرى بمصــيبةٍ ... هــذا ســبيلٌ لســتُ عنــهُ بأوحــدِ
فــإذا ذكــرتَ محمــداً ومصــابَهُ ... فاجعــلْ مصــابَكَ بــالنبيِّ محمــدِ

غادرنا رحمَهُ الله تعالى من هذه الحياةِ الدنيا الفانية، التي هي ظلٌ زائل، وزهرٌ ذابل، إلى الدار الآخرة الباقيةِ التي اعدَّها المولى تعالى لعبادِهِ الأتقياء الصالحين.

وإنَّنا نتذكرُ عند هذا المصاب، ما قالَهُ أبو الفرج بن الجوزي في كتابهِ تَسْــلية أهلِ المصائب: علاجُ المصائب بسبعة أشياء:

١- أن يعلمَ بأنَّ الدينا دارُ ابتلاء، وكَرب.
٢- أن يعلمَ أن المصيبة تأتيه (أي لا بدَّ من وقوعِها وحدوثها).
٣- أن يُقدِّرَ وجودَ ما هو أكثرُ من تلك المصيبة.
٤- أن يُنْظر في حالِ مَنِ ابتُليَ بمثلِ هذا البلاء، فإنَّ التأسي راحةٌ عظيمة.
٥- النظرُ في حالِ من ابتُلي ببلاء أكثرَ من هذا البلاءِ فيهونَ عليه البلاء.

---

(١) رواه الحافظ أبو نعيم.

٦- رجاء الخُلْفُ – أي يرجو أن يخْلِفَهُ الله خيراً ممَّا فقدَ.

قلت: ولكن هيْهَاتَ هَيْهَات.

٧- طلبُ الأجرِ بالصبر وفضائله، وثوابِ الصابرين وسرورهم، فإن التَّرقِي إلى مَقَامِ الرضى هو الغاية.

وأخيراً: إن كان البلاءُ والموتُ يَعُمُّ الأخيارَ والأبرار، والكبارَ والصغار، فقد جاءَ الأجل، ووقعَ المُحَتَّمُ، وانتهى العمر، وطويت الصفحة المشرقة، ورحل **شيخنا العارف بالله** باختيار الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقلت متمثلاً:

يا راحلاً وجميلُ الصبر يتبعُهُ — هلْ مِنْ سبيلٍ إلى لُقْيَاكَ يَتَفِقُ

ما انصَفَتْكَ عُيوني وهي دَامِيَةٌ — ولا وَفَّى لكَ القلبُ وهو يحترقُ

وقد استرجعْنا الله تعالى في مصابِنا ومصيبتنا، إذْ مَنِ استرجَعَ في مصيبته واحتسبها عند الله تعالى كانتْ له ذخراً، ومنزلةً عالية قدراً، ومُقْتَفِياً هدْياً، ومُتبعاً أثراً، وأعلى الناس منزلةً وأعظمهم صبراً.

وقد قال الله تعالى: "وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" (فاطر: ١١).

"مرضه وتحمله الألم"

ووفاتُه، وغسلُه، وكفنُه، ودفنُه

ورد في الأثر عن سيدنا محمدﷺ سيد البشر أنه قال: "لا يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ أو المؤمنةِ في جسـده وولـده حتى يَلْقى الله عز وجل وما عليـه مـن خطيئـة"[١] والحكمة في ذلك كي يرفع اللهُ تعالى النفوسَ طـاهـرةً إليه، نقيةً لديـه، وهذه سُـنَّةُ الله تعالى في خلْقه وعباده، حتى الأنبياءُ يُعَرِّضُهم المولى للبلاءِ والإمتحانِ والاختبـار كي يكونوا قدوةً لغيرهم، وليرفعَ مقامهم في أعلى عليين وما أدراك ما عليّيون.

فقد مرض **شيخنا العارف بالله** مرضاً شديداً – كما سأذكر لك – حتى تعثـرّ عليه الكلامُ.

وكان يقول لنا معلماً: "لقدْ أَلَمَّ بي هذا المرض علّنَا تكلْمنا بكلمةٍ عاقبنا اللهُ بها في الدنيا". وكان يخبرنا أنه بهذا المرض ستكونُ وفاتُه.

إنْ تَمَعَّنْتَ في شوارقِ نفسه، وبحثتَ في سرِّ ذاته – خلال مرضه – رأيتهـا بلغتِ من الرُقيِّ المدى، وعَلَتْ في الرفعةِ ما يجدُ روعتَه غدا، فقد تحمّل في مرضـه الشدائد، حتى كان يرى البياضَ سوائد، فقد كان تَحمُّلُهُ غريباً عجيباً، إذْ تضاعفتْ عليه الآلام، وتثاقلتْ عليه الأوجاع، ومَنْ رآه حَكَمَ أنها لو وضعتْ على الجبالِ الشُّمِ لَخَرَّتْ أو على أمواجِ البحرِ لَقَرَّتْ، ولكن تلك النفسُ الصابرةُ المعلِّمةُ الأبيةُ الطيبةُ المؤمنـة استشرقتِ الحياةَ بنوعيةِ التسليم. والشعور الدائم بأن المتصرفَ الحكيم هـو الله، وأن البلاء وقوته وشدته على حَسَبِ دينِ صاحبه.

وما زال رحمَه اللهُ على هذه الحالةِ يَتحمّلُ أوجاعَهُ، وتزدادُ آلامُهُ، حتـى ذابَ تسليماً لله تعالى وقضاءه، وجعلَهُ تسليماً مطلقاً لا يشوبُه شكٌ ولا التباسٌ، وحَوّلَ بـذلك

---

(١) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدريﷺ.

مرارةَ المرضِ إلى عذوبَة، وأوجاعَه إلى سهولة، وصبر يَضْرُبُ به المثل، **"إنما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب"**.

وكنا نقولُ على مَسْمَعِه: إن هذا البلاء رفعُ درجات وعُلو مقامٍ عند الله تعالى، فيقول: الله يرحمنا الله يُرحمنا، ويكررها حتى تدمعُ عيناه. وهو منتصبَ الظهر، مُفَتَّحَ العينين، ينظرُ إلى نافذةِ الآخرةِ مودعاً لنا بنظراتِه الرائعة ويقول: إن المَنِيَّةَ قد دَنَــتْ، ولربي روحي أسلمتْ.

فما زال، **شيخنا العارف بالله** يكابدُ المرضَ ويصارعُه، رغْمَ كبر سنِّه، ويتأبطُ لجائجَ الأوجاعِ وأمواج الآلام، حتى زارَه طيفُ ملكَ الموت -وكانت المصيبةُ القاسية- فأخرجَ روحَه الطاهرة، عن عُمُرٍ ناهزَ أربعاً وثمانين سنة قَضّاها في الأعمال المشرِّفَةِ الصالحة، ونشرِ العلوم النافعة، والأخلاق الفاضلة.

فبكتْ عليه السماءُ من عليائها، الأرضِ ولبستِ ثوبَ أحزانِها، لأن العظامَ من الرجالِ تَعْظُمُ عند موتِهِمُ المصيبةُ والبلية، والأولياءُ الكبارُ تَكْبُرُ عند فقدهم الرَزِّيَة.

وكمْ تحركتْ نفوسُنا أسفاً وحزناً، مع ألمٍ تصاحبُه الحسرةُ، عندما فَقَدْنا الأنيسَ والحبيب، والصديقَ والعالمَ والرفيق والموجه، فقد شعرْنا بفراغ كبيرٍ وكبيرٍ جداً بفراقِه ووداعه، وأصبحَ العلماءُ أيتاماً، والطلابُ أحزاناً، والمريدونَ بكاءً ودمعاً وتَفَطُّراً.

ولما وقفتُ أمامَ هذا الجبلِ الأشَمِّ، والعَلَمِ العِلْمِ الأعَم، كي أشْرُفَ بغَسْلِه، رأيتُه هادئاً ساكناً نائماً مطمئناً، تحوطُهُ السكنيةُ من كل جانبٍ يحاكي بهذه الأوصافِ أسرارَ الكواتِم من الجُمَلِ، وكأنَّهُ قطعةُ من نورٍ صُبَّتْ من كبدِ السماءِ واقتُطعتْ من الشــمسِ والقمر طوعاً لا كرهاً.

أو كأنَّه طَوْدٌ عظيمٌ من جبلِ الثَلْجِ سُحبتْ وسُجِّيَتْ.

فقد غُطي برداء ظهرتْ أنوارُه الباهرةُ غير خافية، من فوقِه وجوانبه، وقفــتُ ونظرتُ برهةً متفكراً وبالله مستعيناً، سائلاً المولى أن يعيننا على تَحمُلِ غسلهِ وتعطيرهِ وتطييبه، كما يحب **شيخنا العارف بالله** ويرضى.

وكان يرافقني في غسله وكفنه وتعطيره:

١- الشيخ عمر بغدادي والذي قال: والله لقد رأيت والدي يحضر غسل الشيخ مختار العلايلي وهو يبتسم وعليه علامات الرضا.
٢- أخي وقرة العين مني فضيلة الشيخ هشام خليفة حفظه الله.
٣- أخي الحاج عبد الرحمن الحجار.

ومن غير إرادةٍ منا كانتِ الدموعُ الغزيرةُ الصادقةُ تنهمرُ على الخدود، حاكيةً مُجْمَلَ التأثيراتِ والتأوُّهَاتِ، ولكنها مقرونةٌ بأنفاسِ الحمدِ والشــكرِ لــربِ الســمواتِ والأرض.

وليتك ترى – معي – الجسَدَ النَّدي، والمَلْمَــسَ الطَّــرِي، والمرافــقَ اللينــة، والأعطافَ الهنية- التي كنتُ أقبلُها عند غسلها – والألسنةَ لم تَفْتُرْ والقلوبَ التــي لــم تغفُ – خلال غسله وتطييبه وتعطيره – وذلك عن تَذَكُّرِ شوارِقِه، والدعاء عند تَقَلُّبِــه، والقيامِ بشأنِه، فو الله ما حَرَكْنَاه يُمْنَةً إلا انقلبَ مطاوعاً وما أدَرْنَاهُ يَسْرةً إلا واســتدارَ معنا موافقاً، وما لَيَنّا أعطافَه ومرافقَه إلا وانْثَنَتْ رِقَةً وطراوة.

وتذكرنا عندها كلامَ سيدنا علي كَرَّم الله وجهه عند غَسْلِ رسول الله ﷺ قــال: والله ما تناولتُ منه ﷺ عضواً إلا كأنَّما يَقَلِّبُهُ معي ثلاثون رجلاً.

أما الرائحة العاطرةُ الزاكيةُ التي شَعرْنا بها، والشذايا الرائعة التي شممناها مدة غَسْله وكفْنه، لا توصف ولا تُستَوْصَف، وإن شئت فحدثْ عنها ولا حرج. ولو مَلَكْنَــا حفظَها ونُقَطَها وعصارتُها بقارورةٍ لفعلْنا، وأحْكَمْنَا عليها بأحسن صورةٍ ومعنى ولكن هيهاتَ هيهاتَ، إذِ المرادُ صعبٌ والمطلوب عسيرٌ، ولكنها ستبقى مرســومةٌ رائحتُهــا

وشذاها وعبَقها في النفوسِ والقلوب، نستشعرُ بها كلما ذكرناه في أسرارِ المشْمُومَاتِ بفضلِ ربِّ الأرض والسموات.

ولما تمّ غسلُه وتطييُه وتعطيرهُ، وتقبيلُ وجنتيه ويديه، كُفِّنَ بأثواب الطهارةِ والنقاوةِ، وحُمِلَ على أكتافِ الجَمِّ الغفير من العلماءِ والمريدين والطلاب، وغيرهم من عارفي قدره وعلمه، وسارت أمواجُ المودعين في جنازته، إلى مثواه الأخير.

وقد صلى عليه صاحب السماحة مفتي الجمهورية اللبنانية **الشهيد الشيخ حسن خالد رحمه الله تعالى** وبتوجيه منه دُفِنَ بجوارِ التابعي الجليل الإمام الأوزاعيﷺ.

وأوُدِعَ الرَمْثَ بعد صلاة العصر من يوم الأربعاء في الثامن والعشرين من شهر جمادي الثانية ١٤٠٤هـ الموافق ٢٨ آذار ١٩٨٤م.

وقبرُه معروفٌ يُزارو يُتَبَرَكُ به وبصلاحِه وعلمِه ومنزلتِه وجاهه.

وكُلَّما وقفْنا أمامَ قبرِه ورمْثِه، وتذكرنا يومه وأمسه، تعودُ إلينا تلك الذكرياتُ العابقات، فنلهجُ السنتنا بالدعوات المباركات.

اللهم اجمْعنا **وشيخَنا العارف بالله** والمحبين الصادقين، في مستقرِ رحمتك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

"تأبينٌ لم يُكْتَبْ لَهُ الظُهور"

بعد مرور عامٍ على رحيلِ ووفاة **شيخنا العارف بالله**، تغمَّدَه المـولى بوابـل رحمته، والجرحُ لم يُكْلَم، والنفوسُ المملوءَةُ أسىً لم تهدأْ، والأحزانُ لَمْ تمسحْ صـورتَها رياحُ الزمان، التقيْنا سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية، **الشهيد الشيخ حسن خالد رحمه الله تعالى ونوّر ضريحه**، وطرحْنا على سماحته فكرةَ إقامةِ حفل تأبينٍ، يدعى إليه كبارُ أهلِ العلم والصدارة والجاهِ والأهلِ والمريدين والأحباب، كي نتذكرَ من خلالـه فقيـدَ الأمةِ والعلم، ونُرَسِّخ ذكراهُ في القلوبِ والعقولِ والنفوس، لتزدادَ المحبةُ للعلم والعلماء.

فَتَمَّ الرأيُ حينَذاكَ – وبتوجيه من سماحته – لإقامـةِ هـذا الحفـل التـأبِينْي والمجلس المبارك.

إلا أنَّ الرياحَ أحياناً تجري بما لا تشتهي سفنُ المحبين، ومراكبُ المخلصـين، فقد تَسَعَّرتِ الحرب اللبنانية، يومَذاك واشتدَّ أوارُها، وعَتَتْ بالوطن قساوةً وضـرواة، وتَلَهَّبَ الجوُّ، وحَفَّتْهُ المخاطر، وانتشرتِ القذائفُ الحاقدةُ والصواريخ من كـل حَـدَبٍ وصَوْب، وحال ذلك كلُّه دونَ إقامةِ هذا الحفل التأبِيْني، فلم نستطعْ أن نؤديَ هذا الدورَ أبداً، بل طُويتْ عن الأذهانِ صفحاتُه، وغابتْ عن المكانِ كلماتُـه، وأُغْلِقـتْ أبوابـه وسُدَّتْ منافذُه، ولَقِيَ المفتي الشهيدُ ربَّه.

وقد كان أخي في الروحِ والقلبِ والوِرْدِ والطريق، **فضيلة الشيخ هشام خليفة** "أبو يحيى" حفظه المولى وصانَهُ ونفع به، قد صاحب **شيخنا العارف بالله** زمناً طويلاً واقْتَبسَ منه لُبَّ الفوائدِ والغرائد، إذْ كان لا يَمُرُّ يومٌ إلا ويُكَحِّلُ عينَيْهِ بمـرْوَدِ رؤيتـه الطيبة – كما تقدم – فقد أَعَدَّ وهيءَ كلمةَ بليغةً عن **شيخنا العارف بالله** تَحكي خُلاصةَ مشاعرِنا وتصُوِّرُ للملأِ محبتَنا. كي يلقيَها أمامَ الحضور وفاءً وتقديراً ومحبـةً للفقيـد الراحل، ولكنِ، الكلمةُ لم تُلْقَ، ولم تَطْرُقْ مسامعَ الناس، للأسباب والمعوقـاتِ التـي ذكرتُها آنفاً.

لذلك آثرتُ أن أضعها في هذهِ الترجمة إظهاراً لمحبتهِ، ودليلاً علـــى صـــدقه، ووفاءً لجهدِهِ وبذلِه وإخلاصِه ولتبقى عبر تاريخ الزمنِ شاهدةً على الحب والإخلاص.

وإليك نصَ الكلمة كما هي:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدِنا محمـــد خـــاتم الأنبيـــاء والمرسلين وعلى آله وأصحابه وأتباعهِ إلى يوم الدين.

حضرةَ صاحب السماحةِ مفتي الجمهورية اللبنانية

حضرة دولة رئيس مجلس الوزراء

حضرات أصحاب الفضيلة الأخوة العلماء

حضرات السادة معالي الوزراء والسادة النواب الكرام

أيها السادة الأفاضلُ والإخوة الأكارم... أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إننا إذ نشكرُ لكم إكرامَكم لنا بحضوركم هذا الحفل، نتمنى على حضراتكم أن تنظروا إلى العلْمِ وإلى أهلِ العلم دائماً كما تنظرونَ اليومَ إلى راحلنا الكبير، وفقيـــدنا الغالي، العلامة **العـــارفُ بالله تعالى فضيـــلة الشـــيخ أحمد مختـــار العلايلي رحمــه الله تعالى**، نظرةَ إعزازٍ وإكبارٍ وتقديرٍ لعلمائِنا ورجالِ دينِنا الذين قالَ عـــنهم ســـيدُنا رسول الله ﷺ "العلماءُ ورثةُ الأنبياء". فإن إحياءَنا لِذكرى مرورِ سنة على وفاةِ العـــالمِ الكبير والعلمِ المنير، هو إحياء للإرْثِ النبوي ولحَمَلَةِ الإرث النبوي، حيث أن فضـــيلة العلامة الفاضل الشيخ مختار العلايلي كان بحق وارثاً نبوياً اســـتمدَّ العلـــمَ والمعرفـــةَ والخلُق من ينابيعهم الأصلية ومن نبعِ النبوة المحمدية، فسُقيَ العذبَ الفراتَ الصـــافيَ النقي من العلوم والآداب، وأسقاها لإخوانه وتلامذته ليشكل معهم رافداً يُسقى القلوبَ،

ويروي الأرواح فينبتُ زرعاً مباركاً، أخرجَ شطأه فآزرهُ فاستغلظَ فاستوى على سوقه، يعجبُ الزراعَ.

أيها السادة:

قلةٌ هم الصادقون... وقلةٌ من الصادقين هم الأمناء... وقلةٌ من الأمناء هم الأوفياء... وقلةٌ من الأوفياء هم المخلصون.. وقلةٌ من المخلصين هم الناجون... والمخلصونَ على خطرٍ عظيم... وكلُ مَنْ عَرَفَ الشيخَ مختار العلايلي عرفَهَ صادقاً وأميناً ووفياً ومخلَصاً.

فالبعضُ عَرَفَهُ أميناً للفتوى، يعيشُ في أعماق الكتب والمراجع، ويغوصُ في بحار المفاهيم.. ليستخرجَ منها الحقائقَ والرقائقَ والدقائقَ فينقلها إلى المسلمين بأمانة، ويحملُها بإشفاق ويؤديها سالمةً كاملةً – يحل بها المشاكل، ويُرَوِّحُ بها عن هموم الناس، مُبَشْراً غير مُنَفِّرٍ، وميسراً غيرَ مُعَسَّر، يسيرُ بفتواهُ على قَدَمِ الحبيب محمدﷺ عندما قال: "بشروا ولا تنفروا... ويسروا ولا تعسروا".

والبعضُ عَرَفَهُ إماماً للمسجد العمري الكبير، يؤدي صلاتَه بخشوعٍ وتضرعٍ وسكينة، يقيمُها بصدق لأنه كان يعلمُ أن الصلاةَ أمانةٌ وأنها رأسُ الأمر وعامودُ الإسلام، وإذا حسنتْ صلاتُنا حسنتْ حياتُنا، وكثيراً ما كان يردد ويقول: إن من لمْ تنهه صلاتُه من الفحشاءِ والمنكرِ فلا صلاةَ له.

فكانتْ قُرَّةُ عين المصلين أن يقفوا خلفه في الصلاة، يأتمون به ويستمعون إلى ترتيله لآيات الكتابِ الكريم فتمتلىء قلوبُهم بالرحمةِ والخشوعِ بين يدي الله تعالى.

أيها السادة:

والبعضُ منا عَرَفَ الشيخَ مختار عالماً ورجلاً صالحاً وشيخاً جليلاً وزاهداً ورعاً، إذا رأيتَه رأيتَ رجلاً من السلفِ الصالحِ تَبَحَّرَ في بحور العلم والحقائق والتقى والحكمة والتصوف، فكان ممن يعتزُّ بهم اسلامُنا ويعتز بهم بلدُنا في القرن العشرين،

لأنه كان في قمة مراحل الرُقيِّ الإنساني، فكان في ذاتِه قمة، وهو متعلمٌ وعالم، وعلاَّمةٌ ومعلمٌ وعلمٌ.

فهو بحقٍ فخرُ لبنان وفخرُ المسلمين بذكائهِ ووعيهِ وعلمهِ، الذي تَلَقَّاهُ في أولِ مراحلِ عمره من الأزهرِ الشريف في مصر، حيثُ يتخرجُ كبارُ العلماء والمفكرين المسلمين.

فقد شعر الشيخُ مختار أن لديه طاقةً وقدرةً على العطاءِ، فجلسَ في أزهرِ مصرَ معلماً، بعدَ أن كان متعلماً، ومدرساً بعد أن كان طالباً، وهذا وحده كفيلُ بإظهار عظمةِ فكرِ راحلنا العظيم، فمن ذا الذي يجرؤُ على التصدرِ لحلقاتِ العلم والتدريس في الأزهر الشريف، أن لم يكنْ صاحبَ علمٍ ومعرفةٍ ودرايةٍ ومنطقٍ وحجةً مثلما كان الشيخُ مختار تماماً.

وهناك أيها الأخوة، مَنْ عَرَفَهُ رجلاً يعيشُ في أَدَقِ دوائر رضى المولى عز وجل "يختص برحمته من يشاء" فعرفناهُ ولياً من أولياءِ الله الكبارِ، ولياً عاشَ في محبةِ الله ولرضى الله، فأحبَهُ الله وأرضاه، فقد كان متخلقاً بأخلاق الأولياء تراهُ خائفاً دائماً لأنه في حالة حضورٍ ومراقبةٍ لربه عز وجل، يعفو عمنْ ظلمَهُ، ويغفرُ لمن أخطأ معه، ويحلمُ على من جهلِ عليه، ويَصِلُ مَنْ قطعه، لا يظنُ بأحدٍ من المسلمين سوءاً، ولا يرى لنفسهِ فضلاً على أحد، أرقى ما في أخلاقهِ أنه كان يخافُ من الله تعالَى خوفَ العارفين... ويخشاهُ خشية الورعين... ويرجوا رجاء المحبين.

هكذا عهدتُ وإخواني معلِّمَنَا ومرشدنا صاحبَ الفضلِ والفضيلةِ مولانا الشيخ العلايلي رحمه الله تعالى، ومع هذا فإنَّه أعظم ما في كونِه ولياً من أولياءِ الله هو ما كان يخفيه وراء تواضعه الكبير، وانكسارِ نفسه، من قلبِ كبيرٍ مليءٍ بحقيقةِ العطاء، وجوهرِ المثاليات التي تفيضُ بالرحمةِ الواسعةَ، لتشملَ كلَ مَنْ حولَه.

فقد كان يشاركُ الجميعَ مشاكلهم ومعاناتهم الحياتية، يفرحُ حيث تُدفَع عنهم النِّقمُ... ويزدادُ فرحاً عندما تزدادُ عليهم النِّعم.

فقد قال لي يوماً وفي أشدِّ مراحلِ الاقتتال في لبنان قال: **لا تخافوا فإني لا أنامُ وخاصةً عندما يشتدُ الأمرُ إلا بعد أن استحضرَ كل أخٍ منكم وبيته وأهلـــه... وأنـــتم محفوظون بأذن الله تعالى.**

وبفضل الله تعالى وثقة ويقينا بإلهامات الشيخ مختار فقــدْ برهنــت الأيــامُ... فشملنا اللهُ بحفظهِ وحمايتهِ وجميعَ إخواننا وأهلهم إلى أن يشاء الله عز وجل.

أيها الأخوة... أيها السادة،

إن مكوثَ الشيخ مختار وملازمته لمنزله طيلة السنواتِ الأخيرةِ من حياتِه، لم يحجبْهُ ذلك يوماً عن معايشةِ معاناةِ الناس، والمعاناة الأكبر عندنا وما زالتْ هي هَــمُّ الوطنِ ومصيرِ الوطن... فكان يتابعُها يوماً بيوم، وينظرُ إلى وجهنا ويرى مدى الحزن والكآبة التي تغمرهُ خوفاً على المصير وقلقاً على المستقبلِ، وإذا به يوماً كعادته وبثقته ويقينه المعهودين يقول لنا: اطمئنوا فإن الله عزّ وجل لن يُضَيِّعَ مسلمي هذا البلد، وكلُ مَنْ أرادهَم بسوءٍ فلنْ يَحْصُدَ إلا الندم، فنحنُ تحت أنظار رحمة الله تعالى.

أيها السادة:

هناك محطةٌ أخرى لا بدَّ من أنْ أذكرَها لنرى كيفَ أنّ أمثالَ الشــيخ مختــار رحمه الله من الزهادِ والصالحين والأولياء، ليسوا متخاذلين أو متواكلين بل يحملــون قلوباً تفيضُ بروحِ الجهادِ والثورةِ، فقد كنا عندَه يوماً في منطقةِ رويسات صوفر وذلك أثناءَ الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وإذ بمجموعة من قواتِ العدو الإسرائيلي تمــرُّ مــن أمامِ البيت، وكان ضيفاً في منــزل المرحوم، الشهيــد الشيخ أحمد عســاف رحمــه الله، فاحْمَرَّ وجهُ الشيخ مختار غضباً وقال: كم أتمنى أن أقومَ وألقيَ بنفسي على هؤلاء اليهود فأقتلَ منهم من أستطيعُ ثم بعد ذلك ما أجمل الشهادةَ في سبيل الله.

في آخرِ أيامه رحمه الله تعالى أجمعَ كلُ من رآهُ واجتمعَ به... إنه كان يتغيرُ، كان يَرْقَىَ بنفسهِ وروحهِ وأصبحَ يلقي الحكمةَ وبلاغةَ التعبير، وينطقُ عن مكاشفةٍ وتبصرٍ بحقائقِ الأمور، صار يَرى ما لا نرى، ويعرفُ ما لا نَعْرف ويحُسُّ بما لا نَحُسُّ به، وكأنها كانت إرهاصات ومقدماتٌ يظهرُها **الولي العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ مختار العلايلي** ليؤكد لنا أن الإنسان يستطيع أن يرتفع بمجاهداته وصفاته حتى يصلَ إلى أعلى مقاماتِ المقربين بين يدي الله ربِ العالمين، وفي حالٍ من المراقبة والمشاهدةِ، فتفيضُ عليه الحقائقُ من آياتِ الرضى والتسليم والتفويض والتوكل، تؤهلُه لدخولِ مقامِ الصِّدِّيقيَّةِ أعلى مقاماتِ الأولياءِ، ودرجة تلي مقام النبوة، يقول الله تعالى "أولئكِ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً".

فرحمك الله يا شيخنا رحمة واسعة، وأفاضَ علينا من سعةِ هذه الرحمة، ونفعنا بك وبجميعِ الأولياء والصالحين في الحياة وبعد الممات، فالله عز وجل يقول في حديث قدسي "عبدي هل أحببتَ لي ولياً فأهبُك له اليوم".

فالحمد لله أنْ حَبَّبنا بأولياءه وعَرّفَنَا عليهم وجَعَلَنا في دائرةِ محبتهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قلت: فجزى الله تعالى أخي فضيلة **الشيخ هشام خليفة** على هذه الكلمة الطيبة التي كتبها بحروف الإخلاص، وسطرها بالأنامل الصادقة، والله يحفظنا بحفظه ويجعلنا من أحبابه وأوليائه آمين.

مَنْ كَتَبَ عَنْهُ ومَا كُتِبَ

بكتِ الأرضُ والسماءُ على وفاة **شيخنا العارف بالله**، وأُحْدِثت في الإسلامِ ثُلْمَةٌ لا يسُدُّها شيء مهما أختلفَ الليل والنهار، فقد قُبضَ العلمُ بقبضة.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ: إن الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعاً من العبـاد ولكـن يَقْبضُ العلمَ بقبضِ العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً، اتخذَ الناسُ رؤساءَ جهـالاً فسُـئلوا فأفتوا بغيرِ علمٍ فضلوا وأضلّوا[1].

فقد حملتْ نبأ وفاته وسائلُ الإعلام، المسموعةِ والمرئيةِ، والمكتوبة، وتبـارت الأقلامُ لتُدَبِّجَ الكلماتِ، وتصوير الكتاباتِ، واختيار المواضيع والعبارات، إذْ كلُ مَـنْ كتبَ يريدُ أن يعتزَ بالانتساب، إما إلى رؤيته، أو معاصرته، أو مشافهته، ويُظْهِرَ أنـه تكاملتْ أوصافه بمعرفته.

فتسابقتِ الأقلامُ تسابقَ الجيادِ السابقات، وسطرتْ أناملُ المخلصـين أمـواجَ السطورِ لتُبَرْهِنَ عن رفيع المحبةِ وكمالِ الوفاء، وعُرِضتِ المقالاتُ والمواضيعُ فـي صدورِ صفحاتِ الجرائد، فأظهرتْ فيه الطيبَ من العناصر، وأثنـتْ عليـه جلائـلُ الخواطر، مبينةً فضائلهُ وبدائعَ ضائعه.

وإني أذكر ما استطعتُ الوصولَ إليه من مقالاتٍ ومواضيع، وصورٍ يوم وفاته رحمه الله تعالى.

فمن العلماء الأفاضل الذين خَطَّتْ أناملُهم مَدْحَهُ وسَعَةَ فضلِهِ وعلمه.

أولاً: سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية المفتي الشهيد حسن خالد رحمه الله تعـالى.

تحت عنوان: "العلامة الشيخ مختار العلايلي"

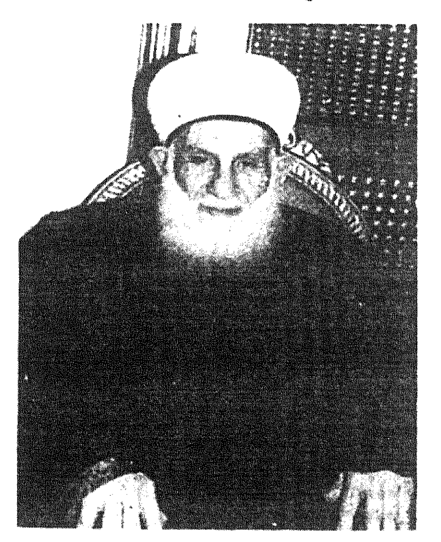
نشرتهُ جريدةُ اللواء يوم الخميس ٢٩ آذار ١٩٨٤م.

---

(١) رواه البخاري: عن عبد الله بن عمر بن العاص، المتوفي سنة ٦٣ هجرية بالطائف.

العلامة الشيخ مختار العلايلي

بقلم سماحة مفتي الجمهورية



فقد المسلمون في لبنان امس علما من ابرز اعلامهم وعالما عاملا من اجل علمائهم هو التقي النقي العارف بالله سماحة العلامة الشيخ احمد مختار العلايلي الذي وافته المنية صباح امس عن عمر ناهز الخامسة والثمانين .

وقد خص سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد « اللواء » بكلمات معبرة يرثي فيها الراحل الكبير ، يقول سماحة المفتي :

فقدنا بموته عالما متخصصا في الفقه الشافعي ورجلا زاهدا ومتعبدا من المستوى النادر في هذه الحقبة من الزمن التي نرى الناس فيها قد شغلتهم أموالهم واولادهم عن الله وعن محاسبة النفس فاندفعوا وراء مصالحهم واهوائهم ضاربين عرض الحائط بمصالح الاخرين .

وقد كان رحمه الله من العاملين الذين لا يدخرون وسعا في نشر العلم وتثقيف الناشئة وتربيتهم على حب الله وحب رسله وحب الطلب للعلم وبذل الطاقة في كسب المعرفة والبحث عن الحقيقة .

كان رحمه الله رجل الخلق ورجل العطاء والصفاء ورجل الاحسان ، وقد ربى اجيالا وترك اثارا تعبر عن فضله وعن مكانته العلمية والاجتماعية .

واني ليسعدني ان اقول انني احد الذين اكتسبوا منه وتعلموا على يديه ، فرحمه الله واسكنه فسيح جنانه وجزاه كل الخير ، جزاء ما قدم لأمته ولوطنه .

ثانياً: كتب الدكتور يحيى الكعكي حفظه الله تعالى دراسةً مستفيضةً تلخصُ سِنيَّ أعمارِ وأعمالِ **شيخنا العارف بالله** رحمه الله تعالى تحت عنوان:

"بيروت تودعُ شافعيَّ القرن العشرين الشيخ مختار العلايلي".

نشرته جريدةُ اللواء يوم الجمعة ٣٠ آذار ١٩٨٤م.

بيروت تودع «شافعي القرن العشرين» الشيخ مختار العلايلي العالم الزاهد ، المتصوف

خص الاستاذ يحيى احمد الكعكي ، « اللواء الاسلامي » بالموجز التالي عن مراحل حياة فقيد بيروت العالم الجليل المرحوم الشيخ مختار العلايلي .

فقدت بيروت في يوم الاربعاء ٢٨ جمادى الثانية ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٨ آذار ١٩٨٤ ، « شافعي القرن العشرين » العالم الجليل ؛ الزاهد المتعبد التقي الورع ، صاحب « الرأي » الفقيه الشيخ مختار العلايلي رحمه الله .



□ المغفور له العلامة مختار العلايلي □

□ الشيخ مختار ، العالم

ولد المرحوم في بيروت ، في عام ١٨٩٩ (ويقال في عام ١٨٨٩) ، والده عثمان ، والدته نفيسة كبي(١) . نشأ وتربى على التقوى والورع في بيت أصيل وعائلة تتصف بالطيبة والزهد ومكارم الاخلاق .

خرج الى الازهر في مصر ونال شهادة العالمية (نسبة الى العالم) وعاد الى بيروت فعين بناء على كتاب رقم ٨١٢ مؤرخ في ٥ ذو القعدة ١٣٥٥ الموافق في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٧ صادر عن سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد توفيق خالد وموجه الى رئيس مجلس الوزراء انذاك خيرالدين الاحدب ، الذي كان وزيرا للعدلية ايضا(٢) ، عين في منصب كاتب في دائرة فتوى بيروت براتب شهري قدره تسعة وثلاثون ليرة لبنانية سورية وذلك بدلا من الشيخ ابراهيم المجذوب المتوفي ، حسب ما يشير المرسوم رقم (٤ع ـ ٦٣) الصادر بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٧ .

هذا وقد استمر المرحوم الشيخ مختار في منصبه هذا ، حتى اصبح امين فتوى بيروت في اوائل الاربعينات براتب قدره ٨٥ ليرة لبنانية(٤) ، ولكن مع احتفاظه بمنصبه الاصيل ككاتب ممتاز في دائرة فتوى بيروت بموجب المرسوم رقم ٥٤٦٨ تاريخ ٢٣ آذار ١٩٤٦(٥) .

وبقي الشيخ مختار رحمه الله في منصبه هذا حتى احيل الى التقاعد ، ثم عين بموجب المرسوم رقم ١٣٣٠٥ تاريخ ٨ تموز ١٩٦٣ امينا للفتوى في بيروت خلفا للمرحوم الشيخ محمد العربي العزوزي المتوفي ، وقد تبلغ المرحوم هذا المرسوم بعد حوالى خمسة ايام (١٣ تموز ١٩٦٣) من قبل فضيلة الشيخ محمود علايا ، ابن سماحة مفتي الجمهورية السابق الشيخ محمد علايا كما افادني فضيلة الشيخ محمود بذلك(٦) .

الى جانب تقلده منصب رئيس مجلس اوقاف بيروت الاداري حتى اوائل الثمانينات(٧)

هذا وقد استمر المرحوم في هذا المنصب الى جانب تقلده منصب رئيس مجلس اوقاف بيروت الاداري حتى اوائل الثمانينات(٧) حتى اختاره الله الى جانبه اول من امس ، فودعته بيروت الوفية ، وعلى راسها سماحة مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد الى مثواه الاخير على دوي القصف المجنون الذي تعرضت له بيروت اول من امس والذي لم تعرف له مثيلا منذ عام ١٩٧٦ . حيث صلي على جثمانه الطاهر في مسجد الامام الاوزاعي(٨) حيث ووري جدث الرحمة في جوار مقام الامام الاوزاعي .

والجدير ذكره ، ان المرحوم الشيخ مختار ، العالم ، كان فقيه الشافعية(٩) في بيروت ولبنان بل وفي العالمين العربي والاسلامي . ويعتبر لدرايته ومعرفته بالحكم والدليل « شافعي القرن العشرين » . وتفقهه في الشافعية لا يعني انه لم يكن فقيها في الحنفية(١٠) ، المذهب الرسمي لمسلمي لبنان ، فهو في الفقه الحنفي لم يكن يجارى .

□ من مآثره

من مآثره الجليلة في دائرة عائلته ، انه اخذ بيد اخيه فضيلة الشيخ العالم عبدالله العلايلي الى مصر وادخله الازهر بعد ان وعد والدته السيدة نفيسة رحمها الله انه سيساهم ، بعون الله تعالى في ان يدفعه الى طريق العلم في رحاب الازهر الشريف . وبالفعل سافر مع اخيه عبدالله الى القاهرة وبقي يرعاه حتى نال الشيخ عبدالله شهادة العالمية فعاد الى بيروت ليتبحر في علم اللغة وليصبح من ثم ـ اطال الله عمره ـ علما من اعلام « علم النحو والصرف »

اللغة العربية في لبنان والعالمين العربي والاسلامي ، ولذلك واعترافا بالجميل فقد استمر الشيخ عبدالله ينادي الشيخ مختار رحمه الله « بابا الشيخ مختار » .

ومآثره العلمية ، لم تقتصر على عائلته فقط ، بل تعدتها الى كثير من شباب بيروت العلماء ، وهو بسبب ذلك ضغط على سماحة مفتي الجمهورية

Vu la lettre du Mufti de la République Libanaise en date du 20 janvier 1937 N° 812
Sur la proposition du Président du Conseil Ministre de la Justice

Décrète

Art. 1 - Le Cheik Moukhtar effendi el Alayli est nommé Secrétaire au service du Fetwa de Beyrouth au traitement mensuel de trente neuf livres libano-syriennes en remplacement de feu Cheik Ibrahim el Majzoub décédé.

وبناء على كتاب سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية المؤرخ في ٢٠ ك٢ ٩٣٧ رقم ٨١٢
وبناءً على اقتراح رئيس مجلس الوزراء وزير العدلية
يرسم ما يأتي
تعين الشيخ مختار افندي العلايلي كاتباً في دائرة فتوى بيروت براتب شهري مقداره تسعة وثلاثون ليرة لبنانية سورية وذلك بدلاً من الشيخ ابراهيم المجذوب المتوفي

□ وثيقة رقم ٣ □

خلاصة عن المرسوم رقم ٢٠٢٨ الصادر في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٢

المادة الاولى • يعين في الفئات والدرجات المبينة ادناه الموظفون الاتية اسماؤهم

الشيخ محمد توفيق خالد	مفتي الجمهورية اللبنانية	درجة وحيدة	٢٦٠
الشيخ محمد عربي العزوزي	امين فتوى بيروت	درجة اولى	٨٥
السيد مختار خالد	كاتب فتوى بيروت	درجة اولى	٥٠
السيد مختار العلايلي	كاتب فتوى بيروت	درجة اولى	٥٠
الشيخ محمد حمورا	مدرس في بيروت	درجة اولى	٢٥

□ وثيقة رقم ٦ □

خلاصة من المرسوم رقم ٥٤٦٨ المؤرخ في ٢٢ آذار ٩٤٦•

المادة الاولى •- صنف كل من السيدين مختار خالد ومختار العلايلي الكاتبين في دائرة فتوى بيروت على سهول الشمية - برتبة وراتب كاتب ممتاز من الدرجة الثالثة •

المادة الثالثة •- ان هذا المرسوم الذي تسري احكامه اعتبارا من اول كانون الثاني ٩٤٦ ينشر ويبلغ حيث تدعو الحاجة •/•

□ وثيقة رقم ٧ □

مرسوم رقم ١٣٣٠٥

ان رئيس الجمهورية اللبنانية
بناء على الدستور اللبناني
بناء على المرسوم الاشتراعي رقم ١٨ تاريخ ١٣/١/١٩٥٥
بناء على انهاء سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية بكتابه عدد ٩٥ ٦/٥٦/ص تاريخ ١٧ نيسان ١٩٦٣
بناء على قرار اللجنة الدائمة للمجلس الشرعي الاسلامي الاعلى المؤرخ في ٢٩ ايار ١٩٦٣
بناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء

يرسم ما يأتي :

المادة الاولى •- عين الشيخ مختار العلايلي امينا للفتوى في بيروت خلفا للمرحوم الشيخ محمد العربي العزوزي (مركز شاغر)•

المادة الثانية •- ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة •/•

المذوق في ٨ تموز ١٩٦٣
الامضاء : فؤاد شهاب

صدر عن رئيس الجمهورية
رئيس مجلس الوزراء
الامضاء : رشيد كرامي

وزير المالية
الامضاء : رشيد كرامي

رئيس مجلس الوزراء
الامضاء : رشيد كرامي

صورة طبق الاصل
الامضاء :

□ وثيقة رقم ٨ □

الاسبق الشيخ محمد توفيق خالد بسبب اقتراحه ارسال كل من العلماء « محمد جمعة الداعوق ، واحمد العجوز ومحمد العجوز ومحمد الفيومي » الى رحاب الازهر الشريف لتلقي العلم فيه ، وبالفعل توجه العلماء الاربعة الى مصر ونالوا شهادة العالمية وعادوا الى بيروت ليصبحوا من ثم من اعلامها الاجلاء .

هذا ، وقد تلقى شيخ القراء في لبنان فضيلة الشيخ حسن دمشقية ، بعض علومه من الفقيد الشيخ مختار العلايلي .

وفي الواقع ، فقد كان الشيخ مختار رحمه الله ، محطة لجميع علماء واولياء لبنان وسوريا وفلسطين والاردن ومصر ، كانوا يؤمنون منزله ويمكثون اشهرا عنده يتلقون العلم والفقه .

كان يتذاكر علوم الفقه مع الشيخين « محمد جمعه الداعوق واحمد العجوز » بعد صلاة الفجر من كل يوم احد ، وكان يدرس على تلامذته ومريده بعد صلاة الفجر من كل يوم ، وتلامذته كانوا من شباب بيروت والجوار ، ومن علماء بيروت والجوار . وكان يوجههم نحو عمل الخير ، وتوحيد الصف الاسلامي لما فيه خير عام المسلمين في لبنان .

روى لي احد مريديه ، انه كان يعنف كل من يغتاب اي فرد مسلم ، وكان يغلق اذنيه او يغادر اي مجلس اذا لم يستطع ان يعنف المغتاب بالقول .

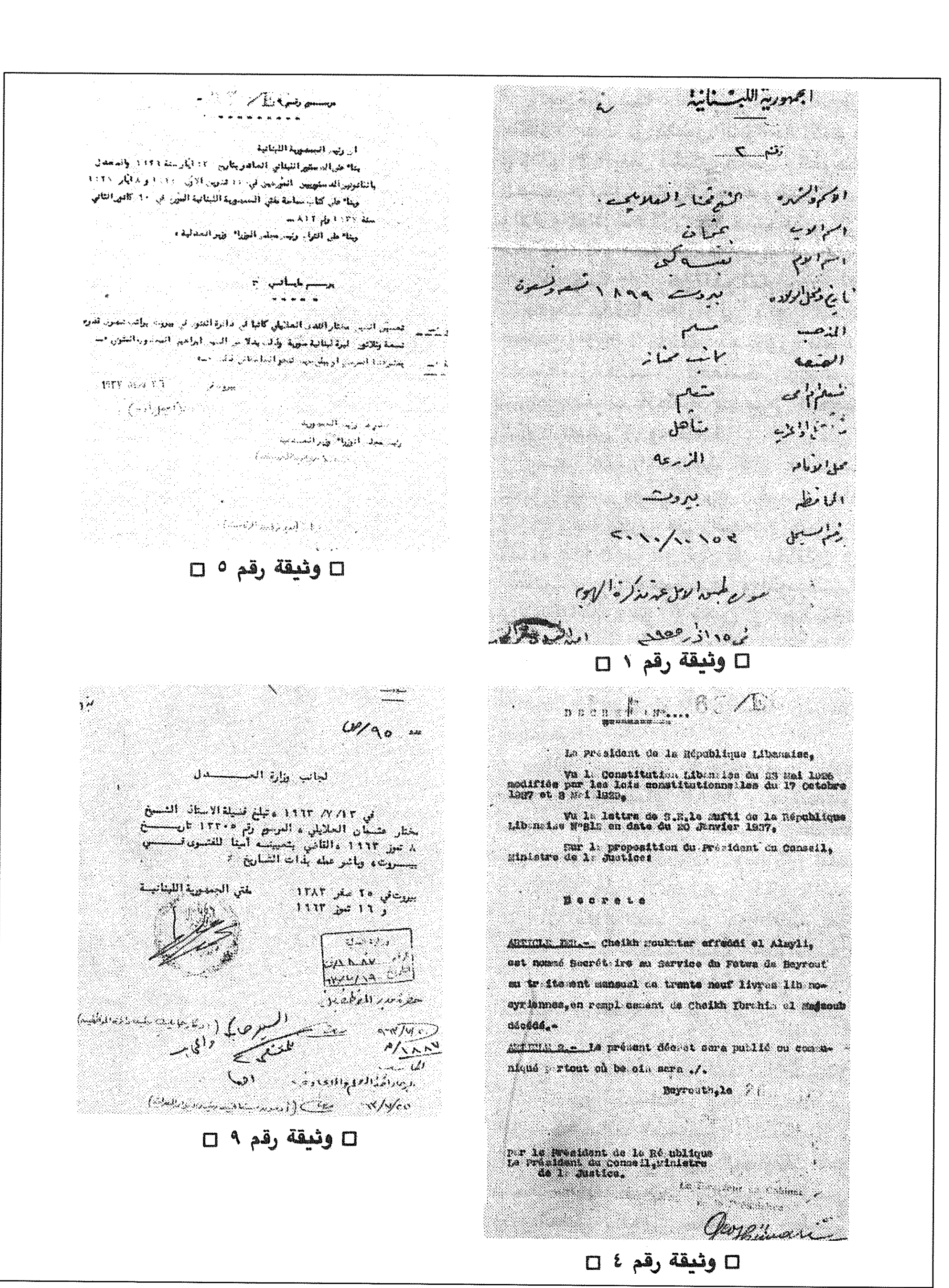
كما روى لي احد تلامذته ، ان الرئيس سامي الصلح رحمه الله ، كان اذا دخل عليه في منزله الشيخ مختار برفقة الشيخ السيد العربي العزوزي رحمهما الله ، كان الصلح يترك مجلسه في الحال ويدخل الى غرفة نومه بعد ان يتوضأ ، ليصلي مع الشيخ مختار .

□ آخر كلماته

هذا ، ولقد كانت آخر كلماته التي وجهها وهو على فراش الموت الى ابنه السيد محمد امين العلايلي – رئيس ديوان في مصلحة الانعاش الاجتماعي – « اني ذاهب الى الآخرة لابني لكم كما بنيت لكم في الدنيا » .

كما قال لابنته جمانة « لا تجزعوا اني ذاهب الى الله تعالى » .

وبيروت اليوم ، اذ تفقد امين الفتوى فيها ، تودع في الوقت ذاته شجرة باسقة اصلها راسخ في ارض الايمان ، ومن الصعب ان يعوضنا الله بخسارتها الا اذا عاهدت بيروت روح هذا الشيخ الجليل على عدم ترك اصالتها الاسلامية



الجمهورية اللبنانية

رقم ...

الاسم والشهرة	الشيخ مختار العلايلي
اسم الاب	عثمان
اسم الام	نفيسة
تاريخ ومحل الولادة	بيروت ١٨٩٩
المذهب	مسلم
الصنعة	كاتب محكمة
	متعلم
	متأهل
محل الاقامة	المزرعة
المحافظة	بيروت
رقم السجل	

☐ وثيقة رقم ١ ☐

مرسوم رقم ...

ان رئيس الجمهورية اللبنانية

بناء على الدستور اللبناني الصادر بتاريخ ٢٣ أيار سنة ١٩٢٦ والمعدل بالقانونين الدستوريين المؤرخين في ١٧ تشرين الأول ١٩٢٧ و ٨ أيار ١٩٢٩

وبناء على كتاب سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية المؤرخ في ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ رقم ٨١٢

وبناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء وزير العدلية

يرسم ما يأتي

تعيين الشيخ مختار افندي العلايلي كاتبا في دائرة الفتوى في بيروت براتب شهري قدره تسعة وثلاثون ليرة لبنانية سورية وذلك بدلا من الشيخ ابراهيم المجذوب المتوفى ...

بيروت في ٢٦ ... ١٩٣٧

☐ وثيقة رقم ٥ ☐

DECRET N° ...

Le Président de la République Libanaise,

Vu la Constitution Libanaise du 23 Mai 1926 modifiée par les lois constitutionnelles du 17 Octobre 1927 et 8 Mai 1929,

Vu la lettre de S.E. le Mufti de la République Libanaise N° 812 en date du 20 Janvier 1937,

Sur la proposition du Président du Conseil, Ministre de la Justice;

Décrète

ARTICLE 1er.- Cheikh Moukhtar effendi el Alayli, est nommé Secrétaire au Service du Fatwa de Beyrouth au traitement mensuel de trente neuf livres libano-syriennes, en remplacement de Cheikh Ibrahim el Majzoub décédé.-

ARTICLE 2.- Le présent décret sera publié ou communiqué partout où besoin sera ./.

Beyrouth, le 2...

Par le Président de la République
Le Président du Conseil, Ministre de la Justice.

☐ وثيقة رقم ٤ ☐

عدد ٩٥/ص

لجانب وزارة العــــدل

في ١٣/٧/١٩٦٣ تبلغ فضيلة الاستاذ الشيخ مختار عثمان العلايلي ، المرسوم رقم ١٣٢٠٥ تاريخ ٨ تموز ١٩٦٣ ، القاضي بتعيينه أمينا للفتوى في بيروت ، وباشر عمله بذات التاريخ .

بيروت في ٢٥ صفر ١٣٨٣
و ١٦ تموز ١٩٦٣

مفتي الجمهورية اللبنانية

☐ وثيقة رقم ٩ ☐



مفتي الجمهورية وذوو الفقيد يتقبلون التعازي (ويبدو الشيخ صلاح الدين فخري)

دراسة بقلم : يحيى احمد الكعكي

« السمحة المترفعة عن الانانية والغرور » وعلى التمسك باهداف المجتمع الاسلامي « مجتمع الرعاية والتعاون » مجتمع السعادة الذي اشار اليه القرآن الكريم بضمانة الايمان والتوحيد بالله ، والعمل الصالح في اطار مكارم الاخلاق ـ وفي ذلك يقول الله تعالى في محكم كتابه الكريم « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني ولا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون »(١١) .

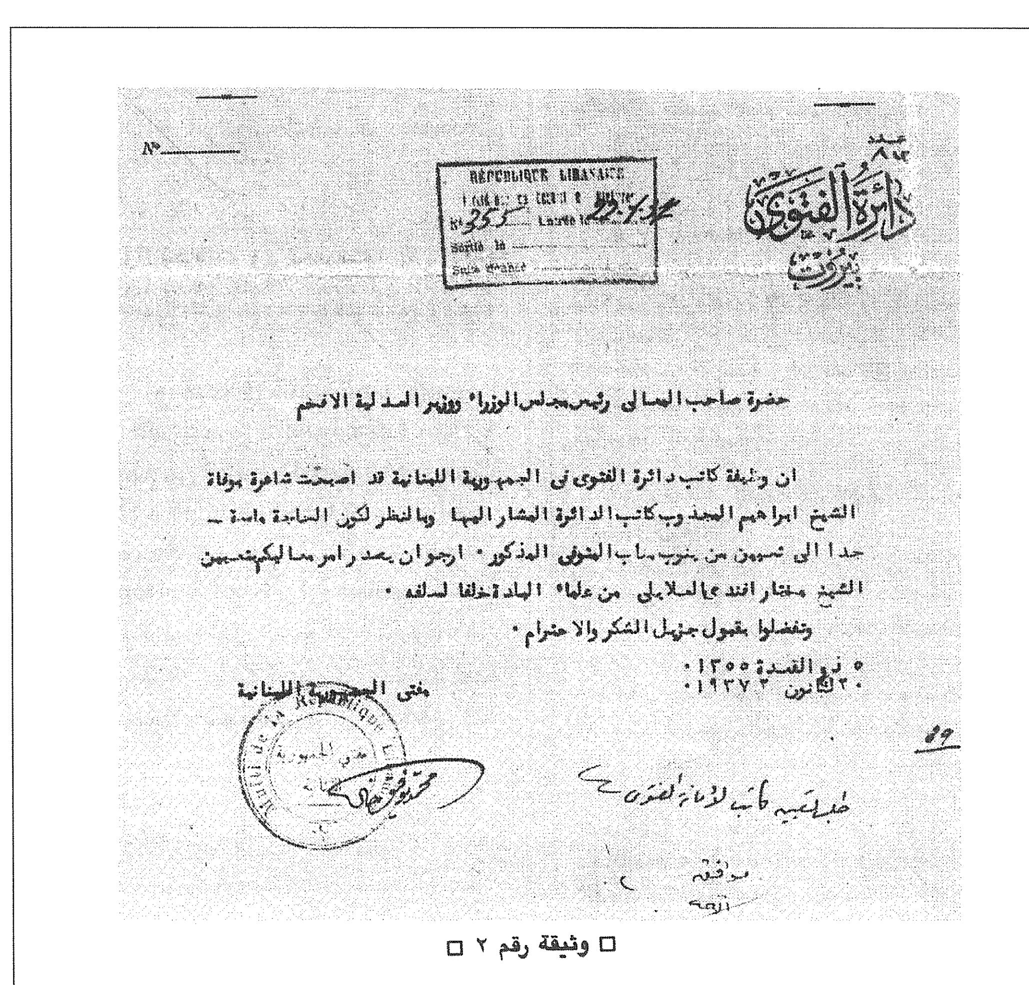
وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم لاهله »(١٢) .

وفي الحديث ايضا « ان الاعمال داخلة في الايمان » .

وهذا ما يبين تفاضل الافراد في الايمان وانهم ليسوا شيئا واحدا في الايمان (١٣) ، ومن هنا القيمة العلمية للمرحوم الشيخ مختار العلايلي الزاهد المتعبد المتصوف .

لقد حث رحمة الله على رسم صورة للفرد المسلم ، بحفاظه على الذاتية الاجتماعية للشخصية الاسلامية ـ اذا جاز في التعبير ـ وفيها تاخذ القدوة

حرمتها ومسؤوليتها في الاسلام ، ويتقرر جزاؤها مضاعفا ، من ثواب او عقاب ، بما يحمل الذي في مركز القدوة ، من تبعة من يقتدون به ، ويبدأ كتاب الاسلام بتقرير هذا المبدأ في اعلى مراكز القيادة ، الرسول صلى الله عليه وسلم(١٤) . « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب »(١٥) ثم يتدرج إلى اولي الامر من المسلمين في مركز القدوة ، يحملون امانة السهر على مصالح الامة ، ولهم عليها حق الطاعة والنصيحة ، ضبطا لنظام الجماعة وحماية لوحدتها « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وإن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تاويلا »(١٦) ثم تتسع القدوة لكل من هو في موضع المثل والمسؤولية والولاية كما نص الحديث الشريف « كلكم راع ومسؤول عن رعيته فالامام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته ، والمراة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته ، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته »(١٧) .



دائرة الفتوى
بيروت

RÉPUBLIQUE LIBANAISE

N° 353

حضرة صاحب المعالي رئيس مجلس الوزراء ووزير العدلية الافخم

ان وظيفة كاتب دائرة الفتوى في الجمهورية اللبنانية قد اصبحت شاغرة بوفاة الشيخ ابراهيم المجذوب كاتب الدائرة المشار اليها وبالنظر لكون الحاجة ماسة جدا الى تعيين من ينوب مناب المتوفى المذكور. ارجو ان يصدر امركم بتعيين الشيخ مختار افندي العلايلي من علماء البلدة خلفا لسلفه.

وتفضلوا بقبول جزيل الشكر والاحترام.

٥ ذو القعدة ١٣٥٥.
٢٠ كانون ٢ ١٩٣٧.

مفتي الجمهورية اللبنانية

☐ وثيقة رقم ٢ ☐

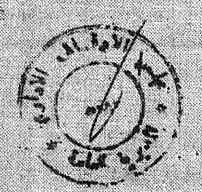
محضر الجلسه السادسه

بناء للدعوة الموجهه من امين الفتوى فضيلة الشيخ مختار العلايلي رئيس المجلس الادارى المؤرخه في ١٩/ ٢/ ١٩٨٠

اجتمع المجلس الادارى لاوقاف بيروت وذلك في الساعه السادسه من مساء يوم الخميس الواقع في ٥ ربيع الثاني ١٤٠٠ هـ الموافق ٢١ شباط ١٩٨٠ في مركز المديرية العامة للاوقاف الاسلامية بحضور نائب رئيس المجلس الاستاذ يوسف عالم والاساتذة : محمد الحصرى ، الحاج عبد القادر منقارة ، مجدى العربي المزوزى ، الشيخ بهيج خنكرلي ، خالد قباني ، سليم كريدية ، والمدير العام للاوقاف الاسلامية الاستاذ محمود حطب

وتغيب عن الحضور فضيلة الدكتور الشيخ رشيد قباني بسبب السفر والاستاذ حسن العثماني .

وبعد اكتمال النصاب القانوني تم التصديق على محضر الجلسه السابقه المعقودة بتاريخ ٢٤/ ١/ ١٩٨٠ واتخذت المقررات التالية :



□ وثيقة رقم ١٠ □

بسم الله الرحمن الرحيم

المديرية العامة للأوقاف الإسلامية
في الجمهورية اللبنانية
بيروت

جانب

رقم الصادر [/]

بيروت في ٩ رمضان ١٤٠٠ هـ.
و ٢١ تموز ١٩٨٠ م.

الموضوع :
المرجع :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

تقرر عقد جلسه لمجلس اوقاف بيروت الاداري وذلك في الساعه الثانية عشرة والنصف من ظهر يوم الخميس الواقع في ٢٤/ ٧/ ١٩٨٠ وذلك في مقر المديرية العامة.

نرجو حضوركم في الموعد المحدد وعدم التخلف نظرا للاهمية علما انـه بالاضافة الى جدول الاعمال المرسل لكم فان الموضوع الأهم الذى سيناقش هو موضوع مشروع جامع الحمراء.

مع الاحترام.

الرئيس ـ امين الفتوى

الشيخ مختار العلايلي

□ وثيقة رقم ١١ □

وفي الحقيقة إن الأمر ليس في ترديد هذه القيم والمبادىء والشمائل قولاً بغير فعل[١٨] ، او في ان نسمعها ونلقنها غافلين عن مغزاها ، إنما يجب « ان تكون سجية المؤمن توجه سلوكه في نفسه ونحو خالقه والمجتمع الانساني تلقائيا لرسوخها في عقيدته وشخصيته، فبقدر ما تتجلى في الشخصية الاسلامية قيم العقيدة الاسلامية او تتجافاها ، يأخذ كل فرد منا صفوة القدوة[١٩] .

وبهذه الصفة ، بسجية المؤمن الأصيل في عقيدته وشخصيته ارتقى المرحوم الشيخ مختار العلايلي إلى صفوة القدوة لمريديه وتلامذته .

الهوامش :

---

١ ــ انظر وثيقة رقم ــ ١ ــ .

٢ ــ انظر الوثيقة رقم ــ ٢ ــ .

٣ ــ انظر الوثائق رقم ــ ٣ و٤ و٥ « النص الفرنسي للمرسوم رقم ٤٢ ــ٦٣ وترجمته إلى العربية ، والجدير بالذكر هنا ان المراسيم كانت تصدر باللغة الفرنسية اللغة الرسمية في دولة لبنان الكبير ، والتي عدلت بموجب المشروع الدستوري الذي صدق عليه مجلس النواب بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩٤٣ ، فاصبحت اللغة العربية هي الرسمية للجمهورية اللبنانية » .

٤ ــ انظر وثيقة رقم ٦٢ .

٥ ــ انظر وثيقة رقم ٧ .

٦ ــ انظر وثيقة رقم ٨ و٩ .

٧ ــ انظر وثيقة رقم ١٠ و١١ .

٨ ــ يعتبر الامام الاوزاعي ــ ابن بيروت ــ صاحب المدرسة الفقهية الجهادية ، هذا وقد انتشر مذهبه في الأندلس حتى عصر الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢ ــ ١٨٠ هـ ، ٧٨٩ ــ ٧٩٦ م) ومن مآثر الامام الاوزاعي انه حمى موارنة الجبل حينما افتى للخليفة العباسي قائلا له « لا تزر وازرة وزر اخرى » بعدم اخذ كل الموارنة بخطأ احدهم ، فاستمروا حسب هذه الفتوى في جبل لبنان .

٩ ـ نسبة إلى الامام الشافعي « ابو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع » « ١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ » احد الأئمة الأربعة « ابو حنيفة » « الشافعي » « ابن حنبل » و« مالك بن انس » وهو عربي قرشي النسب ولد في غزة وحمل إلى مكة وعمره سنتان وزار بغداد مرتين وقصد مصر وكان اشعر الناس واعرفهم بالفقه والقراءات توفي في الفسطاط بمصر ٢٠٤ هـ ودفن في مقبرة « ابن عبد الحكم » بسفح جبل المقطم ، وقد اسس صلاح الدين الايوبي مدرسة على قبر الامام ، كما بنى الكامل الأيوبي قبة على هذا القبر . انظر : السبكي : طبقات الشافعية جـ ١ ص ٢٨٤ ، ياقوت الحموي معجم الادباء جـ ٦ ٣٦٧ ـ ٣٩٨ ـ ابن تغري بردي النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ١٠٦ ـ احمد امين ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٢١٨ ـ الزركلي : الاعلام جـ ٦ ص ٢٤٩ ـ عصام شبارو : القضاء والقضاة في الاسلام ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

هذا ويعتبر المذهب الشافعي ، مذهب اهل الحديث والراي ، لأنه جمع بين طريقة اهل الحديث في المدينة واهل الراي والقياس في العراق وقد دون ذلك في كتاب « الأم » وقد ساد مذهبه في مصر .

١٠ ـ نسبة إلى الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي « ٨٠ ـ ١٥٠ هـ » ولد بالكوفة في ٨٠ هـ ونشا بها يبيع الخز ويطلب العلم ثم انقطع للتدريس والافتاء ، توفي في بغداد سنة ١٥٠ هـ . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٣٩ والزركلي : الاعلام ص ٩ ص ٤ . ويعتبر القياس (اي الحاق امر ليس فيه نص بامر له نص صريح لاتحاد العلة في المقيس والمقيس عليه عملا بالآية الكريمة « لتحكم بين الناس بما اراك الله » سورة النساء ٥ ١٠ اساس التشريع في فقه ابي حنيفة وقد روي انه قال ستين الف مسالة ، وقال بعضهم ٣٨٠ الف مسالة ، ولذلك فقد اطلق على فقهه فقه اهل الراي وقد ساد مذهبه في العراق ، ثم اصبح المذهب الرسمي في عهد الدولة العثمانية ، كما هو الآن المذهب الرسمي في معظم الدول العربية .

١١ ـ القرآن الكريم : سورة النور آية ٥٥ .

١٢ ـ انظر الاذكار للنووي ص ٢٥٢ .

١٣ ـ روى مسلم في صحيحه « من سن في الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل اجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه وزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيء » . راجع صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ . ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

١٤ ـ عائشة عبد الرحمن : الشخصية الاسلامية ص ٣١٣ .

١٥ ـ القرآن الكريم : سورة الحشر آية ٧ .

١٦ ـ القرآن الكريم : سورة النساء آية ٥٩ .

١٧ ـ راجع البخاري بشرح الكرماني جـ ١١ . ص ١٠٠ ـ رقم ٢٣٨٩ ، باب العبد راع في مال سيده .

١٨ ـ يحيى احمد الكعكي : معالم النظام الاجتماعي في الاسلام . ص ٢٣٦ .

١٩ ـ عائشة عبد الرحمن : الشخصية الاسلامية . ص ٢٢٩ .

ثالثاً: كتب سماحة مفتي جبل لبنان الصديق الصدوق، والمحبُ المجاهد والوالد المربي الدكتور الشيخ محمد علي الجوزو حفظه الله تعالى تحت عنوان: "رجل التقوى الشيخ أحمد مختار العلايلي".
نشرته جريدةُ اللواء يوم الجمعة ٣٠ آذار ١٩٨٤م.

رجل التقوى
الشيخ أحمد مختار العلايلي

بقلم سماحة مفتي جبل لبنان
الشيخ محمد علي الجوزو

نودع اليوم عالما جليلا، ورجلا من رجال التقوى والصلاح والورع والزهد ..

كان فقيه الشافعية في لبنان، وكان مرجعا من مراجع الفقه الاسلامي. يقصده الطلاب والشيوخ من كل حدب وصوب للاخذ عنه، والتفقه على يديه .. فلم يكن يمنع عطاءه عن اي انسان، ولم يبخل على مجتهد قط ..

عرفته مذ كنت طالبا من طلاب العلم الشريف، اذهب اليه في مكتبه الكائن في جوار المسجد العمري الكبير، اجلس الى جانبه وآخذ عنه بعض ما استعصى على فهمه من مسائل الفقه الشافعي، فهو استاذنا في هذا المذهب، وهو علامتنا الذي بفتواه وتقواه في انسان كما اجتمعت في فقيدنا الشيخ احمد مختار العلايلي ..

احببت طلعته البهية المشرقة بالنور، وكنت اتطلع الى وجهه المشرق الباسم، ولحيته البيضاء المضيئة بلألآ التقوى، فأرى فيه رجلا من رجال السلف الصالح، الذين يندر وجودهم في حياتنا اليوم.

هو العالم المتعبد والشيخ البيروتي الطيب الصالح والانسان المتواضع، القريب الى قلوب الناس، يحبهم ويحبونه، يالفهم ويالفونه، يعيش مع اصحاب الحاجات في مشاكلهم وقضاياهم، ويعمل بصمت دون ضجة ولا ضوضاء، ويقوم بخدمة الكثيرين دون ان تعرف يسراه ما صنعت يمناه، فهو جندي مجهول في عالم يضج بالاعمال الدنيوية الظاهرة، وحب الشهرة والدعاية والذكر.

ما ذكر اسمه في مكان الا وسمعت الثناء والشكر، واحسست بهالة الوقار والاحترام تطوف حول هذا الاسم، لانه ترك في كل قلب يعرفه مكانة كبرى لا ينالها الا ذو مرتبة عالية بين الصالحين والاتقياء ..

ان انس لا انسى عندما كنت شيخا مبتدئا لا أعرف كيف أهيء عمامتي فاذهب اليه في مكتبه او في بيته، ليجلس بكل محبة وتواضع، ويضع الطربوش بين يديه، وياخذ في ترتيب العمامة طبقة فوق طبقة وهو يروي للجالسين معه طرفا عن حياة الصالحين، والابتسامة تضيء وجهه كله، فكان يشعرنا بابوته، فقها ورعاية وتوجيها وممارسة عملية .. فقد كان في منصب كبير يلي منصب مفتي الجمهورية مباشرة، وكان رغم ذلك بسيطا مع العلماء والناس ببساطة اي موظف عادي، لم تغره المناصب ولم تفتنه الالقاب، ولم تغيره الدنيا ومشاغلها ..

كنا ندعو وما زلنا ان يرزقنا الله فقهه وصلاحه وتقواه، وان يختم لنا بخاتمة الايمان، وان يجمعنا به يوم القيامة مع الصالحين المتواضعين المساكين، وان يجزيه عن المسلمين خير الجزاء لما قدم في حياته من خدمات لامته ودينه.

رابعاً: كتب المربي والمرشد العالم، شقيق الروح **لشيخنا العارف بالله** الشيخ أحمد العجوز تحت عنوان:

"الشيخ مختار.... العالم الكامل، والفقيه الفاضل" نشرته جريدة اللواء يوم الجمعة ٦ نيسان ١٩٨٤م.

الشيخ مختار.. العالِم الكامل والفقيه الفاضل



□ يحيط به الشيخ هشام خليفة والشيخ محمود سعد □



□ قبل وفاته بايام يعتمر قبعة شيخه العارف بالله محمد امين البغدادي □

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكبير المتعال ، المنزه عن الشبيه والمثال ، الدائم الباقي ، فلا يعتريه زوال ، وصلى الله على النبي المصطفى والآل. وبعد فاقول :

اخ همام في سبيل الخير والصلاح ، وصديق مقدام في عبور صراط الفلاح ، هو الشيخ احمد مختار العلايلي الذي ازدان بمعاني السمو الرفيع ، وصفاء الباطن البديع . فكان الخلق الكريم رائده والعمل الصالح قائده ، اتصف بجلائل الأوصاف ، ومحاسن الألطاف ، فكشفت مكامن نفسه علانيته ، وحاكت جوهر روحه شفافيته ، يبدي ما في فؤاده ، ويظهر صدق مراده .

طلب العلم الشرعي بشغف ولهفة ، مقبلا عليه بقوة عزيمة والتزام دائب ، وجد متواصل ، يرجو من الله توفيقه وتاييده بصدق نية ، وصفاء طوية ، يصل في ذلك سواد ليله ببياض نهاره ، وهو بين اخوانه حسن المعاشرة ، متواضع النفس يبالغ في خدمته ومعونته ، ويبادل في مؤانسته ومحادثته عاش في رحاب العلم والعبادة متوجها باخلاصه العميق الى رب العالمين ، منزويا عن الدنيا ، ومتعها الغرارة ، يتوخى الخطوة برضى رب الأرباب ، واسعاده في مجال الحياة والفوز بخيري الدنيا والاخرة .

ابتدأ طلب العلم سنة ١٣٤٠ هجرية الموافق ١٩٢٠ ميلادية وقد توشح بوشاح الطمأنينة ، وركن الى الزمرة الصالحة ، يرتشف معهم من مناهل القرآن الكريم ، وتفسيره ، والحديث ومصطلحه والفقه وأصوله ، والتوحيد والمنطق ، والعلوم العربية من نحو وصرف ، وبيان ، ومعان وبديع ، وما الى ذلك يتواضع في مجالسته ، ويبالغ في مؤانسته ، ويمعن في رعاية اخوانه ، وخدمة رفاقه ، بوجه طلق ، وثغر باسم ، وكلمة لينة ، ويبادل المعوزين من غرباء الطلب بالبذل والعطاء ، والرحمة والاحسان ، من وراء ستار لم تبدر منه بادرة تافف وتضجر ، ولا ظاهرة ملل وسأمة فكان عنوان الكمال ، ومظهر الوقار والسكينة .

كان الخلق الكريم خليقه ، والأدب المستقيم اليفه ، وطاعة الله ديدنة ، وصحبة الاخيار شيمته .

يتردد على العارف بالله شيخنا الوقور الواصل الشيخ محمد امين البغدادي رضي الله عنه في جامع بيبرس بالقاهرة الذي اكتسبنا منه الأدب الروحي ، والصفاء النفسي صحبة اخوان كرام . تضافروا حوله ، واقتبسوا من اشعاعه ، فكانت اوقات صفاء ونقاء ، وسوانح اشعاع وضياء ، في غمرة العبادة ومتعة الطاعة لله رب العالمين ، فكانت أفاقا ممتعة وفرصا سعيدة سانحة .

وما زال الشيخ احمد مختار بين العلم والطلب ، والجد لنيل الآرب حتى سنة ١٣٤٥ هجرية و١٩٢٥ ميلادية ، حيث طلبنا معا الخوض في امتحان الشهادة العالمية ، وكان مجلس الأزهر قد عين



□ بقية السلف الصالح □

للقسم النظامي مواضع الامتحان المحددة في اثني عشر علما في العلوم الشرعية ، والعقلية ، والعربية ، وكان من شروط هذا القسم النظامي ان يمضي في طلبه خمسة عشر عاما .

ولصعوبة مواقع هذا الامتحان رفضوه بالاجماع . فحولها مجلس الازهر الينا – ونحن في قسم الغرباء ، فقبلنا بها ، وجدينا في الاستعداد .

وكنا نراجع سويا كل يوم عقب صلاة الصبح عند القبلة القديمة في الأزهر . وفي ذات صبيحة قلت للشيخ احمد مختار : هلم الى جامع سيدنا الحسين لنصلي هناك ونراجع ، وبعد صلاة الصبح اشرت عليه بالجلوس في موضع خاص في المسجد . وما ان استقر لنا الجلوس حتى تذكرت رؤيا منامية رأيتها في هذه الليلة ان النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا ان نجلس في هذا المكان بالذات ، فاستبشرنا بها كثيرا بالنجاح ونحن فرحون مبتهجون . وعلى الله متوكلون .

فكان الامتحان طالع فوز مظفر . وبشير نجاح باهر اذ بعد مضي شهر من النجاح اعلن مجلس الأزهر قائمة الناجحين بدرجاتهم ، فتبين لنا اننا حزنا قصبة السبق العليا بنيل الدرجتين الأوليين ، الأولى والثانية والحمد لله رب العالمين ، وكل ذلك بتوفيق الله تعالى .

لقد كان ذلك الاندماج الأخوي السليم ، والوفاق العلمي القويم قد بلغا في تساميهما الذروة ، وسنام الوداد الكامل والتلاحم النفسي المتواصل . والشعور الحساس العميق ، والترابط القلبي الوثيق . وظل الاجتماع منوطا بالتواعد ، نائيا عن التباعد ، لشدة المحبة والوفاء ، لان سر الربط المنيف وحدة النسب الشريف ، فكل منا حسني

وقد بقي الاتصال والاجتماع بعد العودة الى الربوع على الوجه الاتم نعقد الندوات العلمية في منزله كل اسبوع حول القرآن العزيز والحديث الشريف ، والحكم البارعة ، والفتاوى المتنوعة ، فكان منزله موئل العلماء ، ومجمع الصلحاء الذين يفدون اليه من كل أوب ويقصدونه من كل صوب .

وقد مرت بنا بعض السوانح الظاهرة ، والأمور العجيبة النادرة فكنا منذ اثنتي عشرة سنة في سهرة في بيت اخينا الشيخ نمر الخطيب بجانب بيت الشيخ ومعنا الشيخ محمد بلنكو مفتي حلب ، وبعد انتهاء السهرة خرجنا من البيت الكائن في الطابق السابع ، ودخلنا المصعد . وانتظرنا مفتي حلب لننزل معا ولكنه أطال الحديث ، فاطبقنا باب المصعد . ونزلنا .

وعند فتح الباب وقف امامنا رجل اسمر اللون ، وسيم الطلعة ، على رأسه قبعة صغيرة . فقال : يا شيخ احمد لماذا نزلتم هكذا ؟ فقلت له : لا بأس وخرجنا من جانبه الأيمن .

فقال الشيخ احمد مختار : من أين علم اننا نزلنا هكذا ؟ فلا شك انه صالح فلنسأله عن اسمه ، وبادر اليه مسرعا ، ولكنه اطبق باب المصعد وصعد ، فوقفنا ننظر ترقيم الصعود . واذا به يصل الى الطابق السابع عند الجماعة ،

المالكي الشهير ناصر الدين اللقاني في فتواه على العرف ، وخرجها عليه . وهو من اهل الترجح ، فيعتبر تخريجه ، وان نوزع فيه . وقد انتشرت فتياه المشارق والمغارب ، وتلقاها علماء عصره بالقبول وعنه اذا مات صاحب الخلو يوفى عنه به ديونه .

فتعجب الشيخ محمد سعدي ياسين من دقة فهمه ، وقوة ذهنه وكثرة اطلاعه .

وهذا يدل بصراحة على ان نفسه الرضية مرنت كثيرا على مواقع الأحكام ، وتحديد اماكنها لكثرة الاطلاع . فكان بحرا في العلم ، ومرجعا قويا في ما ذكره الائمة الاعلام ، وثقة قويمة في نقله .

يتلقى الوافدين اليه بوجه مشرق ، وترحيب لائق . وعليه سيما الوقار ولا سيما في أيامه الأخيرة وقد بلغ من السجز مبلغ الانهيار الصحي ، والانحطاط البدني . ولا يتوانى عن عمل الشاي واحضاره بنفسه لاكرام الضيوف ومؤانسة الزائرين

فكان العالم الكامل ، والفقيه الفاضل .

واذا جرى بينه حديث الايات المتشابهات شدد كثيرا في الوقوف عندها بواجب التسليم الى الله من غير تاويل ، محذرا من الخوض فيها — تاليا قوله تعالى :

(واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تأويله الا الله) .

فالالفاظ الواردة في القرآن في الايات المتشابهة من النفس والعين واليد والوجه وغير ذلك لا يعلمها الا الله سبحانه وتعالى . فيجب الايمان بها وتسليم العلم بحقيقتها الى الله .

فاذا كان الوجه في المخلوقات المتنوعة يختلف باختلاف الاجناس ، ويتباين بتباين الأنواع . فوجه الغزال غير وجه الأسد . ووجه الانسان غير وجه الكبش . وهي معلومة ، فكيف يعرف ذلك في من لا يعرفه فاذا أوله فقد حدد بتاويله (ليس كمثله شيء) وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك .

فالشيخ احمد مختار كان يشدد على ذلك في لحظاته الأخيرة تاليا الاية الكريمة بتقطع لفظي ، وثقل لساني . اذ لم يكن يسهل عليه النطق ، ولا يستبين منه الكلام بوضوح تام .



□ في منزله قبل سنوات خلال مناسبة عائلية وبدا عن يمينه الشيخ شفيق يموت والشيخ حسن تميم وعن يساره شقيقه العلامة عبد الله ونجله محمد امين □



□ اثناء استقباله السيد عدنان الحكيم والشيخ نمر الخطيب وبدا نجل الشيخ محمد امين □

بقلم: الشيخ أحمد العجوز

خامساً: كتب الشيخ محمد الغزال – قرةً عين **شيخنا العارف بالله** تحت عنوان:

"المرحوم العلايلي: الفقيه والمرشد".

نشرته جريدة اللواء بتاريخ ٦ نيسان ١٩٨٤م.

المرحوم العلايلي: الفقيه والمرشد

بقلم: الشيخ محمّد الغزال

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ مختار عثمان العلايلي البيروتي مولداً – الشافعي مذهباً، الازهري تعليماً النقشبندي طريقة. عرفته منذ ثمانية وخمسين عاماً يوم ذهبت بصحبته الى المرحوم سماحة الشيخ توفيق خالد المتولي على وقف العلماء والذي اصبح فيما بعد مفتي الجمهورية اللبنانية سابقاً. حيث اقنعه المرحوم ان اكون في عداد طلبة العلم الشريف في بعثة الازهر الشريف، كما كان هو مع اخوانه الذين سبقونا ودرسوا في الازهر الشريف عن طريق جمعية وقف العلماء في بيروت. والذي اصبح يسمى الآن (بازهر لبنان) يشرف عليه سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد.

من ذلك التاريخ شملني المرحوم بعطفه وحنانه واصبح الاب الروحي والاخ الصادق الامين، والمشرف على تعليمي وتاديبي ومصالحي الى ان تخرجت عام ١٩٣١ ورجعت الى بيروت وبقيت وفياً له.

كان رحمه الله تعالى الموجه لي والمشرف علي في جميع حياتي التعليمية. وكنت لا انفك عن زيارته بعد صلاة صبح كل يوم نتزاكر في العلم الى ان توفاه الله تعالى.

كان رحمه الله تعالى قد تخرج من الازهر الشريف على اكابر العلماء يوم ذاك ونال الشهادة الازهرية العليا. وبقي يرعى شقيقه العلامة الشيخ عبد الله. واخوانه الذين كان السبب في مجيئهم لطلب العلم.

في هذه الفترة كان رحمه الله يقوم بتعليم طلبة العلم الشريف الذين يؤمون الازهر من جميع البلاد الاسلامية والعربية تفسيراً وحديثاً وفقهاً وعلوم اللغة العربية ... وقد اصبحوا اليوم من اكابر العلماء في بلادهم.

كان رحمه الله فقيهاً شافعياً متعمقاً في فقهه وابحاثه العلمية يحضر عليه في حلقات الدرس ما يربو على المائتي طالب ينتهلون من علمه وادبه، فضلا عن ذلك فقد كان خلقه القرآن. فيعين الضعيف ويزور المريض، ويصلح بين المتخاصمين، ويرضى الخير لكل انسان وهو يومئذ لا يزال في الازهر الشريف.

وبعد ان حضر الى بيروت قام بدوره الكبير في التدريس في المسجد والبيت. وانتفع بعلمه العديد من طلبة العلم الذين اصبحوا فيما بعد من علماء بيروت ولبنان، والكل يشهد له، ويقر ما له عليهم من اياد بيضاء اثناء تلمذتهم عليه. وصدره الرحب في الاجابة عن اسئلتهم.

لا غرو فقد كان رحمه الله محجة اهالي بيروت من علماء ومتعلمين وعامة. فقد فتح باب منزله على مصراعيه لكل من يحتاج الى فتوى دينية، او مشورة دينية. او تفسير اية او حديث ... الخ ...

كان رحمه الله يأتيه قاصدوه من محبيه، بعد صلاة الفجر من كل يوم الى ما بعد طلوع الشمس بكثير. وهم يستمعون الى مواعظه وارشاداته. ويرشفون من علمه ويقتبسون من روحانيته الطيبة.

تولى منصب امانة الفتوى في الجمهورية اللبنانية ايام المرحوم سماحة الشيخ محمد علايا مفتي الجمهورية اللبنانية رحمه الله تعالى. وكانت تاتيه الفتاوى من كل جهة. فينكب على الاجابة عليها بعد بحث وتدقيق وتفهم لواقع الحال حتى تاتي فتواه صالحة لكل زمان ومكان، على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه، ويتبعها باقوال المذاهب الاخرى. واقوال العلماء الابرار.

كان رحمه الله تعالى نقشبندياً من مريدي شيخنا الولي العارف بالله تعالى المرحوم الشيخ محمد امين البغدادي تغمده الله تعالى، من اكابر العلماء ظاهراً وباطناً، كما كان اخوانه الذين درسوا في الازهر الشريف اكثرهم من مريدي الشيخ رحمه الله تعالى. وقد اكتسبوا عنه العلم والخلق، والادب الاسلامي، عملياً بسلوكه، وتوجيهاته وارشاداته. فلا غرو ان يبث المرحوم هذه الروح الطيبة التي اكتسبها عن شيخه، ومشايخه في تلاميذه ومريديه رحمه الله رحمة واسعة.

وختاماً. فقد كان انساناً كاملا، وعالما عاملا، وروحانياً متخلقا باخلاقه رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، ومتأسياً بكرمه وتسامحه وتواضعه، موقراً للكبير. راحماً للصغير عطوفاً ودوداً يحب الجميع ويحبونه.

تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنانه، والهم اخوانه في الله وآله واصحابه الصبر والسلوان آمين.

سادساً: كتب سماحة الشيخ شفيق يموت، رئيس المحاكم الشرعية السنية رحمه الله، تحت عنوان: "العلاّمة العلايلي كما عرفتهُ".

وقد نشرت مقالته في عدة صحف بتاريخ يوم الجمعة ٣٠ آذار ١٩٨٤م.

العلاّمة العلايلي كما عرفته

بقلم سماحة الشيخ شفيق يموت

شيعت بيروت هذا الاسبوع علما من اعلامها وعالما من علمائها ونموذجا مثاليا فذا للفضيلة والخلق والعلم والدين. انه العلامة المرحوم الشيخ احمد مختار العلايلي امين الفتوى في الجمهورية اللبنانية. نعرفه ويعرفه المواطنون عفيف اللسان طاهر القلب مترفعا في سماحة عن الصغائر بعيدا كل البعد عن الشبهات. ونعرفه ويعرفه المواطنون داعية من دعاة الخير يصلح بين المتخاصمين ويسعى لعون المحتاجين. ويغار لنصرة المظلومين. ويفتح قلبه بالمحبة للجميع فلا هو يعرف الحقد ولا الحقد يعرفه لانه كان طاهر النفس نقي الصدر لا يحمل في نفسه غلا او غشا او ضغينة لاحد من المسلمين. وكان بيته مفتوحا للجميع لا يغلق بابه دون من يقصده لعون او يتوجه الى مجلسه لمعرفة او يقصد ساحته ليتفقه في دينه عن ثقة واطمئنان.

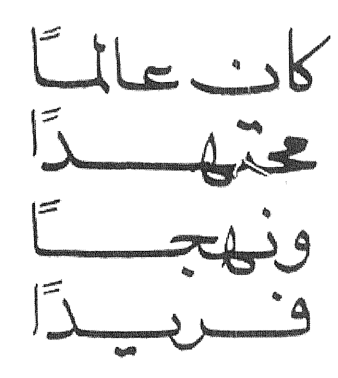
كان الشيخ احمد مختار العلايلي رحمه الله يتحرى الحق وينشد الحقيقة ولا يفتي الا بعد ان يتكشف له الحكم ويبين الصواب. ولهذا كانت فتاواه الكثيرة مرجعا للعلماء ولعامة المسلمين ذلك الى ان الشيخ رحمه الله عاش حياته الطويلة المباركة اسوة حسنة وقدوة طيبة فيما يفعل وفيما يقول وليس يجد الباحث في كتاب حياته الواسع كلمة نابية او حركة ناقصة او تصرفا غير سليم مما يفرض على تلامذه الكثيرين من الطلاب والعلماء وعشاق العلم ان يسيروا على نهجه السليم وان يتاسوا به في قوله وعمله اذ انه هو نفسه كان جاعلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوته ومثاله. ولقد كان من اجل ذلك يصبر على البلاء ويشكر على النعماء راضيا بمواقع القضاء فما ابطرته نعمة ولا اضعفته ضائقة ولا خرجت به عن سمته العظيم ونهجه السليم عاصفة او ملمة.

لقد كان رحمه الله منارة انسانية تستمد زيتها من شجرة مباركة هي شجرة الاسلام بادابه واحكامه وقوانينه وتشريعاته ونظمه . ولقد استظل بفيئه الكثيرون واستضاء بنوره جم غفير من طلاب المعرفة واسست يده كثيرا من الجراح واعانت كثيرا على غوائل الدهر وشوائبه . كنت تجلس اليه رحمه الله فتحس الرضي وتشعر بالراحة والطمانينة وتلمس كيف يكون العلو فوق حطام الحياة والسمو على متاعها الفاني وكان رحمه الله طيب المعشر لطيف المجالسة زاهدا متقشفا جم التواضع شديد الحياء ناسكا متهجدا ولذلك كان ظاهر الخشوع سريع العبرة غزير الدمعة حين يقف في محراب الله للعبادة والصلاة . ومن هنا كانت الخسارة في فقده جسيمة يعرف جسامتها وضخامتها كل من يعرف الشيخ وقيمه واخلاق نفسه وكل من يدرك فقر الحياة الحاضرة في المعاني الاصيلة التي تبني الحياة وتعلو بها . واذا كنا قد فقدنا الشيخ العلايلي جسما متحركا وعقلا متالقا ولسانا بالحق ناطقا فاننا لم نفقد ولن نفقد ما خلفه لنا وتركه فينا من آداب وفضائل ومثل ومن علم رفيع المستوى وفقه بعيد المدى ورأي سديد محكم في كثير من قضايا الدين والحياة .

ليكن الشيخ احمد مختار العلايلي مثالا يهتدي به شبابنا ويتمسك به علماؤنا وينتفع به مجتمعنا حتى يوفي بذلك حقه علينا وحقنا على انفسنا لأن تراث العلماء الفضلاء المخلصين كنز غال ثمين لا يفرط فيه عامل ولا ينحيه عن حياته من ينشد العيش الكريم والأدب القويم والنهج الصالح . رحم الله فقيدنا الجليل وافسح له رحاب جنته وعوض الأمة والعلم عن فقده اكرم العوض وجمعنا به تحت لوائه يوم الدين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والهمنا وآله وعارفي مكانه وفضله الصبر والسلوة وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ثامناً: كتب السيد المحامي محمد أمين مختار العلايلي نجل شيخنا العارف بالله تحت عنوان "كان عالماً مجتهداً ونهجاً فريداً".

نشرته جريدة اللواء يوم الجمعة ٦ نيسان ١٩٨٤م، والصورة التي تصدرت المقالة أُخِذتْ قبل وفاته بثلاثة أشهر وهو يلبس عمامتي بناء لطلبه عند تصويره لإمكانية أداء شعيرة العمرة رحمه الله.





□ .. قبل حوالى ٣ اشهر □

بقلم: محمّد أمين العلايلي

بالامس البعيد هتف هاتف في السماء لاهل الارض يقول : ان الله قد احب عبده فلانا الا فاحبوه . فأحبه الناس من كل صوب وحدب ولم يعرفه انسان او يره الا واحبه ، اذا نظرت اليه تطمئن نفسك وينشرح صدرك ، وهو بصمته وإطراقته الى الارض يجذبك اليه جذبا .

هو شاب من بيروت نشأ في طاعة الله من عائلة اشتهرت بالعلم والعمل الصالح .

هو من الرجال القلائل الذين فهموا الاسلام فهما صحيحا صافيا لا تعقيد فيه ولا تضييق .

ترى سماحة الاسلام في محياه ، بهي الطلعة وضاء الجبين وترى على وجهه سمات متمازجة من الحياء والجلال والخشية من الله . كان عالما حقيقيا وعاملا في سبيل الله ، احب العلم والعلماء وراح يجاهد في طلب العلم لنفسه ولمن يعرفه من الناس لأنه من القلائل الذين ادركوا حديث رسول الله « الخير بي وبامتي الى يوم القيامة » وان العلم نور الحياة الوضاء وان النهوض بالامة لا يكون الا بالعلم .

وقد انكب رحمه الله على تدريس طلبة العلم في الازهر الشريف في مصر لمدة اربع سنوات بعد تخرجه منه . وقد تخرج على يديه الكثير من علماء مصر : كما وانه لدى عودته الى بيروت فتح بيته على مصراعيه لطلبة العلم والعلماء وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء في بيروت ودمشق وفلسطين .

الشيخ مختار العلايلي رحمه الله كان مدرسة حياة وسلوك ، عرفته منذ نعومة اظفاري ومشيت معه في مجالسه العلمية كولد صغير يسمع ويراقب ويلعب ، كما لازمته في شبابي استمع لكلام العالم الواثق . ايمانه بربه كبير بدون حدود ، وحبه لنبيه ملك عليه فؤاده، كان يحمل في مجالس العلم ما عرفه عن ربه ونبيه معرفة ندر ادراكها الكثير من العلماء ، ويخوض في بحور المعرفة يستطلع ويستنبط الاحكام .

من هنا كان بحد ذاته نهجا علميا فريدا حيث فهم الاسلام على حقيقته السمحة كدستور حياة وادرك احكامه ومراميه ادراكا ندر للكثيرين من العلماء الوصول اليه . وساروي في هذه العجالة مسالة بسيطة تدلل على نهجه في فهم الاحكام الشرعية استقيتها من هذا البحر الزاخر الذي تركه لنا رحمه الله .

كنت اقرا على مسامعه راي الفقهاء في تعليل حكم جاء في الحديث الشريف بانه (لا طلاق في اغلاق) حيث قال الفقهاء بان الطلاق في اغلاق لا يقع لان الاغلاق حالة يكون فيها الانسان في غضب شديد لا يستطيع معها (فهم) ما يقول وهنا توجه والدي رحمه الله الي قائلا مبينا علة الحكم بحلاوة المؤمن الواثق .

سبحان الله ان الغضبان غضبا شديدا وهو في حالة الاغلاق يفهم ما يقول ولكنه لا يستطيع في الحقيقة (رد ما يقول) وهنا ادركت بانني اقف امام عالم مجتهد .

كان رحمه الله يشدد على اقران الايمان بالعلم والعمل الصالح وان على الانسان في هذه الدنيا ان يسعى لاعمارها مسعى حثيثا لا اعوجاج فيه ولا التواء او مواربة .

وقد سالته رحمه الله عن حالتنا هذه التي نعيش : فقال لي :

البلاء قد وقع – والذين بيدهم الامر نسوا الله فانساهم انفسهم وردد قوله تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » وقد مشى رحمه الله الى لقاء ربه غير متعثر ولا وجل ، مشى مشية الواثق المؤمن بربه وهو يقول : لا تجزعوا اني ذاهب الى الله .

عاشراً: كتبت جريدة اللواء تحت عنوان "٨٥ عاماً من العلم والعمل والتقى والــورع" نشر بتاريخ ٢٩ آذار ١٩٨٤م.

وفاة العلّامة الشيخ احمد مختار العلايلي

٨٥ عاماً من العلم والعمل والتقى والورع

غيب الثرى امس احد كبار علماء المسلمين الافاضل وبقية السلف الصالح سماحة العلامة العارف بالله التقي النقي الورع الصالح فضيلة الشيخ احمد مختار العلايلي امين الفتوى في الجمهورية اللبنانية رئيس المجلس الاداري للاوقاف الاسلامية . وذلك عن عمر ناهز الخامسة والثمانين امضاها رحمه الله في تلقي العلم وتعليمه والاهتمام بمصالح المسلمين .

وكان يرحمه الله زاهداً في الدنيا ، اعتكف في منزله في السنوات الاخيرة عن ورع وتقوى وكان العلماء يقصدونه مع صلاة الفجر ليأخذوا عنه العلوم الدينية ويستمعوا الى فتواه في كثير من القضايا الاسلامية .

وقد نقل جثمانه الطاهر قبيل عصر امس من منزله الى مثواه الاخير في جوار مقام الامام الاوزاعي .

وقد ام صلاة الجنازة سماحة مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد التي شهدها عدد كبير من العلماء ورجال الدين وتلامذة المغفور له الذين غص بهم المسجد .

ولم تحل القذائف العشوائية التي انهمرت على غرب بيروت دون مشاركتهم في وداع الراحل الكبير باستثناء رؤساء الحكومات والوزراء والنواب ورجال السياسة والدنيا الذين اثروا البقاء حيث كانوا . رغم ان النعي اذيع من على مآذن المساجد وفي الاذاعة الرسمية والتلفزيون اللبناني مما اثار استغراب واستهجان المسلمين .

ورأى سماحة المفتي والعلماء تاجيل تقبل التعازي في بهو دار الافتاء نتيجة للقصف العشوائي الذي كان ينهمر على غرب بيروت مع تواجد عدد من العلماء في الدار لاستقبال المحبين والمريدين الذين فاق حبهم للفقيد الكبير حبهم للدنيا .

النعي

وقد جاء النعي الرسمي لسماحة الشيخ رحمه الله ما نصه :

رئيس مجلس الوزراء ومفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد

المجلس الاداري للاوقاف الاسلامية
المديرية العامة للاوقاف الاسلامية
رابطة علماء لبنان
اتحاد العلماء في لبنان
الجمعيات والهيئات والمؤسسات الاسلامية

آل العلايلي وانسباؤهم
تلامذة الشيخ ومريدوه
ينعون اليكم سماحة العلامة العارف بالله تعالى

فضيلة الشيخ احمد مختار علايلي

امين الفتوى في الجمهورية اللبنانية
رئيس المجلس الاداري للاوقاف الاسلامية
والد محمد امين والدكتور بهاء الدين والدكتور ياسر وانس
شقيق العلامة الشيخ عبدالله وعبدالرحمن والمرحومين محمد ومحمود
اصهرته عمر البغدادي ومصطفى الجدايل وفؤاد فتح الله

وسيصلى على جثمانه الطاهر في مسجد الامام الاوزاعي عصر يوم الاربعاء في ٢٦ جمادى الثاني ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٨ اذار ١٩٨٤ ويدفن في جوار مقام سيدنا عبدالرحمن الاوزاعي .

تقبل التعازي في دار الفتوى ـ الزيدانية شارع ابن رشد

الاول وبعد الدفن من الساعة الرابعة الى السادسة مساء والثاني والثالث من الساعة الثالثة والنصف حتى السادسة في بهو دار الافتاء

وللنساء في منزل الفقيد ـ محلة ابي شاكر ـ تجاه نادي النجمة بناية الخضري رقم ١٢ الطابق السابع .

وكان قد صدر عن دار الفتوى ما يلي :

ينعي سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد الى العالمين الاسلامي والعربي امين الفتوى في الجمهورية اللبنانية سماحة الشيخ احمد مختار العلايلي .

وصلي على جثمان الفقيد الكبير عصر الاربعاء ٢٨ اذار في جامع الامام عبدالرحمن الاوزاعي و ووري جثمانه الثرى في جوار مقام الامام الاوزاعي . تغمد الله الفقيد الجليل بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته وعوض الامة الاسلامية عن فقده خير العوض .

نبذة عن حياته

في حوار اجرته معه « اللواء » ونشر في ١٩٨٣/٥/٢٠ قدم رحمه الله تعريفا موجزا عن شخصه ومسار حياته نقتطف



منه وبتصرف قوله :

ـ ولدت عام ١٨٩٩ في بيروت وتلقيت دراستي الاولى في مدرسة السمطية في منطقة الزيتونة .. وبقيت فيها مدة خمس او ست سنوات اتلقى دروس اللغة العربية والعلوم الدينية .

ـ انتقلت الى المدرسة العسكرية (حوض الولاية) في المصيطبة لمدة سنتين ، ثم انتقلت الى مدرسة الجامعة الاميركية حتى وقعت الحرب العالمية الاولى .

ـ عام ١٩١٨ كنت بين ١١ طالبا تلقينا الدروس في زاوية الامام الاوزاعي

ـ عام ١٩٢٢ سافرت الى مصر والتحقت بالازهر الشريف حيث حصلت على الشهادة العالمية وقمت بعدها بتدريس الفقه الاسلامي والمنطق والبيان والبديع والمعاني وعلم الفرائض والتوحيد في الازهر نفسه لمدة ثلاث سنوات .

ـ تسلمت امانة الفتوى في لبنان منذ العام ١٩٦٣ ولاحقا رئاسة المجلس الاداري للاوقاف الاسلامية العامة .

ـ تلقيت علومي عن العلماء الشيخ امين البيساني ، الشيخ جميل عبدالرحمن الحوت ، الشيخ عبدالله خالد ، الشيخ عبدالرحيم البنداق ، الشيخ محمد الكستي ، الشيخ توفيق خالد ، الشيخ محيي الدين مكاوي ، الشيخ مصباح شبقلو ، الشيخ اديب خالد ، الشيخ ابراهيم المجذوب .

حادي عشر: كتب الأخ المحب، والوفيُّ الصادق، فضيلة الشيخ هشام خليفة، تحت عنوان "الآن أصبحت صوفياً يا شيخ مختار" نشرته جريدة اللواء يوم الجمعة ٦ نيسان ١٩٨٤م.

«الآن أصبحت صوفياً ياشيخ مختار»

بقلم : الشيخ هشام خليفة

دخلت اليه يوما في منزله كالمعتاد وذلك منذ حوالي ثلاثة اشهر من تاريخ انتقاله الى رضوان الله تعالى . وبعد ان كانت قد اجريت له العملية الاولى في مستشفى الجامعة الاميركية حيث كان قد عانى من كثير من الالام والاوجاع .

وبعد ان قبلت يده تبركا ومحبة قال لي :

ــ عجبا يا شيخ هشام : لقد جاء من اخبرني هذه الليلة وقال لي « الآن اصبحت صوفيا ياشيخ مختار » ! ؟ (وهو يقصد بمن اخبره انه احد الصالحين في عالم الارواح) .

فقلت له وانا واثق مما اقول : نعم يا مولانا . فالصوفي في مراحله النهائية من السلوك والمجاهدات ــ وكما ذكر العلماء والصالحون ــ هو الانسان الذي يكون قد صفا من الاغيار والاكدار . وتجافت روحه عن هذه الدار . وتعلق قلبه بالله العزيز الجبار فلم يجد انسه الا من الله لله بالله .

فعند ذلك نستطيع ان نطلق على هذا الانسان اسم ــ الصوفي ــ حقيقة . لان السالك والذي ما زال في مراحل جهاده مع نفسه والمواظب على الاذكار والاوراد والمتقيد باصول طرق اهل الله يسمى سالكاً ثم بعد ذلك متصوفاً حتى يصبح في النهاية صوفياً فيكون قد وصل الى غاية التحقيق ..وعرف دقائق الطريق ..ولم يحتج الى معين او رفيق .. الا الله عز وجل وذكره وشهوده . فيطلق عليه بالاضافة ... صديق .

هذا وان الشيخ مختار العلايلي قد اخذ وتلقن اوراد الطريقة النقشبندية العلية ــ التي تسمى طريقة الملوك ــ عن حضرة الوارث المحمدي القطب الغوث سيدنا الشيخ محمد امين الكردي البغدادي رضي الله عنه وارضاه . حيث كان الشيخ مختار يتلقى العلوم الشرعية في جامع الازهر في القاهرة بالعشرينات من هذا القرن .

وكان رضي الله عنه كثيرا ما يردد ويقول « في هذا الزمن .. لقد قل المخلصون .. لقد قل الصادقون .. لقد انتهى الامر .. وقربت النهاية ».

وكان يوصينا بالحاح ويقول : عليكم بتقوى الله . لازموا التقوى . فيها النجاة . وبها الخلاص وبها الفوز بالسعادتين في الدنيا والآخرة .

وانه عندما كان يطرق راسه وبصره الى الارض وهو يجلس جلسته المعتادة والتي يعرفها من لازمه او زاره .. جلسة الادب والوقار والتواضع والاحتشام والحياء . كان لا يطرق راسه عن سهو او غفلة بل عن تبصر ومكاشفة لقلوب الموجودين ولارواحهم .

كان يعمل على تربية من حوله بهمته وسمو روحه . وهذه حقيقة يعرفها اهلها .. والذين اكرمهم الله تعالى وتربوا وتادبوا على امثال هذه التربيات .

وكم من انسان وصديق من لبنان ومن خارج لبنان جاء معي لزيارة الشيخ مختار في منزله وبعد انتهاء الزيارة كنت اقول له :

ــ مولانا اسالك ان توصي اخي فلان بوصيه تنفعه في دنياه وآخرته .

وكم تكون المفاجاة كبيرة .. والاستغراب عظيما عندما يحدق النظر بعينيه المليئتين بالمعاني والاسرار الى وجه صاحب النصيحة ثم يطرق راسه لثوان ويقول بصوت خافت وكانه آت من بعيد وبطريقة تاخذ بالقلوب وتحرك الافئدة .

ـ الله .. الله .. استغفر الله .. استغفر الله .

ثم يوصي كل واحد منهم بوصية يكون عليها مدار هم هذا الشخص في حياته . ولا يكون يعرف هذا الموضوع الا صاحب الامر نفسه . فيخرج كل واحد منهم من عنده وهو مشدود ومستغرب من مكاشفة الشيخ له ومعرفته بدائه ودوائه .

وكم من مرة كنت فيها وحيدا في مكان ما اقوم باعمال او حركات او اقوال لا يعرفها الا الله عز وجل . وعندما اتي لزيارة حضرة الشيخ مختار ... يخبرني بكثير مما كنت قد فعلت بادب شديد ونورية ظاهرة .

وبعد فترة وبعد ان تكرر ذلك مرات عدة قلت له هل يستطيع الشيخ ان يعرف ماذا يفعل مريده وتلميذه وهو غائب عنه ؟

فقال لي : ان الشيخ لا يكون شيخا كاملا الا بعد ان يتمكن من مراقبة مريده في غالب اوقاته وايما كان .

ثم استدرك رحمه الله تساؤلين خطرا على بالي ولم اتلفظ بهما فقال لي : ـ ولكن الشيخ عنده من الادب والحياء ما يجعله يمتنع عن الاطلاع على عورات مريده او اموره الخاصة جدا .. وكثيرا ما يتغاضى عن اخطائه وتقصيره .

وتاكيدا على ما قلت فقد جئت اليه يوما فبادرني قائلا : ـ كيف حال والدك ؟

فقلت له : بخير والحمد لله . ولكن اسمح لي ان اسال لماذا تسالني ؟ وهل هناك سبب لذلك ؟

قال : لقد رايته يصلي .

فقلت : هل رؤياك هذه مناما ؟

قال : لا .

فاخفيت تعجبي . لاني اعرف ان والدي ولتلك الساعة لم يكن من المواظبين على الصلاة .

وبعد ان غادرت مجلس الشيخ وعدت الى البيت قلت لوالدتي ـ اصدقيني القول . هل والدي يصلي ؟

فدهشت وقالت : كيف عرفت ؟ لقد بدا والدك يواظب على الصلاة من ليلة امس وطلب مني ان لا اخبر احدا .

وباختصار كان الشيخ مختار وليا لله تعالى اختصه الله بكرامات كثيرة .. لم يكن يقصدها او يسعى اليها . بل كانت تظهر على يديه من غير ارادة منه . ولو انه اراد اظهار ما عنده من معرفة وكرامات .. لاذهل عقولنا .. ولادهش قلوبنا .. ولحير افئدتنا .

ولكنه كان يرى ان الكرامة الكبرى هي الاستقامة على الشريعة . وملازمة الفرائض والنوافل واتباع السنة . وصحة العقيدة . ومحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ومع هذا ضمن كراماته التي شاهدناها وعرفناها وتيقنا منها جميعا .

١ ـ مكالمته للملائكة الكرام . وبشارتها له ولمن حوله بالخير والسلام والقبول . وللبعض منهم بالولاية بفضل الله تعالى .

٢ ـ اجتماعه يقظة وحقيقة لا مناما . بكبار الاولياء من مشايخ الطريقة النقشبندية وغيرهم كالامام الشعراني وسيدنا الخضر رضي الله عنهما .

٣ ـ رؤيته لبعض الاشخاص من رجال ونساء على حقيقتهم وما تنطوي عليه سرائرهم . فترتسم هذه الحقيقة على وجود اصحابها عيانا . ويخبرنا حضرته ببعض منها .

٤ ـ رؤيته لعالم الجن وتحكيمهم له في بعض امورهم .

٥ ـ معالجته لبعض الاشخاص وشفاؤهم على يديه باذن الله تعالى من عوارض متنوعة روحانية او غيرها . ومشاهدة ذلك امام ملأ من الناس .

٦ ـ إخباره لي بان اجله انتهى وانه سيموت في هذه السنة .

٧ ـ الاحجبة التي يكتبها باذن من الامام الشافعي رضي الله عنه . والتي ظهرت بركتها وحقيقتها وفائدتها لكل من حملها .

٨ ـ النور الذي يظهر على وجهه ـ كنور القمر ـ بل اجمل خاصة وهو في اشد مراحل المه . والتي من المفترض ان تذهب ببهاء الوجه . اما هو فكان يزداد نورا يشاهده ويراه كل من يزوره ويلحظ ذلك . بالاضافة الى تشكل تقاسيم وجهه الكريم باشكال مختلفة كل صورة اجمل من الاخرى . بشهادة كل من حضر .

٩ ـ ذكره لبعض الامور المتعلقة بنا او المتعلقة بالوضع العام . والتي غابت عنا . فكنا نراها بعد زمن وقد حدثت كما اخبر بها .

١٠ ـ مكاشفته لكثير من الناس عن افكارهم واحاديث نفوسهم وضمائرهم .

١١ ـ تحمله البلاء عن كثير من الناس . وبالذات اهله ومريدوه وتلامذته فطيلة الحوادث الماضية الشديدة وعلى مدى سنوات طويلة . لم يتضرر احد منهم لا بنفسه ولا باهله ولا باملاكه . الا نادرا جدا وقد اخبرني بذلك مرة فقال :

ـ « اني إذا حدثت مشاكل او مصائب لا انام حتى اقرا اية الكرسي واردد قوله تعالى فيها (ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) ثلاث مرات وانا ادور بيدي مستحضرا كل اخ منكم وبيته واهله .. وانكم محفوظون باذن الله تعالى » .

هذا قليل من كثير اعرفه عن الشيخ مختار العلايلي رحمه الله ورضي عنه . ولو اردت سرد كل ما اعرف لضاقت بذلك الصفحات كما ضاقت بها الساعات التي قضيتها اتحدث عن عظمة هذا الرجل ومكانته وفضله مع اخواني واحبابي .

ويكفي انني وبعض الاخوة قد اكرمنا المولى تبارك وتعالى بحضور هذا كله . وبالاجتماع به وبمحبته لنا .. ومحبتنا له .. وباجازته لنا ببعض ما اكرمه الله به .

واخيرا هناك تساؤل حيرني بعد وفاته رحمه الله . فقد تساءلت : كيف ان هذا الرجل الصالح والانسان الفاضل ومع كل ما سبق ان ذكرت من مكانته والذي اجمع الناس على محبته وفضله . كيف انه اصيب بالبلاء والامراض والالام والاوجاع ؟

فجاءني الجواب من رجل درويش عمره حوالي مائة سنة اسمه الحاج محمد حيث قال لي بعد ان سالته عنه وقد كان يعرف الشيخ مختار .

ـ « لقد ذهب الشيخ مختار الى لقاء ربه الملك الديان .. وليس عليه دين . فلقد وفى كل ما عليه هنا .. وذهب نقيا صافيا باذن الله تعالى » .

فتذكرت عندها قول مولانا الشيخ مختار العلايلي رحمه الله واسكنه الفردوس الاعلى ـ (لقد جاء من اخبرني الليلة وقال لي : الآن اصبحت صوفيا يا شيخ مختار) .

ثاني عشر: أجرى الأستاذ داوود بيروت محاورة مع **شيخنا العارف بالله تعالى** وذلك سنة ١٩٨١م.

في شهر أيار، .... وكانت المحاورة تدور حول بداية حياته العلمية في بيروت مع العلماء الكرام. وعن علماء خدموا الإسلام والمسلمين، ودور الأوقاف الإسلامية، ودور البيت في التربية الإسلامية، وعن المصارف الإسلامية وتغيير وضع المساجد وإعادة بنائها شرعاً.

وإليك المحاورة كما هي:

الشيخ مختار العلايلي أمين فتوى بيروت:

هناك علماء خدموا الإسلام والمسلمين بإخلاص وأناشد المسؤولين عن الإعلام مراعاة النشء

حوار اجراه: داود بيرم



□ فضيلة العلامة الشيخ مختار العلايلي □

من سره ان ينظر الى احد كبار علماء المسلمين الافاضل وبقية السلف الصالح فليذهب لزيارة العلامة الشيخ مختار العلايلي . ومن أحب الاطلاع على تاريخ المسلمين الحديث ولا سيما في بيروت ويتعرف على جهود علمائنا المسلمين فليستمع الى حديث الشيخ مختار العلايلي .

زاهد هو معتكف في منزله لا من عجز بل من ورع وتقوى . يقصده علماؤنا مع صلاة الفجر لياخذوا عنه العلوم الدينية ويستمعوا الى فتواه في كثير من القضايا الاسلامية الحاضرة. سعى « اللواء الاسلامي » الى لقائه لشعوره بالحاجة الى الاستفادة من علمه ، وليدعو عبر صفحته اولي الشأن من المسؤولين المسلمين ان لا يفرطوا بمثل هذا الحجة الثقة علما ودينا والله من وراء القصد ، وكان هذا الحوار معه :

س : لو اردنا ان نعرف من هو الشيخ مختار العلايلي فماذا عسانا نعرف ؟

ج : ولدت عام ١٨٩٩ في مدينة بيروت . وتلقيت دراستي الاولى في مدرسة السمطية في منطقة الزيتونة . وكان رئيس المدرسة يومذاك الشيخ امين البيساني . وبقيت في مدرسة السمطية مدة خمس او ست سنوات اتلقى دروس اللغة العربية والعلوم الدينية ومن المشايخ الذين علموني في ذلك الحين ، اضافة الى الشيخ البيساني الشيخ جميل الحوت ابن الشيخ عبد الرحمن الحوت نقيب الاشراف ، والشيخ عبد الله خالد شقيق الشيخ توفيق خالد مفتي بيروت الاسبق والشيخ عبد الرحيم البنداق .

ثم انتقلت الى المدرسة العسكرية (حوض الولاية) في المصيطبة ، ومكثت في تلك المدرسة مدة سنتين حيث ضرب الايطاليون بيروت عام ١٩١١ أو ١٩١٢ . ثم انتقلنا الى مدرسة الجامعة الاميركية حتى وقعت الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ، فاقفلت المدرسة لان الحكومة التركية استولت على المدارس وحولتها الى مخازن لوضع المواد التموينية الخاصة بجنودها فيها .

الرعيل الاول

اضاف : وعندما انتهت الحرب عام ١٩١٨ ، اتفق الشيخ محمد الكستي قاضي القضاة وقتها والشيخ توفيق خالد الذي كان رئيسا للكتبة في المحكمة الشرعية في بيروت ، والشيخ محيي الدين مكاوي والشيخ مصباح شبقلو والشيخ اديب خالد « والد الشيخ محمد اديب خالد » والشيخ ابراهيم المجذوب على تاهيل طلبة للعلوم الدينية والعربية واختاروا احد عشر

طالبا منهم الشيخ محمود شميطلي والشيخ محمد شميطلي والشيخ عبد الغني غنوم والشيخ امين البنا واخذوا يدرسونهم في زاوية الامام الاوزاعي واستمرت مدة الدراسة في هذه الزاوية سنتين تقريبا . وقد انتقل بعض هؤلاء الطلاب ومنهم الشيخ مختار العلايلي والشيخ محمد سوبرة والشيخ احمد العجوز الى جامع المصيطبة حيث كان الشيخ توفيق خالد يعطيهم الدروس بعد صلاة الفجر وكانت الدروس تتمحور حول تحفيظ هؤلاء الطلاب الفية ابن مالك في النحو والعمريتي في الفقه والرحبية في علم الفرائض والميراث وبقي هؤلاء يتلقون العلم في جامع المصيطبة على مدى سنتين .

ويستدرك الشيخ مختار فيقول : فاتني ان اذكر انه في عام ١٩١٥ تقريبا ارسلت جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت الشيخ راغب قباني في بعثة الى الأزهر الشريف في مصر ليعود فيدرس في المقاصد وفي المساجد . ولقد خصصت له المقاصد منحة شهرية وهو في مصر مقدارها خمس ليرات ذهبا اعانة له وتشجيعا على متابعة دراسته .

وفي عام ١٩٢٢ سافرت الى مصر والتحقت بالأزهر الشريف وبعد دراسة استمرت ست سنوات حصلت على الشهادة العالمية وكنت قد صحبت معي اخي الشيخ عبد الله العلايلي الذي كان عمره يومذاك ثماني سنوات وقد تدهش اذا قلت لك ان الشيخ عبد الله حفظ القران الكريم غيبا في مدة ستة اشهر وذلك عام ١٩٢٣ . وعندما عدت الى بيروت

التقيت بالشيخ مصطفى نجا رحمه الله في دار الافتاء ، وكذلك الشيخ الكستي والشيخ محمد علي الانسي الذي كان له مكانة علمية رفيعة وكذلك الشيخ محمد الفيومي والشيخ محمد عساف والد الشيخ المرحوم احمد عساف .

اما على صعيد العمل فقبل مجيئي الى بيروت قمت بالتدريس في الأزهر الشريف ولقد درست مواد الفقه الاسلامي والمنطق والبيان والبديع والمعاني وعلم الفرائض والتوحيد وذلك لمدة ثلاث سنوات . وكان شيخ الأزهر يومذاك الشيخ ابو الفضل الجيزاوي . وانا الان امين الفتوى في الجمهورية اللبنانية منذ عام ١٩٦٣ ورئيس المجلس الاداري للاوقاف الاسلامية العامة .

علماء خدموا المسلمين

س : خدم جمهرة من علماء المسلمين التراث الاسلامي في لبنان ، هل لفضيلتكم اعطاؤنا فكرة ولو موجزة عن بعض هذه الفئة الفاضلة ؟

ج : فعلا هناك جماعة سعت لخدمة المسلمين في لبنان ومن هؤلاء على سبيل المثال الشيخ احمد

العجوز والشيخ مصطفى الشلاح والحاج عمر الداعـوق . وكان قد سبق هؤلاء مشايخ وعلماء اجلاء اذكر منهم عبد الباسط فاخـوري مفتي بيروت ورئيس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية والشيخ حسـن المدور والشيخ عبد الرحمن الحوت والشيخ محمد العربي العـزوزي والشيخ مصباح شبقلو والشيخ عبد القادر قباني الذي كان مديرا للاوقاف وساهم في تاسيس جمعية المقاصد في بيروت . ولا يفوتني ذكر الشيـخ راغب قبانـي والشيـخ ابراهيـم المجذوب والشيخ هاشم الخليلي .

واذا توقفت عند احد علمائنـا الاحياء حتى اليوم فانـي اتـذكر الشيخ احمد العجوز الذي بدأ منذ العـام ١٩٢٨ بتاليـف جمعيـات اسلامية عدة هدفها بناء وترميـم المساجـد . وعلى ما اذكر ان اول مسجد قام ببنائه هو جامع الامام علي بن ابي طالب في الطريق الجديدة ، ومسجد آخر بني في الاشرفية هو جامع المحسينين الذي هدم مؤخرا اثناء الأحداث التي مرت على لبنان . وعلى ما اعتقد ان الجمعيات هذه تمكنت من بناء وترميم حوالى مائة وخمسين مسجدا في مختلف المناطق اللبنانية .

دور الاوقاف الاسلامية

س : الاوقاف في حياة المسلمين تلعب دورا هاما ، فما هو تصوركم لجعل مؤسسة الأوقاف العامة اكثر فاعلية في مجال الدعوة الدينية ؟

ج : بدات الأوقـاف الاسلاميـة قليلة المدخول في بداية امرها وخاصة في بيروت . اما في المناطق ولاسيما منطقة البقاع فكانت الاوقاف فيها غنية لكن احد السياسيين ، ولا نحب ان تذكر اسمه الآن ، كان يهيمن على الأوقـاف الاسلاميـة في البقـاع وايراداتها اما ميزانية الأوقاف في نهاية ولاية مفتي الجمهورية الشيخ محمد علايا وبداية عهد الشيـخ حسن خالد فقد بلغت حوالى المليون والمائة الف ليرة لبنانية ومما لا شك فيه ان دخل الأوقاف اليوم لا باس به ومن المفترض ان تلعب الأوقاف دورا هاما في حياة المسلمين ولا سيما على صعيد الدعوة الاسلاميـة . وهنـا اقترح ان يكون في دوائر الأوقاف العامة دائرة للوعظ والارشاد مهمتها رعاية خريجي الأزهر الشريـف في مصر وكذلك الذين يتلقون علومهم الدينية في جامعات اسلامية اخرى والعمل على ايجاد الوظائف لهـم وخاصة في مجالات الدعوة الاسلامية شرط ان يعاملوا معاملة خريجـي الجامعات الاخرى فهم لا يقلـون كفاءة عن سواهـم بل ارى انهـم يتفوقون على الآخريـن بدرايتهـم بالعلوم الدينية على انواعها وهي مما يحتاج اليه الدعاة في عملهم . وان يعطى هؤلاء الخريجون كذلك حقوق

الضمان الاجتماعي والصحي ولا يجوز الابطاء في هذه النواحي مطلقا .

دور البيت في التربية الاسلامية

س : اعتبر احد علمائنا ان وجود البيت الديني هو العلاج المفيد لتحصين شبابنا وناشئتنا من التيارات الفكرية الملحدة والبرامج اللااخلاقية التي تروجها وسائل الاعلام المختلفة ودور اللهو ، فهل انتم من هذا الراي وكيف يكون في نظركم البيت الديني ؟

ج : مؤسف ما نراه من خلال وسائل الاعلام في الصحف والمجلات او عن طريق التلفزيون من افلام ودعايات ومناظر تخدش الحياء . وبالمناسبة اناشد المسؤولين عن الاعلام ان يراعوا النشيء في اخلاقهم ويمنعوا كل ما يفسد على الاطفال والشباب والبنات عقولهم ويثير غرائزهم .

وارى في الحقيقة ان الخلاص لا يكون في تكوين البيت الديني فقط بل اضيف الى ذلك اهمية الدور الذي يجب ان تقوم به المدرسة من حسن توجيه وتوعية .

صحيح ان الاب المسلم والام المسلمة في اكثر البيوت الاسلامية لا يقومان بواجباتهما الدينية من صلاة وصيام وتلاوة قرآن واخراج زكاة وهذا امر فظيع سيحاسب عليه كل مسلم لان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . والاب يجب ان يرعى ابناءه وكذلك الام ، وكلما احسن الابوان تربية الاولاد كلما كانت الاخلاق بخير وكذلك الدين وهنا اعود لاقول بضرورة تدريس مادة الدين في جميع المدارس الخاصة والرسمية وجعل هذه المادة الزامية في الامتحانات الرسمية وانوه بالمبادرة الكريمة التي قامت بها جمعية المقاصد في بيروت وذلك بتخصيص دروس دينية في تلاوة القرآن الكريم وتعليم مبادىء الاسلام للطلاب المسلمين الذين يتلقون دراستهم في مدارس الارساليات ، واعتقد ان هذه الدروس كان يشرف عليها الشيخ محمد الغزال .

المصرف الاسلامي هو المخرج من الربا

س : ما رايكم بالفكرة السائدة اليوم وهي ايجاد بنك اسلامي ليسهل على المسلمين التعامل مع مثل هذا المصرف نظرا للضرورة الاقتصادية ؟

ج : التعاطي مع البنوك في وضعها الحالي وخاصة مسالة الفائدة هي في نظري ربا والا ارى رأيا اخر في هذا المجال . وفكرة ايجاد

المصرف الاسلامي هو خير مخرج للمسلمين اذا قام هذا المصرف على اسس تراعى فيها احكام الشرع الاسلامي .

س : نشاهد في العاصمة هذه الايام هدم بعض المساجد مثل جامع الحمراء لاعادة بنائه مع تغيير وضعه ، فما رأيكم في ذلك ؟

ج : مذهب الامام احمد بن حنبل يجيز تغيير وضع المسجد . مثل ان يكون المسجد على الارض مباشرة فيغير هذا الوضع ليصبح مرتفعا عن الارض . وبالنسبة لهذا المسجد وكذلك مسجد الامام علي في الطريق الجديدة عندما سالت عن سبب هدمهما اجابني المسؤولون بان الغاية من ذلك توفير مداخيل جديدة للأوقاف الاسلامية مع الحرص على بقاء المسجد في مكانه وان تغير موقعه واذا اخذنا بفتوى الامام احمد لا أجد تعارضا في الشرع في مثل هذا العمل .

ثالث عشر: كتب الدكتور فاروق الجمال، "العلامة مختار العلايلي" تحت عنوان "علماء على جناح القرآن، محطات ومشاهد من تاريخ بيروت المحروسة"

العلامة مختار العلايلي

ولد المرحوم في بيروت، في عام ١٨٩٩ (ويقال في عام ١٨٨٩)، والده عثمان، والدته نفيسة كبي (١)، نشا وتربى على التقوى والورع في بيت اصيل وعائلة تتصف بالطيبة والزهد ومكارم الاخلاق.

خرج الى الازهر في مصر ونال شهادة العالمية (نسبة الى العالم) وعاد الى بيروت فعين بناء على كتاب رقم ٨١٢ مؤرخ في ٥ ذو القعدة ١٣٥٥ الموافق في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٧ صادر عن سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد توفيق خالد وموجه الى رئيس مجلس الوزراء آنذاك خير الدين الاحدب، الذي كان وزيرا للعدلية ايضا، عين في منصب كاتب في دائرة فتوى بيروت براتب شهري قدره تسعة وثلاثون ليرة لبنانية سورية وذلك بدلا من الشيخ ابراهيم المجذوب المتوفي، حسب ما يشير المرسوم رقم (٤٢ - ٦٣) الصادر بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٧.

هذا وقد استمر المرحوم الشيخ مختار في منصبه هذا، حتى اصبح امين فتوى بيروت في اوائل الاربعينات براتب قدره ٨٥ ليرة لبنانية، ولكن مع احتفاظه بمنصبه الاصيل ككاتب ممتاز في دائرة فتوى بيروت بموجب المرسوم رقم ٥٤٦٨ تاريخ ٢٣ آذار ١٩٤٦ (٥).

ويوم الاربعاء في ٢٨ جمادي الثانية ١٤٠٤ هـ (٢٨ اذار ١٩٨٤) فقدت شافعي القرن العشرين العالم الجليل الزاهد المتعبد التقي الورع، صاحب "الرأي" الفقيه العالم الاسلامي الشيخ مختار العلايلي طيب الله ثراه.

رابع عشر: كتبتُ مقالةً تحت عنوان "الشيخ أحمد مختار العلايلي، علمٌ من أعلام الفضيلة والعلم" نشرته جريدة الشرق بتاريخ الأربعاء ٩ أيار ١٩٨٤م.

الشيخ احمد مختار العلايلي علم من اعلام الفضيلة والعلم



الشيخ احمد مختار العلايلي

بالامس القريب غيب الموت علينا من اعلام المسلمين والعلم فضيلة الشيخ احمد مختار علايلي.

رجل علم ومعرفة خاض غمار الحياة بفكر ثاقب وايمان عميق لاتزعزعه اهواء وتيارات لان ايمانه نابع من صميم عقيدته الراسخة في اصول الدين. عرفه المصلون طوال سنوات في الجامع العمري الكبير في ساحة المعرض حيث كان يؤم الناس. شيخ جليل مليء حكمة وعلما ووقارا. فطالما تألب الناس حوله بعد صلاة المغرب يستمعون اليه بكل اهتمام. وكانت الاسئلة تنهال عليه من كل حدب وصوب وهو يجيب عن اسئلتهم بأسلوب مقنع. فلا يبقى في ذهن السائل اي اشكال او ابهام. لقد كان رحمه الله يحدث الحاضرين عن العلم والعلماء تارة وعن الاولياء والاصفياء تارة اخرى. كل ذلك باسلوب اخاذ محبب. وكان يصلي الجمعة في مسجد الصيداني الكائن في رأس النبع. وبعد الصلاة كان يزور والدته لانه لم يشأ ان ينصرف عن واجبه كابن كما لم تصرفه شهوات الدنيا واهواؤها عن تمسكه بمكارم الاخلاق.

بدأ فضيلة الشيخ رحمه الله بايلاء طلابه ومريديه عناية خاصة. فأفرغ لهم وقته بعد صلاة المغرب. واختار كتابا في العقيدة "جوهرة التوحيد للامام الباجوري" وكان طلابه يتابعون القراءة وهو يحلل بلغة البيان وفهم واضح صريح وحين وجدان حلقات المسجد ضاقت بمريديه فتح باب منزله ثلاث مرات اسبوعيا.

وكان خلال الزيارة وقبل بداية الدرس يصنع لطلابه شراب المانجا بيده صيفا ويقدم الشاي لكل من زاره شتاء. وفي درس من دروسه الكثيرة القيمة بدأ حديثه عن الشيخ محي الدين المتوفي سنة ٦٧٦ هجرية فذكر علمه وفضله ولم يكتف بذلك بل رافق طلابه الى دمشق لزيارة قبر الامام النووي رضي الله عنه ايمانا منه بزيارة الصالحين الاحياء والاموات وتعليم مريديه آداب الرحلة والسفر الذي يسفر عن اخلاق الرجال.

لقد كان فضيلة الشيخ العلايلي رحمه الله والدا ومرشدا لكل طالب علم؛ اذ علا بتلاميذه الى آفاق العلم والمعرفة وذلل لهم صعاب الطلب وهون عليهم وعثاء السفر وغربة الاهل والبلد. كان - رحمه الله - معينا لهم في العسر واليسر والمنشط والمكره؛ مشاركا لهم اتراحهم وافراحهم؛ وآمالهم والامهم.. لقد جمع المجد من اطرافه بجزيل عطائه؛ واسبل على الجميع من حلي الرضا. استقام الميسم وبنيت نفوس طلابه على المعارف والصفاء وحسنت النية و وصفت الطوية وكلما مضى يوم ازداد عدد المحبين حتى اينعت ثمار العطاء واتصلت المشاعر وزكت القلوب حتى صار مجلس الشيخ - وهذا فضل الله تعالى - ينتفع منه الطبيب والمهندس والتاجر والعاقل. والجميع يقفون على ساحل الشيخ ينتظرون الغوص؛ وليزينوا ايمانهم بما يسمعون من حكم وامثلة وذكر الاولياء واهل العلم. مرض



الشيخ صلاح الدين فخري يقبل الشيخ العلايلي.

الشيخ مرضا شديدا والم الوجع بناحية لساند اليسرى وتحمل الاوجاع والآلام حتى تعثر معه خروج الكلام ولم تنبس شفتاه الا بعدة وصايا وحكم تناقلتها السن الناس بعده:

"واما الذين في قلوبهم مرض فيبتغون ما تشابهمنه ابتغاءالفتنة وابتغاءتأويله وما يعلم تأويله الا الله". كمااوصى طلابه بعدم الخوض في الفتن وعدم التدخل فيما لايعنيهم وبالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبقيام الليل ولو ركعتين وبالمحافظة على الصلاة في وقتهاوبقراءةالعلم والمداومة عليه.

ثم كانت الطعنة القاسية للجميع فبكى اهل الارض لوفاة العالمالعلم الذي انتفع من علمهالقاصي والداني. لقد فارق - رحمه الله - الحياة الدنيا وهو يقول: "لاتجزعوا - فأنا ذاهب الى ربي". حقا لقد ترك ذهابه ثغرة خطيرة، وفجوة كان لها اثرها في النفوس التي رباها.

رحمك الله يا شيخ مختار ؛ فقد عشت حقبة اديت فيها ادوارا رائعة من الانتاج وستكشف الايام مكنونها - لقد كنت كالمطر عم البسيط كلها فارتوى من مائك المنهل كل من تاقت نفسه الى المعرفة الصادقة.

رحمك اللهرحمة واسعة
واسدل عليك مغفرته
وزادك رضوانا وعفوا
وجمعنا واياك على حوض
المصطفى صلى الله عليه وسلم.
الشيخ صلاح الدين فخري

سيدي الشيخ مختار العلايلي، **العارف بالله تعالى** مهما كتبت أقلامُ المفكرين، وصاغتِ العباراتِ أناملُ الكاتبين، وأَفْصحتْ جُملَ الثناءات، واستلهموا روائعَ الصفات، وجادتْ قرائحهم بالمديح من الكلمات، فلن يُوفُّوا حقكُم الرفيع ومقامَكم العظيم.

فرحمكم الله رحمةً واسعةً وأسبل عليكم رضوانهُ وبرَّهُ آمين.

صورة ورقة النعوة ومنْ نعاه

لقد احتفظت بورقة النعوة ومن نعاه من إدارات رسـمية حكوميـة ومجـالس وروابط واتحادات للعلماء والجمعيات والتلاميذ والأنسباء.

وأضعها بين يدي القارئ للذكرى وزيادة الدعوات والرحمات.

نفس مطمئنة

انتقلت من دار الفناء الى دار البقاء

رئيس مجلس الوزراء ومفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد
المجلس الاداري للاوقاف الاسلامية
المديرية العامة للاوقاف الاسلامية
رابطة علماء لبنان
مجلس العلماء في لبنان
اتحاد العلماء في لبنان
الجمعيات والهيئات والمؤسسات الاسلامية
آل العلايلي وانسباؤهم
تلامذة الشيخ ومريدوه

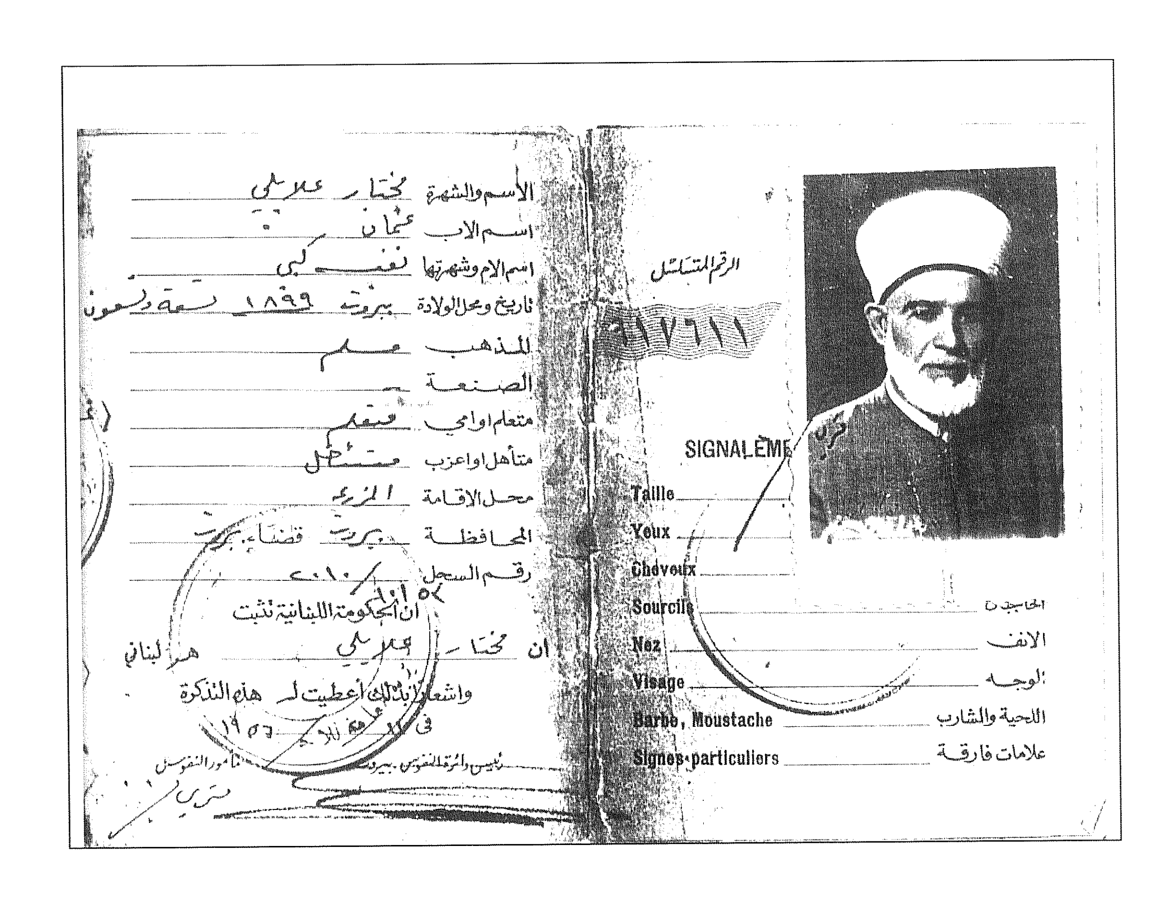
ينعون اليكم سماحة العلامة العارف بالله تعالى

فضيلة الشيخ احمد مختار علايلي

امين الفتوى في الجمهورية اللبنانية
رئيس المجلس الاداري للاوقاف الاسلامية
والد محمد امين والدكتور بهاء الدين والدكتور ياسر وانس
شقيق العلامة الشيخ عبد الله وعبد الرحمن والمرحومان محمد ومحمود
اصهرته عمر البغدادي ومصطفى الجدايل وفؤاد فتح الله

وسيصلى على جثمانـــه الطاهر في مسجد الامـــام الاوزاعي عصر يوم الاربعاء في ٢٦ جمادى الثانية ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٨ آذار ١٩٨٤ ويدفن في جوار مقام سيدنا عبدالرحمن الاوزاعي

تقبل التعازي في دار الفتوى ـ الزيدانية شارع ابن رشد
الاول وبعد الدفن من الساعـــة الرابعة الى السادسة مساء
والثاني والثالث من الساعـــة الثالثة والنصف حتى السادسة في بهو دار الافتاء
وللنساء في منزل الفقيد ـ محلة ابي شاكر ـ تجاه نادي النجمة بناية الخضري رقم ١٢ الطابق السابـــع



الأسم والشهرة مختار علايلي

اسم الاب عثمان

اسم الام وشهرتها نفيسة كبي

تاريخ ومحل الولادة بيروت ١٨٩٩ تسعة وتسعون

المذهب مسلم

الصنعة —

متعلم او امي متعلم

متأهل او اعزب متأهل

محل الاقامة المزرعة

المحافظة بيروت قضاء بيروت

رقم السجل ٢٠١٠/٥٢

ان الحكومة اللبنانية تثبت

ان مختار علايلي هو لبناني

واشعاراً بذلك أعطيت له هذه التذكرة

في ... عام ١٩٥٦

رئيس المركز النفوس بيروت مأمور النفوس

الرقم المتسلسل ٤١٧٦١١

SIGNALÈME

Taille

Yeux

Cheveux

Sourcils الحاجبان

Nez الانف

Visage الوجه

Barbe, Moustache اللحية والشارب

Signes particuliers علامات فارقة

"كلمة الختام"

وأخيراً إني آملُ من إخواني وخلاني، وتملُؤني الثقة الكاملة، أنْ استودِعَهم – كلما قرأوا هذه السيرة العاطرة، واستشعروا بالخير يجري، وبالنورِ يسري – دعوةً صالحةً أجدُ حلاوتَها عندما ألقى ربي.

كما أني اعتذرُ للناظرين والقارئين – في هذا السِّفرِ الذي أخَذَ مني وقتاً وجهداً – لعلي قَصَّرْتُ أو أخطأتُ – وأظنُ ذلك – فإن رأوا زللاً أو خطاءً، أو لفظاً أو حادثةً نسيتُها ولم أذكرها، أو لم يَرْضَوْها، فأملي بهم أن يَسُدوا الخللَ، ويصلحوا الزلل. فمن النادرِ أن يخلوَ الإنسانُ من الخطأِ والنسيان، والقلمُ من التقصير والطغيان.

إلا أنّ الله تعالى هو العالم بالمقاصدِ والنوايا، وهو الذي يثيب عبادَه على فضلِ من صَدَقَ لا من سبق.

وإني أساله بكرمِه ومَنّه وفَضلِه، أن يكتبَ لي الأجر والثوابَ فيما كتبتُ واجتهدتُ وسطرتُ، وأن لا يؤاخذني على تقصيري وزللي.

كما أسألُه جلَّ جلاله أن يجعلَ الأجرَ الكبير، والثواب العظيم، لمنْ ساهم كُلْفةِ طبعِ ونشر هذه السيرة العاطرة، وأن يجعلها في صحيفته وميزان حسناته ووالديه وذريته إلى يوم الدين.

وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الشيخ صلاح الدين خضر الشهير بالفخري

الحسني نسباً، البيروتي بلداً، الحنفي مذهباً

النقشبندي مشرباً وطريقة الرنكوسي روحاً، العلايلي حباً.

بيروت في ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥م

فهرس